

علم النفس

ومشكلات الحياة الاجتماعية

تأليف د. ميشيل ارجايل
ترجمة د. عبدالستار ابراهيم
استاذ في علم النفس



١٩٨٢

الناشر
مكتبة مدبولي
القاهرة

ترجمة عن الانجليزية للكتاب :

Psychology and Social Problems, by
Michael Argyle :
London : Methuen and Social science
Paperbacks, 1968 (3rd reprint).

دار الفارابي
بيروت - ص . ب . ٣١٨١
الطبعة الثالثة ١٩٨٢

مكتبة مدبولي
(١٤) شارع طلعت حرب
- القاهرة .

علم النفس



إهداء الترجمة العربية

إلى رضا

تقــــديرا منى لعــــونك

فى صــــياغة خلاقة لحياتينا .

ع . ابراهيم



مقدمة الترجمة العربية

وضعت الحرب العـــالمية الثانية أوزارها فى سنة ١٩٤٥ . وبنهايتها بدأت مشكلات البناء فى دول المواجهة . وتـكتلت لذلك الجهود المختلفة للعلماء فى فروع المعرفة المختلفة . وكان يبدو للمشاهد فى تلك الفترات أن التحديات والمشكلات التى تواجه المجتمع الإنسانى لا تقل عن تحديات الحرب ومشكلاتها .

واستطاعت الغالبية العظمى من تلك المجتمعات أن تعيد بناء نفسها على المستوى الاقتصادى والحضارى المادى . وتم لها ذلك فى فـــترة قصيرة ينبغى أن يضاف مغزاها — بحق — إلى قدرة الإنسان ، وإعجازه فى مواجهة التحدى ، وعظمته فى تجاوز وضعه ، والاستشراف على مواقع إنسانية أكثر رقياً .

لـكن هذا الإعجاز قد يحمل معــه أحياناً سلبيات متعددة . لعل أبسطها أن الإطلالة على هذا المشهد الذى يحمله النصف الأخير من هذا القرن تـكاد — لفرط ما فى هذا المشهد من انسجام وتقدم — توحى بأن تلك لحظة من لحظات المعجزة البشرية التى قد لا يسهل تكرارها . وبذلك تصبح بعض فترات التاريخ الخلاقة — مثلها فى ذلك مثل فترات الانحاط — موطنا للتفــكير الخرافى الذى يتوه دائما فى وضع أسباب غير واقعية للتقــدم ، ولعل أخطر ما فى هذا الأمر أنه يقودنا إلى مسارب من التفــكير تبدو الأشياء من خلالها غامضة التــكوين ، متعذرة على التناول الواقعى المنظم .

وهناك حقيقة بسيطة يفرضها هذا التناول المنظم ، وهى أن حقائق التقدم يمـكن ضبطها ، واستنتاج متغيراتها . ويمكن أن يستبين القــارىء على ذلك بالإطلاع على ميــادين المعرفة ... كلها فى تخصصاتها الدقيقة . ويستطيع

بعد هذا بعملية حساب بسيطة أن يضيف العنصر البشرى والاجتماعى ، كما يتمثل فى قدرة تلك المجتمعات — (مجتمعات ما بعد الحرب) — على اصطناع حياة تقوم على تشجيع المعرفة ، والتعاون ، والتنظيم .

والكتاب الذى بين أيدينا يعتبر — من هذه الناحية — شاهداً على إحدى الصور المعقدة التى تقدمها المعرفة الإنسانية — فى جانبها السلوكى والاجتماعى — لخدمة التقدم . وقد وضعه الدكتور « أرجايل » أستاذ علم النفس الاجتماعى بجامعة أكسفورد بانجلترا . وجعل هدفه منه الكشف عن قوانين بعض المشكلات الاجتماعية ، لمحاولة ضبطها وعلاجها ، ويعتقد أرجايل فى هذا الصدد أن دور علم النفس الاجتماعى يأتى متأخراً عن دور ومجهودات رجال الاقتصاد ، والمصلحين والسياسيين ، والتكنولوجيين ، على أنه يجب أن لا يعمى هذا الحد من خطورة المعرفة فى هذ الجانب .

ولعل أهم ما يلفت نظر المطّلع على هذا الكتاب تلك القدرة على صياغة المشكلات الاجتماعية فى لغة علمية ، بعيدة عن لغة السياسة الدارجة . وبهذا المعنى — وحده — كشف هذا الكتاب عن قدرة طيبة على صياغة تلك المشكلات ، وإمكانية ضبطها .

ومما يلفت النظر أيضا أن الكتاب بهذا التنظيم يعتبر — فى رأينا — إرهاصا بتشكيل أحد الفروع التطبيقية الهامة من فروع علم النفس الحديث . فالعيادة النفسية والمصنع ، ومجال التربية ، والكتائب العسكرية ... كلها من الفروع التى تبلورت كشاهد على إمكانية تطبيق حقائق علم النفس فى مجال الحياة لكن علماء النفس يترددون فى تشكيل **ميدان تطبيقى لعلم النفس فى مجال الحياة الاجتماعية وتفاعلاتها ، وأمراضها** . وقد يقال بأن موضوعات هذا الفرع لا تزال محدودة ، ويمكن توزيعها على الفروع الأخرى . لكننا لا نعتقد أن مشكلات الجريمة ، وتعاطى العقاقير ،

والجنس ، والتسلطية ، والتعصب والعدوان ، والبغاء ، والتعصيب الاجتماعى ، والسياسى ، والاغتراب ، واللاانتماء ؛ وغيرها من المشكلات السيكلوجية التى تنشأ عند احتكاك الفرد بظروف اجتماعية وبناء تسيطر فيه الصراعات الطبقية ، والفقر وقيم المجتمع المادى ، والقهر السياسى، والقوة وغير ذلك : نقول لا نعتقد أن تلك الموضوعات محدودة بالقدر الذى لا يسمح بدراستها فى فرع مستقل من فروع علم النفس التطبيقى . كما أننا لا نعتقد أن علم النفس بوسائله المنهجية الراهنة ، وبنظرياته الحالية يعجز عن تلمس الطريق لحل تلك المشكلات وضبطها . أما الاعتراض بأن تلك المشكلات تتوزع على الفروع التطبيقية الأخرى لعلم النفس ... فهو اعتراض يمكن أن ينسحب أيضاً على كل الفروع الأخرى ، فالتفاعل بين هذه الفروع التطبيقية حقيقة لا يمكن الجدل فيها. فمشكلات الاختيار مثلا يمكن مواجهتها فى مجال التعليم ، والصناعة ، والاضطرابات النفسية والعقلية ، كما يمكن مواجهتها كمشكلة اجتماعية لها أسبابها الإجتماعية العامة ، ونتائجها المرضية أو السوية فى التفاعل بين الفرد والجماعة .

وقد يقال إن **علم النفس الاجتماعى** يتكفل بهذا الدور ، لكن الحقيقة المثلى التى يجب أن نتصورها بالنسبة لعلاقة هـذا الفرع ، بالفرع التطبيقى المقترح ، أن نبقى لعلم النفس الاجتماعى التصور التقليدى على أنه من أحد الفروع الأساسية التى تهتم بدراسة السلوك ، كما يتشكل فى المواقف الاجتماعية المختلفة ، بهدف وضع القوانين الأساسية للسلوك كما يتحدد من خلال هذا الاتجاه . وبذلك يصبح هذا الفرع مثله فى ذلك مثل علم النفس العام ، والفسيولوجى والارتقائى ، والحيوانى ، أحد الفروع الأساسية التى ينهل منها القائمون بشئون التطبيق فى المجالات المختلفة ، أما **علم النفس الاجتماعى التطبيقى** فتصوره يختلف عن هذا المعنى ، من حيث أن موضوع الاهتمام فيه ينبغى أن يكون موجها إلى استغلال القوانين التى تأتى من الفروع الأساسية لعلم النفس جميعها . وتوظيفها فى فهم وضبط مشكلات التفاعل الاجتماعى ، والاضطرابات الاجتماعية العامة . ولا يقتصر هذا الفرع بهذا المعنى

على أن ينهل من فروع علم النفس الأساسية ، بل يمكن أيضاً أن يستفيد من معطيات العلوم الاجتماعية الأخرى كالأنثربولوجى ،وعلم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد السياسى وغيرها .

ويبدو أن علماء النفس يشعرون بأهمية هذا الفرع — لكن دون بلورة واضحة له — خاصة فى أحاديثهم عن بعض الموضوعات كالأمراض النفسية ، والاجتماعية التى تدرس فى كثير من الجامعات ، بل إن المؤتمر الذى عقد سنة ١٩٧٠ عن مستقبل علم النفس والجامعة فى الولايات المتحدة قد دعا فى توصياته إلى تكوين الطالب بحيث تكون له قدم فى مجال البحث التجريبى والمعملى البحت ، وأن تكون قدمه الأخرى فى الواقع الاجتماعى ، لكى يتعرف من خلال منهجه العلمى على بعض المشكلات الاجتماعية كالجريمة ، والفقر ، والهجرة ... الخ . ومن شأن هذا الالتصاق بالواقع أن يضفى بدوره على التخصص المنهجى البحت مذاقاً ذا طعم خاص كما أن من شأن هذا الالتصاق أن يساعد على ضبط ردود الفعل الاجتماعية كما تصدر من الواقع الاجتماعى . وغنى عن الذكر ما يلعبه هذا العامل من دور محبط ، أو ميسر لحركة العلم ، وتطورها .

صحيح أن هناك بعض المضاعفات التى قد تؤدى إليها البلورة الكاملة لهذا الفرع . وقد تتمثل هذه المضاعفات فى أخطار التعميم السريع للقوانين التجريبية ، القائمة على الملاحظات المحدودة ، أو التجارب المعملية ، على مشكلات ذات طابع معقد ، تكتنفها متغيرات متشابكة . لكن هذه الأخطار نفسها هى التى تفرض هذا ، فسيظل جزء كبير من هذه المشكلات — إذا تأجل الاعتراف الشرعى بها — عرضة للتأملات المبتورة التى تأتى من قبل المصلحين الاجتماعيين والسياسيين . وحتى العلماء قد يقعون فى هذا عندما لا يجدون البديل المناسب . ومن شأن هذا التعجيل أيضاً أن يساعد على شحذ طاقة السيكلوجيين لإيجاد الحلول الخلاقة التى

تتيح لهم التوازن بين معرفة منهجية ذات إطار محدود ، ومشكلات اجتماعية تخضع للفهم الضفاض .

وإذا عدنا إلى موضوع هذا الكتاب فسنجد أنه من هذه الناحية محاولة نموذجية لما يجب أن يكون عليه مستقبل هذا الفرع ، ويزيد من فائدته بالنسبة للعلماء الاجتماعيين أنه يقيم معرفته على نتائج علمية محكمة . وهنا نشهد بحق أن المؤلف كان بارعاً فى تكوين إطار منسجم من الحقائق لكل موضوع ، مادته الأساسية التجارب العامية ، والملاحظات المضبوطة ، وبهذا يضع نموذجا متكاملا يستطيع علماؤنا الاجتماعيون أن يحذون حذوه فى مواجهتهم للواقع الاجتماعى المعاصر ، ولعلهم يقدرون على إبراز المشكلات ذات الفاعلية الأقوى .

صحيح أن بعض صياغات المؤلف تبدو أحيانا ذات طابع تلفيقى (نتبدى أقوى ما نتبدى فى استخدامه لبعض مفاهيم التحليل النفسى) ، غير أن السبب فى هذا يعود إلى أن معرفتنا التجريبية لا تزال محدودة . وهذا يفرض أحيانا على العالم أن أن يستعين ببعض المصطلحات النظرية الأخرى لكى يسد الثغرات ، خاصة عندما يكون بصدد الحديث للمثقف العام . لكن هذا لا يمنع من أن نسجل هذه الثغرة حتى نكون على وعى بها . وقد آثرت بالرغم من هذا على ترجمة الكتاب ترجمة كاملة .

أما بالنسبة للقارىء العام الذى يؤثر الثقافة من منابعها ، والذى يجاهد نفسه على الصعب ، فإن الكتاب الحالى يعرض له فصلا من فصول التقدم المنهجى لعلم النفس الحديث . وعسى أن يستطيع القارىء من خلال هذا العرض أن يتبصر — أو أن يزداد تبصره فى أحسن الأحوال — بالمعالم المنهجية لهذا العلم ، وبقدرته على تقديم الحلول .

والكتاب يقع فى أربعة أجزاء يتعلق الجزء الأول بتحديد العناصر الأساسية

الفعالة فى السلوك الاجتماعى . وفى ثلاثة فصـول عن دور سمات الشخصية ، والدوافع الاجتماعية ، والتفـاعل الاجتماعى يصوغ المؤلف تلك العناصر الأساسية .

أما الجزء الثانى فيخصصه المؤلف لدراسة بعض المشكلات الاجتماعية مقدما من خلال هذا العرض أساليب ضبطها ، ونتائج هذا الضبط . ومن المشكلات التى يوليها اهتمامه : العدوان ، والجناح ، والتعصب العنصرى والمشكلات الصناعية ، والصحة النفسية .

وفى الجزء الثالث يتحدث عن أساليب الضبط الاجتماعى والتى منها التطبيع الاجتماعى ، والقيادة وأساليب الاعلام وغيرها .

ويخصص فى الجزء الرابع فصلين لتحليل التيارات الاجتماعية السائدة والمناهج العلمية المناسبة لهذا التحليل ، وفصل آخر لضبط التغير الاجتماعى ، ودور العالم الاجتماعى فى المؤسسات الاجتماعية ، وفى المجتمعات النامية ، وفى المجتمعات المتمدينة . هذان الفصلان الأخيران يعتبران محاولة من المؤلف لبلورة دور العالم الاجتماعى بالنسبة لمشكلات التغير الاجتماعى .

ويقدم المؤلف كذلك قائمة قيمة بمجموعة من المراجع الحديثة فى هذا الموضوع .

ع . ابراهيم
الهرم — ١٩٧٣

تنبيه :

نتائج البحوث ، وصياغاتها جميعها تقريبا أجريت على عينات انجليزية أو أمريكية . والإشارات الداخلية التى يشير بها المؤلف إلى المجتمع ، يقصد بها الإشارة إلى المجتمع الانجليزى . وقد لزم التنبيه .

المترجم

مقدمة المؤلف

تشهد مجتمعاتنا — في السنوات الحديثة — تغيرات ضخمة بفضل مجهودات علماء الاقتصاد ، والمصلحين السياسيين ، والتكنولوجيين وغيرهم . فأمكن ضبط كثير من المشكلات العامة في ميادين التجارة ، والتعليم ، كما أمكن زيادة الرفاهية . غير أن هذا التحول — لسوء الحظ — تصحبه زيادة في نسبة الجناح ، والجريمة ، والاضطراب العقلي ، والتعصب العنصري ، والسخط العمالي الصناعي ، فهذا ، ولصالح البشرية ، وسعادتها ، فإن أهمية حلول تلك المشكلات لا ينبغي أن تقل بأي حال عن أهمية المشكلات المتعلقة بالفقر المادي ، والصحة الجسمية ، فمن المهم أن يكون العمال مثلا على درجة من الإحساس بالرضا ، والسعادة بالشكل الذي يساعدهم على بذل الطاقة . وقد ساعدت البحوث التي كان يقوم بها العلماء الاجتماعيون في السنوات الأخيرة على إلقاء الضوء على كثير من تلك المشكلات ، فأصبحنا على دراية واسعة عن الذرائع الاجتماعية التي ينبغي القيام بها لحل كثير منها . ويعتبر هذا الكتاب محاولة مني لاستخلاص النتائج الأساسية لتلك البحوث ، ولإعادة النظر في مناهج الضبط الاجتماعي التي يمكن استخدامها .

وإني أدين للدكتور « بيتر روبنسون Peter Robinson » لتعليقاته القيمة على الكتاب كله ، كذلك أدين للأساتذة الآتية أسماؤهم بسبب تفضلهم بالتعليق على بعض الفصول المتفرقة وهم :

الدكتور « أندري Andry » ، والأستاذ « توم بيرنز T. Purns » ، والدكتور « كروسمان Crossmam » ، والدكتور « هنري تاجفيل H. Tajfel » ، والدكتور « جاك تيزارد J. Tizard » ، والدكتور « نايجل ووكر N. Walker » ، والدكتور « ويلسون B. Wilson » . كما أدين بالشكر للآنسة بيرنت Burnett لمعاونتها في نسخ الأصول .

م . ارجايل
فانكوفر — أكسفورد — أكرا

محتويات الكتاب

صفحة

الجزء الثالث

عمليات الضبط الاجتماعى

الجزء الرابع

دراسة التغير الاجتماعى وضبطه

الجزء الأول

عناصر السلوك الاجتماعى

الفصل الأول : الشخصية

الفصل الثانى : الدوافع

الفصل الثالث : التفاعل



الفصل الأول

الشخصية(*)

اتساق(**) السلوك الإنساني

يقوم جزء كبير من البحث السيكلوجى على التغيير التجريبى المنظم من الموقف مع ملاحظة نوع السلوك الذى يستثيره . وسنرى فيما بعد أن الشخص الواحد فى الظروف المختلفة يكشف عن جوانب ضخمة من الاختلاف فى مقدار تعبيره عن العداء ، أو القلق ، أو المودة ، أو السيطرة . ومن ناحية ثانية ، فإن الأفراد لا يستجيبون فى الموقف الواحد (كموقف المحاضرة) بنفس الطريقة . وفضلا عن هذا وذاك فإن ملاحظة نفس الأفراد فى موقف آخر تبين أنهم يتصرفون نفس تصرفهم فى مواقف سابقة (فالذين يبدو عليهم الضجر فى المحاضرة ، يشعرون أيضاً بالضجر فى درس دينى ، أو خطبة فى احتفال رسمى) . فإذا أمكن اكتشاف نوع من الاتساق فى سائر تلك المواقف ، فإن لنا أن نتنبأ بالطريقة التى يحتمل أن يتصرف بها شخص ما فى مجموعة أخرى من المواقف المشابهة . ويمكن ، بالطبع ، وجود عوامل أخرى فبعض المحاضرين غير مترابطين ، وبعض المحاضرات بها من الضحالة ما يجعل نسبة كبيرة من الحاضرين على درجة مرتفعة من الضجر . ولكى نتنبأ لشخص معين بأنه سيصاب بالضجر فى مناسبة معينة فإننا نحتاج لمعرفة خصائصه الشخصية ، وطبيعة الموقف كليهما . إذ بينما يختلف سلوك معين نتيجة لما يفرضه الموقف ، فإن أحد الأشخاص قد يستجيب بطريقة متسقة من

(*) Personality

(**) Consistency

الذكاء ، أو الحول ، أو التوتر العصابى ، وتختلف عن الطريقة التى يستجيب بها الشخص الآخر . وهناك فى الحقيقة دليل واضح على أن استجابات الناس للمواقف المختلفة تحدث بطريقة متسقة . فاستجاباتهم ليست مجرد أفعال انعكاسية شرطية منعزلة كما كان متصوراً من قبل . ويعتبر التحليل العاملى (*) لسمات الشخصية من أقوى البراهين على مثل هذا الاتساق . ويتم **التحليل العاملى** بأن نعطى مثلا مائة شخص أو أكثر عدداً من الاختبارات ، أو نرى سلوكهم فى عدد من المواقف المختلفة . ونحسب معامل الارتباط بين كل إختبار وبقية الاختبارات ، فنجد أن الاختبارات لا يستقل بعضها من البعض الآخر ، ولكنها تميل للتجمع معاً فى مجموعات أو « عوامل » ففى داخل كل مجموعة ترتبط الاختبارات ارتباطا مرتفعاً بعضها بالبعض الآخر ، ولكنها لا ترتبط باختبارات المجموعات الأخرى . ويوجد فى بعض مجالات السلوك كالذكاء[1] ** ، والميــــل العصابى[2] اتساق واضح : إذ ترتبط اختبارات كل منهما فيما بينها ارتباطاً مرتفعاً ، لكى تشكل عوامل مستقلة .

سمات الشخصية وعلاقاتها

سنتجه الآن لمناقشة بعض التفصيلات المتعلقة بدراسة سمات الشخصية فبعد حساب معاملات الارتباط بين عدد من الاختبارات تبـــلور المشكلة فى اكتشاف العوامل الرئيسية المسئولة عن الارتباطات المتجمعة . وهناك إجراء رياضى مباشر لاستخلاص العامل الأول ، الذى تتمثل فيه الخصائص العامة لكل الاختبارات المستخدمة . وتتمثل فى العـــامل الثانى بالمثل الخصائص العامة

(*) Factor analysis

(**) يشير الرقم إلى رقم المرجع فى نهاية الكتاب من نفس الفصل .

لمجموعة الاختبارات التى لم يتضمنها تباين العامل الأول وهكذا بالنسبة لبقية العوامل(*) .

ويسمى هذا الأسلوب بأسلوب التحليلات العاملية من الدرجة الأولى(**) . وهو مع هذا لا يمثل الحل الأمثل ، لأنه لا يعكس(***) إلا الاختبارات المستخدمة ؛ ويفشل فى إعطاء مجموعة من العوامل الثابتة « غير المتباينة » ، لهذا يتم غالباً « تدوير المحاور »(****) اى يتم بعبارة أخرى تجميع المتغيرات فى عوامل نهائية معدلة ، لإعطاء حل أكثر ثباتاً ، وتفوقاً . وهذه النقطة بالذات من التحليل العاملى (أى تدوير المحاور) هى التى تجعل من التحليل العاملى فناً أكثر منه علماً لأن إعطاء معنى سيكولوجى للعوامل المستخلصة تتوقف على بعض العناصر الذاتية فى التفسير .

وقد انتقد التحليل العاملى كثيراً . ومن جوانب النقد الموجهة له أن هناك نتائج مختلفة يمكن الوصول إليها من نفس البيانات . ومنها أن الأساس الرياضى نفسه غامض .

ومن ناحية أخرى ، فإن فائدته كبيرة جداً فى إطلاعنا على العوامل المستقلة التى تتدخل فى مجال معين : فمثلا تبين أن هناك ثلاثة عوامل فى القابلية للايحاء ، وليس عامل عام واحد[٣] . كما انه يعرفنا بمدى الاتساق فى مجال معين . وبفضله أمكننا أن نعرف أن هناك اتساقاً فى العامل العام للذكاء ، بينما لا يظهر هذا الاتساق فى الأمانة مثلا .

(*) الاشارة هنا إلى الطريقة المركزية فى التحليل العاملى وللمزيد من التفاصيل أنظر المرجع (٥) .

(**) First order analysis .

(***) Reflect .

(****) Rotation of the axes .

وهناك شكل مبسط من أشكال التحليل العاملي . يقوم على أساس رياضي مباشر وهو « تحليل التزامل »(*) وفي هـذا النوع من التحليل لا نستخلص عوامل من الدرجة الأولى ، ولكننا ببساطة نحاول أن نبحث بطريقة منظمة عن المتغيرات التي ترتبط بعضها بالبعض الآخر ارتباطاً مرتفعاً . ولا نحتاج هنا إلى أن نبين أن « الزمـــلات » المستخلصة يستقل بعضها عن البعض الآخر لأن هدفنا يتجه ببساطة إلى اكتشاف المتغيرات التي تنتمي لبعضها . وهناك أساليب متعددة لاكتشاف مثل هذا النوع من الزملات[٥] .

وقد ساعد ايزنك على تطوير التحليل العاملي لسمات الشخصية بطريقـــة معينة[١] . وتقوم طريقته على وضع بُعد(**) افتراضي معين ، باستخدام عدد ضخم من الاختبارات المترابطة مثل اختبارات العصابية . ثم يستخلص العامل الأول العام ويقوم بتدويره ليصل به إلى أقصى درجات التمييز بين الجماعات المحك (وهي في هذه الحالة جماعات العصابيين والأسوياء) وقد يغري اختيار الاختبارات المستخدمة في هـذه الطريقة بالإيحاء بأن العوامل المستخلصة ما هي إلا محصلة للاختبارات التي أجرى عليها التحليل ولكن المثال السابق الخاص بعوامل القابلية للايحاء يشجب هذا التصور . ويساعد استخدام الجمـاعات — المحك على تجنب الذاتية التي تفرضها طرق التدوير المختلفة ، كما أنه يساعد على تقدير صدق العوامل المستخلصة . ومن عيوب هذه الطريقة أنها تنتهي إلى استخراج عوامل ذات مدى متسع تعبر تقريباً عن كل جوانب السلوك ، لكنها أيضاً على قدر من الضعف بحيث لا تعبر عنه كثيراً .

فإذا بلغ معامل الارتباط بين اختبار للعصـــابية ، أو الانبساط بالأداء

(*) Glusters analysis

(**) Dimension .

على أحد الاختبارات ٠,٣ فإن معنى هذا أن هذا الارتباط لا يستوعب أكثر من ٩ ٪ من نسبة التباين الكلى لهذا الاختبار . لهذا السبب يفضل كثير من الباحثين العمل بالسمات النوعية .

وتصبح سمات الشخصية العامة عميقة الفائدة فى حالة المقارنة بين أعداد ضخمة من الناس فى مواقف الاختيار الشخصى أو البحث . وينبؤنا البحث العاملى عن أفضل الأبعاد التى يمكن استخدامها (أى الأبعاد التى تعطى تنبؤات مرتفعة) ، كما أنه يساعدنا على تحديد عدد الأبعاد المطلوبة ، وكيفية إرتباط تلك الأبعاد بغيرها من أبعاد الشخصية . ويكشف ايزنك مثلا أن الذهان ليس درجة مرتفعة من العصاب ، ولكنه بعد مستقل[٢] وتعتبر اختبارات الذكاء نموذجاً مثالياً لمسار البحث السيكولوجى فى الشخصية . فعلاوة على استكشاف عناصر الذكاء الرئيسية ، وارتباطاتها الإحصائية ، أمكن أيضاً الوصول إلى اختبارات صادقة ، كما أمكننا بالفعل أن نعرف بدقة النسبة المئوية من الأشخاص الذى تقع نسبة ذكائهم بين ١٣٠ و ١٤٠[١] .

ويرى بعض الباحثين أحياناً أن استخدام الأبعاد العامة يفشل فى فهم الفرد . فالفرد لا يزيد أحياناً عن كونه مجموعة من الدرجات على عدد من السمات النوعية : نسبة ذكائه مثلا ١٢٧ ، ودرجته فى العصابية ٢٥ وهكذا . ففى مواقف معينة . كمواقف الاختيار الشخصى لا نحتاج إلى أكثر من تلك الدرجات لكى نتمكن من الاقتراب كثيراً من الفرد .

وقد استخدم الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية هذه الطرق فى اختيار الضباط بنجاح عظيم ، بينما هجر الألمان أسلوبهم فى الاختيار القائم على المناهج الاكلينيكية المتعمقة . فإذا عرفنا ارتباط كل سمة بالنجاح فى عمل معين ، فأفضل طريقة للقيام بالاختيار تكون بالتطبيق الآلى للاختبار أو الاختبارات التى تقيس هذه السمة .

غير أن من الممكن الوصول إلى صورة مقنعة لشخصية الفرد لأغراض اكلينيكية إذا ما أولينا اهتمامنا للتفاعل بين الأبعاد . فوجود سمة معينة يؤدى إلى إثارة سلوك مختلف إذا وجدت هذه السمة مع سمة من نوع آخر . فالميل إلى السيطرة مثلا مع درجة مرتفعة من الميول الاجتماعية يؤدى إلى ظهور شكل من التعاون ، والقدرة على القيادة ، والقدرة على التوجيه ؛ أما إذا كان الميل إلى السيطرة مصحوباً بدرجة منخفضة من الميل الاجتماعى (البرودة) فإنه يتخذ شكل الميل إلى النقد ، والتثبيط ، والحكم .

وقد كشفت البحوث على الاختبارات مثل إختبار الشخصية المتعدد الأوجه(*) ، واختبار كاليفورنيا(**) للشخصية ، أن هناك صفحات نفسية لأفراد معينين (لعدد من الاختبارات الفرعية) لها خصائص متميزة[٦] .

ومن الممكن فى مجال القدرات الانسانية أن نصل إلى تفسيرين عامليين مختلفين تماماً وكلاهما مقنع من وجهة نظر إحصائية . فغالبية علماء النفس الإنجليزى فى بحوث قياس الذكاء يفضلون استخلاص عامل عام للذكاء — تتمثل فيه أقصى درجات التباين المشترك — مع عدد أقل أهمية من « العوامل الطائفية » المختصة ببعض المجالات النوعية كالقدرات المكانية أو اللفظية وغيرها .

أما علماء النفس الأمريكى فيفضلون أسلوب الصفحة النفسية باستخدام حوالى سبعة أو ثمانية من عوامل متعددة ، لها نفس الوزن ، وغير مستقلة ، وتوضح قدرات الشخصية فى عدد من المجالات[١] . وتبرز قيمة الأسلوب الأول فى أنه يعطينا مقياسا نقيا للقدرة مجردة عن المهارات الخاصة فى مجالاتها النوعية . أما الأسلوب الثانى فيتيح لنا فى مجال الاختيار الشخصى — الاستفادة من الحقيقة

(*) MMPI .

(**) California Personality Inventory .

بأن : القدرات **لا ترتبط** ارتباطا كاملا ، **وأن أقصى فائدة** نستطيع **أن نجدها** **من** اختبارات القــدرات تــكون من **بين** تلك **التى تجمع جوانب معينة من المواهب** .

ويمكن قياس أبعاد القــدرات ، والسمات التعبيرية ، **أو الدافع** بوضع **الأشخاص فى أى** موقف **معين** يساعد **على** ظهور الفروق الفردية **فى الاستجابة** ، **التى** ترتبط بالعامل المطلوب . ونستخدم فى الغالب اختبــارات من نوع الاستخبارات والاختبارات الاسقاطية ، واختبارات السلوك الموضوعية . ولــكى يــكون الاختبار على درجة من الــكفاءة يجب **أن يكون صادقا**(*) **أى أن** يقيس ما وضع لقياسه . ويمــكن تقدير صدق **الاختبار** بقدرته على التمييز بين **مجموعتين متناقضتين من الأشخاص** مثل المصابيين والأسوياء . **أو** بإيجاد معامل الارتباط **بين** الاختبار ، وبعض المتغيرات الأخرى المساهمة فى تشكيل العامل . كما يجب **أن** يــكون الاختبار **ثابتا**(**) **أى** أن يعطى نفس الدرجة فى الظروف **المختلفة** ، **أو** مع مجربين **مختلفين** ، **أو** مع درجة **الاختبار** . وتعتبر **الاستخبارات** سهلة فى تصميمها ، ومرتفعة فى ثباتها ، لــكنها منخفضة الصدق غالبا ، **فقد** يتلمس الأشخاص الإجابة الصادقة من المجرب ، وربما من أنفسهم . أما الاختبارات **الاسقاطية** فهى **على** قدر منخفض من الثبات والصدق ، ولــكنها تعتبر مقاييس ناجحة لقياس الدافع كما سيتضح فى الفصل القــادم . وتستخدم **الاختبارات الموضوعية** للســلوك الجماعى فى **الاختيار** الشخصى ، وتعطى نتائج وتنبؤات طيبة[٧] .

وسنعرض فى الفصل الحادى عشر لعملية الاختيار الشخصى .

(*) Valid .

(**) Reliable .

أنماط الشخصية وآلياتها

تنتمى قضية أنماط الشخصية إلى التاريخ المبكر لعلم النفس ، لكن هناك أنماطا معينة لا تزال مستخدمة . مما يدل على أن هذا التناول المبكر للشخصية لم يخل من المزايا .

لكن من عيوب تقسيم الناس إلى أنماط محددة كالانطواء ، أو الانبساط ، والسيطرة أو الخضوع أن هناك عدداً محدوداً من الأشخاص ممن ينتمون إلى الأطراف ، وأن الغالبية العظمى منهم يقعون فى مواقع متوسطة . ومن المفيد جداً الوصول إلى بعد متصل من الانطواء — الانبساط يحتل الناس عليه مواقع كمية ودرجات محددة ، كما هو الحال فى الذكاء . ونعرف الآن أن بعض الأنماط التى وضعت من قبل لا يمكن التعبير عنها فى شكل أبعاد إحصائية عامة . ومثل تلك الأنماط لا تفيدنا كثيراً فى معرفتنا بالسلوك الذى ينتظم من خلالها ، فمن المطلوب القيام بتحليل إحصائى للسمة قبل التقرير بأهمية نمط من الأنماط .

ومن الأنماط الشائعة التصنيف الذى وضعه « كريبلين Kraepelin » للأمراض العقلية . فإذ كان من المعتقد أن الاضطرابات العقلية تنشأ بسبب عوامل عضوية معينة (كما هو الحال فعلا فى بعضها) ، فإن استخدام « النمط » يعتبر أفضل من استخدام « البعد » . ويصدق أيضا نفس الاستنتاج فى حالة اختلاف أنواع العلاج وقابلية كل مرض للعلاج بطريقة دون الأخرى ، كما هو الحال فى العلاج النفسى أو العلاج بالكهرباء(*) . غير أن كثيراً من المرضى يكشفون عن أعراض متنوعة ، لهذا فإن جزءاً كبيراً من وقت الجلسات

(*) ECT

الأكلنيكية ينفق فى سبيل تحديد العرض المركزى وأصلح علاج له . فتبنى **التحليل — البعدى**(*) على ما سنوضح فيما بعد — يساعد على تبسيط إجراءات تشخيص الاضطرابات السلوكية . ويواجه علماء نفس الجريمة نفس المشكلات خاصة عندما يطلب منهم تقسيم الأشخاص إلى أنماط مختلفة للعلاج . وبالرغم من أنه لا يوجد اتفاق على نمط معين ، فإن من المفيد جداً إتخاذ القابلية للعلاج أو الاستجابة له كأساس للتصنيف .

وهناك فوائد معينة لأسلوب تنميط الشخصية فى مقابل أسلوب الأبعاد . فقد وجد أن بعض أنماط الاستجابة كأشكال التعليم الاجتماعى ، وآليات الدفاع ، تحدث عند بعض الناس فقط ، أى أنها ليست ميولا عالمية . ويشير المحللون النفسيون إلى مثل تلك العمليات ، دون اكتشاف الشروط العملية التى تؤدى إلى توقع حدوث تلك العمليات[٨] . أما علماء النفس الإحصائى فيفشلون فى الوصول إلى تلك العمليات بسبب تبنيهم للمسلمة : بأن القوانين الإحصائية تنطبق على كل الناس . وقد ابتكر الكاتب إجراءاً عملياً لاكتشاف مجموعة الأشخاص الذين تظهر لديهم عملية معينة[٩] . ومن شأن هذا الإجراء أن يساعد على وضع أسلوب جديد من التنميط .

وسنلاحظ فى أجزاء مختلفة من الكتاب أن بعض الاستجابات المحددة — كالميل إلى إلى المجاراة ، أو الانحراف ، أو التعصب القوى — إنما تتولد بسبب عدد من آليات(**) الشخصية وتتفاوت هذه الآليات فى تأثيراتها ، ويلعب كل منها دوراً فعالا فى نمط معين من الأشخاص وليس فى جميعهم .

(*) dimensional analysis .

(**) mechanisms .

أصول الشخصية

إن تحديد الأهمية النسبية للوراثة والبيئة فى تكوين الشخص لا زالت معلقة بالرغم من السنوات المتعددة من البحث فى هـــذا الموضوع ، ولو أن البرهان الذى تقدمه تجارب التوائم واضح بما لا يدع مجالا للشك فى الإشارة إلى أن كل جوانب الشخصية تخضع جزئياً للوراثة ، ولكن أهمية الوراثة تتفاوت بتفاوت الأشخاص واختلافاتهم .

ويعطى الباحثون وزناً كبيراً للوراثة فى الاضطرابات العقليـــة (الفصل السادس) . والانحراف (الفصل الخامس) . بينما نجد أن وزن الوراثة ضئيل للغاية فى حالة انحراف الأحداث . أما بعض أنواع الذهان مثل الفصام فتخضع للوراثة خضوعاً كاملا تقريباً . وتحتل سمات الشخصية العامة كالذكاء والعصاب موقعاً متوسطاً من حيث تأثير الوراثة والبيئة ، أما اتجاهات الشخصية والمعتقدات فهى تتحدد فى الغالب بسبب العوامل البيئية .

ويوضح البحث السيكلوجى — فضلا عن اكتشافه لأهمية الوراثة فى الجوانب المختلفة من الشخصية — الآليات الوراثية المسئولة . فالسمات العامة تورث بأسلوب الجينات المتعددة ، بينما تورث بعض الاضطرابات العقلية ، وبعض أشكال الضعف العقلى بطريقة الجينات المتنحية ، أو السائدة . وتبرز قيمة هذه المعرفة بشكل خاص فى حالة التوجيه الوراثى للأزواج الذين يهمهم معرفة احتمال وراثة أطفالهم لبعض الاضطرابات .

والخصائص غير الموروثة تعتبر مكتسبة ، خاصة خلال الطفولة نتيجة للخبرات الأسرية . وقد استلهمت نظرية التحليل النفسى كثيراً من جوانب البحث من

آثار عملية التطبيع الاجتماعى : كدراسة تأثير خبرات التدريب المبكر على الغذاء أو الإخراج . وبينما نجد أن ما تؤكده هذه النظرية من أهمية العلاقات بالوالدين صحيح ، فإن كثيراً من الفروض الخاصة غير صحيح . كذلك وجد أن كثيراً من فروض تلك النظرية ليست عامة أو عالمية كما كانت النظرية ترى . وكثير من النتائج الهامة التى تتعلق بتطور الشخصية ونموها لا يمكن تفسيرها تفسيراً واضحاً فى ضوء تلك النظرية . كما لا يمكن التنبؤ بها بالضرورة من مفاهيمها النظرية وذلك مثل : **تأثيرات التطبيع الاجتماعى القائم على الخضوع فى مقابل التطبيع الاجتماعى القائم على الدقة والصرامة او النتائج المختلفة التى يتركها ترتيب الميلاد** (*) وكمثال على الفروض التحليلية التى تبين خطؤها الفرض بأن الخبرات الصدمية المبكرة فى التدريب على الإخراج تؤدى إلى شخصية شرجية فيما بعد . وتبين كذلك أن عقدة أوديب ليست عالمية[١١] . غير أن نظرية التحليل النفسى لا تزال مع هذا مصدرا ثريا للفروض خاصة عن بعض العقد النفسية ، والعمليات غير العالمية كالامتصاص(**) الذى سنناقشه بعد قليل . وسنعرض للنتائج الأخرى الأساسية للتطبيع الإجتماعى فى الفصل التاسع ، وللمنهج الفرويدى فى تفسير حالات الدافع فى الفصل الثانى ، ولقيمة العلاج بالتحليل النفسى فى الفصل السادس .

وقد أجريت بحوث حديثة عن تأثير التطبيع الإجتماعى فى إطار نظرية التعلم وذلك بالاعتماد على ملاحظة سلوك الفئران فى المتاهات . وقد ساعدت هذه البحوث على تحويل الاهتمام إلى تأثير أنماط الثواب والعقاب بدلا من التدرب على التغذية أو الإخراج .

(*) birth order .

(**) Introjection .

ولا شك أن القيمة الرئيسية للنظرية تكون فى تنوع المتغيرات التى توحى بدراستها ، وبالفروض التى تضمها للاختبار ، وبعض جوانب التطبيع الاجتماعى يمكن بالطبع فهمها فى ضوء نظرية التعلم . وهناك أمثلة متعددة تدل على نجاح نظرية التعلم فى تفسير تلك الجوانب **منها** مثلا : أن الفطام بعد فترة طويلة من الرضاعة بالثدى يحدث آثارا ضارة ، **ومنها** : أن الجنوح ، وضعف الوازع الخلقى ينتج بسبب ضعف التدريب والنظام أو عدم اتساق أسلوب التطبيع. ويمكن الامتداد بنظرية التعلم فى دراسة بعض الظواهر فى هذا الميدان التى أمكن تفسيرها تحليلياً نفسياً . ونظرية الصراع والإبدال(*) مثال طيب على هذا (الفصل الرابع) ومن الممكن باستخدام فروض إضافية تفسير كل معطيات التطبيع الاجتماعى فى إطار الثواب والعقاب من نظرية التعلم ، ولو أن هذا لم يتحقق بعد . فمثلا لماذا يتكون الضمير بسبب العقاب النفسى ، ولا يتكون بسبب العقاب الجسمى ؟ ولماذ يتوحد الأطفال بأشخاص لم يلتقوا بهم من قبل ، ودون تدعيم واضح ؟ .

ولتفسير هذه المعطيات وغيرها سنعرض لنوعين من أنواع التعلم الاجتماعى الذى يحتمل تحليله أيضاً فى ضوء العمليات الأساسية للتعلم . وفى هذا المستوى من التحليل نستطيع وضع المبادىء العملية التى تحكم التعلم الذى يحدث فى المواقف الاجتماعية .

النوع الأول من التعلم الاجتماعى : التعلم عن **طريق التوحد**(**) فعادة — كما سنرى فى الفصل الثالث — ما يمتثل **الأشخاص** لمعايير الجماعة التى ينتمون إليها غير أنه قد تبين أن مثل هؤلاء الأشخاص غالبا ما يتصرفون بطريقة مختلفة بعيدا عن الجماعة فهم ينصاعون ظاهريا لها دون إدماج حقيقى لها . وهنا لا يجب أن

(*) displaceemnt .

(**) Identification .

أن نتحدث عن حدوث التعلم ، لأنه لا يحدث إلا فى حالة الإدماج الداخلى(*) . ولم يتم حتى الآن الفهم الكامل للشروط التى تحكم هذا الإدماج ، والعمليات السيكلوجية الداخلة فيه . ويبدو أن التوحد يشكل جزءا هاما من هذه العملية ، عندما يتخذ شخص من شخص قدوة يحتذيها . ويشعر بالقصور إذا فشل فى احتذاء هذا النموذج ، ويحدث هذا غالباً عندالاحتكاك المستمر والاتصال الوثيق بالنموذج . وعندما يكون النموذج نفسه ناجحا وقويا ، وحينما يفتقر الشخص إلى الإحساس بالثقة بالنفس(١٣) .

وتنطبق كل هذه الشروط على علاقات الأطفال بوالديهم من نفس الجنس حيث يوجد فى الحقيقة توحد قوى بهم . وعند حدوث هذا التوحد يميل الطفل إلى اكتساب الدافع ، والعدوان وبعض الخصائص الأخرى للوالد . ومن المعروف أن أحد أنماط الجناح تنتج بسبب أنواع خاطئة من التوحد . **والنوع الثانى** من التعلم الإجتماعى يكون عن طريق : **الامتصاص**(**) ووفق هذا **النوع** يستجيب الشخص ا مثلا لنفسه كما استجاب الشخص ب لـ ا . وقد يكون ب أبا أو أى شخص آخر على صلة وثيقة بالشخص ب ، أو يعتمد عليه . وقد أجرى الكاتب تجربة توضح هذه العملية :

طلب من مجموعة من الأطفال ترتيب مجموعة من الأفعال الخاطئة بحسب شعورهم **بالذنب** إذا قاموا بها ، وطلب من الوالدين ترتيب المواقف بحسب شيوع استخدام أساليب التنظيم المختلفة . وقد تبين وجود دليل قوى بين طفل واحد من كل ثلاثة على الامتصاص للأفعال التى كان يسخر الآباء منهم عند القيام بها .

(*) Internalisation .

(**) Introjection .

وعبروا عن العدوان على الذات فى الأشياء التى كانوا يوبخون عليها ويؤنبون[١٣] .

ويعتبر هذا مثالا طيبا للبحث فى عمليات ليست عامة أو عالمية ، ويمكن منه الوصول إلى نتائج إحصائية محددة لكل شخص على حدة . وسنرى فيما بعد أن الامتصاص يمكن أن يفسر بعض جوانب الدافع إلى التحصيل(*) (الفصل الثانى) ، والعدوان على الذات (الفصل الرابع) ، وتكوين الضمير الخلق (الفصل التاسع) .

وعندما نناقش فيما بعد عملية إعادة التطبيع ، أو تدريب البالغين . سنقدم مبدأين آخريين للتعلم هما : التعلم المعرفى(**) . والتعلم بوسائل الاستثارة الانفعالية(***) (الفصل العاشر) .

(*) Achievement .

(**) Cognitive learning .

(***) Emotional arousal .

الفصل الثانى

دوافع السلوك الاجتماعى(*)

قد يسلك الشخص الواحد بطرق مختلفة تماماً عندما يواجهه موقف مشابه . مثال هذا أن الطريقة التى يستجيب بها شخص معين قبل تقديم وجبة من الطعام أو بعدها تختلف تماماً عن استجاباته فى المواقف المماثلة . وتشارك درجة إشباع حافز الجوع فى التغيير من الاستجابة . فقد تبين على المستوى الفسيولوجى - إختلاف ضغط الدم فى الشخص الواحد فى حالة الجوع عنه فى حالة الشبع .

ومثال آخر نشاهده بين الناس فى مواقف المفاضلة بين المال والمركز عند اختيار عمل معين . إذ تختلف أهدافهم ، وجوانب اختيارهم . فتفسير التنوع فى سلوك الشخص الواحد فى الأوقات المختلفة (كما فى المثال الأول) ، وتفسير جوانب الاختلاف الدائمة بين الناس فى الأهداف التى يحاولون تحقيقها (كما فى المثال الثانى) هما السببان الرئيسيان فى الاهتمام بالدافع فى البحث السيكلوجى . ومن إحدى العلامات التى يستدل منها على وجود الدافع لدى شخص معين بعض الحاجات التى تسيطر عليه فى بعض اللحظات كالشعور بالجوع أو الوحدة . غير أن هناك بعض الدوافع التى تحدث على المستوى اللاشعورى فقد نشاهد شخصاً معيناً يحاول تحقيق بعض الأهداف ، ويقوم ببعض الاختبارات ، ولكنه لا يعى شعورياً بحاجاته الدافعة . وكمثال جيد على فعل هذا الدافع اللاشعورى تجربة قام المجرب فيها بتنويم أحد الأشخاص تنويماً صناعياً وأوحى له ساعتها أن يقوم مثلا

(*) The Motivation of Social Behaviour .

بفتح النافذة فى وقت محدد ثم طلب منه قبل إيقاظه بأن ينسى هذا الإيحاء . فلوحظ بعد انتهاء التنويم أنه يقوم فى الوقت المحدد لكى يفتح النافذة ولكن بدرجة عالية من الارتباك . وقد انتحل بعض الأسباب عندما سئل عن السبب فيما فعله . فمن الواضح أنه لم يكن يعى هنا الدافع الحقيقى لسلوكه ، كما أنه كان عرضة لاختلاق أسباب غير حقيقية لهذا السلوك . فالسلوك نتيجة لعمليات فسيولوجية — عصبية مركبة يظهر بعضها على المستوى الشعورى . وتقوم الطريقة الدارجة فى تفسير سلوك الناس على أساس أنهم يفعلون هذا الشىء أو ذاك بناءاً على رغبتهم ، أو شعورهم . وقد بين فرويد أن كثيراً من جوانب السلوك — خاصة السلوك العصابى — لا تحدث بتلك الطريقة البسيطة فالمريض بالحواز(*) لا يعرف سببا يجعله يداوم على غسيل يديه مرارا وتكرارا . وفى مثل هذه الحالات يمكن تبصير المريض با لآليات المؤدية إلى هذا السلوك . بعبارة أخرى فمن شأن التبصير(**) هنا أن يزيد من درجة الوضوح الشعورى للعمليات العصبية . ويحدث ميكانزم الكبت عندما تقوم بعض القيود السيكلوجية لمنع هذا الوضوح الشعورى ، كما فى حالة الإيحاء بأن ينسى الشخص المعلومات التى أعطيت له فى تجربة التنويم السابقة .

وبعض دوافع السلوك الإنسانى ودوافع كل السلوك الحيوانى ذات مصدر بيولوجى كالجوع والعطش والجنس . وتسود تلك الدوافع جميع الأنواع الحية. وهى ذات أساس بيولوجى — كيميائى . ويمكن اعتبارها : أساليب تنتظم ذاتيا ، وتحدث بطريقة آلية بهدف تحقيق توازن الماء ، أو السكر فى جسم الكائن الحى . وتعتبر الاستجابة لنقص معين كالماء مثلا : غريزية عند الحيوان ، أما فى حالة الإنسان فهى تخضع للتعلم ، لهذا فهى أكثر مرونة . غير أن الحوافز

(*) Obsession .

(**) Insight .

البيولوجية لا تفسر الغالبية العظمى من مظاهر السلوك التى سنشير إليها فى هذا الكتاب . ففى ظل شروط التقدم الحضارى يمكن إشباع الحاجات الإنسانية بشكل منتظم باستثناء الجنس لدى الصغار .

ولكى نوضح جوانب السلوك الاجتماعى اليومى من المفيد أن نفترض وجود **حوافز ثانوية أومكتسبة** (*) . فهذا أفضل من القول بأن « الناس يلعبون لأن لديهم حاجة للعب » ، وقد نجح البحث السيكلوجى فى قياس بعض الحاجات ، وفى اكتشاف مصادرها ، والشروط التى تساعد على استثارتها . وهذه الحوافز ، ولو أن لها أساسها الفسيولوجى ، فإن هذا الأساس يقتصر على المستويات العليا من الجهاز العصبى المركزى : وليس لها أساس بيو — كيميائى .

وبينما نجد أن الحوافز البيولوجية يمكن تعديلها بحيث يستطيع الشخص أن يتعلم إرضاء حوافزه بطريقة جديدة ، فإن الحـــوافز الثانوية تتضمن معها نمواً فى حاجات جديدة .

ويمكن النظر إلى الحوافز الثانوية على أنها طرق جديدة لإشباع الحوافز الأولية . ويتضح هذا فى المثال الأول . غير أن هذه الحوافز الجديدة تتخذ شكلا مستقلا عن كل الحوافز الأساسية . ومن الجدير بالملاحظة أن الدوافع الثانوية قد تتحول إلى دوافع قوية ، أقوى بكثير من الحوافز الأولية كما فى حالة التضحية بالنفس أو الاستشهاد . وسنوضح بعد قليل أن الأساس الفعلى للحوافز الثانوية ذو شكل مركب ، ويختلف من حالة إلى أخرى ، ولا يمكن تصوره فى ضوء معادلات بسيطة .

(*) Secondary or acquired drives .

وهناك مسألة أخرى هامة **تتعلق بتصنيف الحوافز المكتسبة** . فقد وضع علماء النفس قوائم طويلة أو قصيرة بأنواع الحوافز المكتسبة : لكن اختيار أفضل الطرق لتصنيفها لا يزال بعد مسألة تحتاج للبحث المناسب . وقد لقيت بعض الحوافز اهتماماً ضخماً ، وذلك مثل: التحصيل(*)، والانتماء(**)، والقوة(***). وسنبين فى الفصول القادمة أن هذه الحوافز الثلاثة السابقة تفسر جانباً كبيراً من التنوع فى السلوك الاجتماعى فى الجماعات مثلا ، بحيث يجب إعطاؤها موقعاً هاماً فى أى محاولة نهائية لتصنيف الدوافع . ومن الملفت للنظر أن الاهتمام — فى الوقت الراهن — بالحاجة إلى المال لا زال اهتماماً ضئيلا للغاية ، ولو أن وظائف تلك الحاجة — فيما هو مرجح — لا تقل فاعليتها عن الحاجات التى أشرنا إليها .

وتعتبر الحوافز الاجتماعية من الخصائص الثابتة فى الفرد . ولكنها تختلف فى درجة قوتها من وقت إلى آخر بحسب الحوادث البيئية التى أثارتها أو أشبعتها . وينطبق نفس القول على الحاجات البيولوجية : فقد تزداد لدى شخص ما الرغبة فى الطعام أو فى النشاط الجنسى ، ولكن حافزه يختلف بحسب الوقت الذى انقضى منذ تناوله للطعام ، أو روائح الطعام التى تستثير شهيته . فحالة الدافع عند الشخص تعتبر حصيلة للمستوى العادى للشخص — كما يقدر فى ظل شروط مقننة — فضلا عن درجة الاستثارة الراهنة .

ويمكن استثارة الحوافز البيولوجية بطريقتين : الحرمان ، أو باستثارة توقعات بالإشباع الكامل فى المستقبل القريب . كذلك يمكن استثارة الدوافع الثانوية بنفس الأسلوب تقريبا . **فالحاجة للتحصيل مثلا** يمكن استثارتها بسبب

(*) Achievement .

(**) Affiliation .

(***) Power .

الفشل التجريبى (الحرمان من النجاح) أو بإعطاء الأشخاص عدداً من الأعمال وإثارة شعورهم بأهميتها فى ضوء بعض المعايير كما فى حالة اختبـــار الذكاء أو « القيادة » . ومن الطريف أن مثل هذا النوع من الاستثارة قد يتخذ إما شكل « أمل فى نجاح » أو « خوف من فشل » . أما بالنسبة لدافع الانتماء ، مثلا ، فإن من الممكن استثارة الخوف من الرفض بوضع اختبار سوسيومترى(*) (لتقدير شعبية الفرد فى الجماعة) ، ويمكن استثارة الآمال فى تقبل الجماعة بحديث عن منافع الحياة مع الجماعة .

ويمكن بالطبع إشباع الحوافز الثانوية فى الاتجاه المطلوب . فالحاجة للانتماء مثلا يمكن تحقيقها من خلال التفاعل فى جماعة متماسكة ... وهكذا . ومن ناحية أخرى يسود لدى الناس ميل إلى صياغة أهداف جديدة لأنفسهم عندما يمكنهم تحقيق هدف معين . وقد تأيدت هذه الحقيقة تجريبيا فى دراسات مستوى الطموح إذ وجد أن الأشخاص يتوقعون لأنفسهم فى المستقبل أداء افضل عن المستوى الذى أنجزوه فى محاولاتهم السابقة[1] . ويبدو فى الحقيقة أن من عناصر الطبيعة الإنسانية — فى العالم المتحضر — أن لا يرضى الناس بمجرد إشباع رغباتهم الراهنة ، لكنهم يتبنون غالباً رغبات أعمق يحاولون إشباعها . كما يضعون لأنفسهم أهدافاً بعيدة يحاولون تحقيقها .

قياس الحوافز الثانوية

الأسلوب الشائع فى قياس الدافع يقوم على أساس وضع الكائن فى سلسلة من مواقف للاختيار ، لكى يتحدد اتجاه اختياره . فيمكن مثلا تقديم الطعام

(*) Sociometry .

والماء للفئران لكى يلاحظ إتجاه اختبارها . ويمكن تقدير قوة دوافعها بوضع تيار كهربائى يفرض عليها التوقف عن الوصول إلى الهدف وهو : الماء أو الطعام ، أو فئران من الجنس الآخر ، أو متاهات أخرى مثيرة للاهتمام . ودائماً ما يواجه البشر فى مواقف الحياة الفعلية بمثل هذا النوع من ضرورة الاختيار . ويمكن للطبيب النفسى أو لأحد الأصدقاء أن يضع قائمة بحوافز شخص معين بحسب أهميتها لدى هذا الشخص . ويمكن تقدير تلك الحوافز فى مواقف اجتماعية مقننة عن طريق المناقشات التى تدور فى جماعة صغيرة مثلا ، أو وضع مقاييس أخرى لتقدير صدق ملاحظات هذا النوع من السلوك الإجتماعى .

وتعتبر **الاستخبارات**(*) من أيسر سبل القياس ، بالرغم من أنها لا تلمس إلا الجوانب الشعورية من الحافز ، وأن درجة صدقها ضئيلة . ومن بعض المحاولات المبكرة لقياس الدوافع بهذه الطريقة مجموعة من الأسئلة تحدد التوازن بين الحافز إلى المال وغيره من الحوافز . من هذه الأسئلة : « كم تريد أن يدفع لك فى مقابل التجرد من ملابسك فى مكان للعبادة ! » صحيح أن الفكرة تبدو معقولة لكن الإجابات تكون غير واقعية . ومن الدوافع التى أمكن دراستها بهذه الطريقة : الدافع الأول فى قائمة الدوافع الثانوية : وهو الدافع إلى التحصيل الذى تكون له الفاعلية الأساسية فى مواقف النجاح والفشل ، ومواقف المنافسة مع الآخرين ، أو مواقف التفوق على معايير معينة . وتتضمن « بطارية اختبارات كاليفورنيا[٢] »(**) للشخصية استخباراً لقياس هذا الدافع ، وتدل نتائج الارتباط المتسقة بين الدرجة على هذا الاستخبار ، والنجاح الدراسى القائم على الذكاء على ارتفاع معامل صدقه ، بعبارة أخرى فإن أصحاب الدرجات المرتفعة كانوا يرتفعون

(*) questionnaires .

(**) California Personality Inventory

أيضا فى مقدار التحصيل الدراسى القائم على الذكاء ، أى أن الحاجة للتحصيل قد تتخذ صوراً متعددة منها : التفوق الأكاديمى بين الأطفال والطلاب فى المجتمع الغربى . ومنها أيضا الدافع للتفوق فى لعبة السكروكيت أو غيرها .

وهناك استخبارات أخرى لقياس **الدافع الى القوة** ، أى مقدار الرغبة فى السيطرة وفرض التأثير فى المواقف الاجتماعية . وتقيس الدرجة المنخفضة من هذا النوع من الاستخبارات درجة الاعتماد فى الشخصية ، أى رغبة الشخص فى أن يضبط الآخرون سلوكه ، أو أن يقدموا له الرعاية ، ويوجهوه فى أعماله . وتتضمن بطارية كاليفورنيا السابقة مقاييس « للسيطرة» و « الرغبة فى المركز » ، وترتبط الدرجات على هذه المقاييس بالأحكام التى وضعت لتقدير الأشخاص على القيادة والسيطرة فى مواقف الجماعات الصغيرة . وقد أجرى «شوتز» Schutz [٣] دراسة طريفة استطاع من خلالها أن يضع مجموعة من الاستخبارات استطاعت التنبؤ بدرجة الشخص فى ضبط سلوك الجماعة أو العكس فى المواقف الاجتماعية

أما **الدافع للانتماء** فيختص بحافز البحث عن مواقف إجتماعية عميقة ، ودافئة ووثيقة ، والبحث عن التقبل وحب الآخرين . وتبين المواقف الاجتماعية أن هناك بعض الأشخاص يبدون إهتمامهم الأساسى بتوثيق علاقاتهم الودية بأفراد الجماعة فى مقابل بعض الأشخاص الآخرين ممن يكون سعيهم الأساسى إلى محاولة السيطرة ، والاستحواذ على عمل الجماعة . ويمكن التنبؤ بهذا الدافع بأحد مقاييس « شوتز » Schutz وبأحد مقاييس بطارية كاليفورنيا . وبالرغم من وجود عدد كبير من الاختبارات لقياس هذا الدافع ، فإن المقياسين السابقين من أكثر المقاييس فى القدرة على التنبؤ . ويرجح أن يقيس مقياس الانبساط(*) لايزنك [٤]

(*) Eysenck Extraversion Scale .

الدافع للانتماء أيضاً . وعلى هذا فإن الحوافز الثانوية الثلاثة السابقة التي أصبحنا نعرف الآن عنها الكثير يمكن قياسها بدرجة مرتفعة من الصدق باستخدام الاستخبارات . ولم نتحدث عن معاملات ثباتها لسبب بسيط وهو أن الاستخبارات من هذا النوع دائماً يكون ثباتها مرتفعا . وغالبا ما تكون مشكلتها الأساسية في الصدق .

وهناك أسلوب آخر في تقدير حوافز الشخصية بوسائل **الاختبارات الاسقاطية** وفي هذا النوع من الاختبارات نعرض على الشخص مثلا صورة غامضة ، ويطلب منه كتابة أية قصة تطرأ على ذهنه لكي تصف ما يحدث في الصورة . وقد بين « ما كللاند » Maclelland [٥] أن عرض بطاقات هذا الاختبار[١](*) على مجموعة من الأشخاص بعد فشلهم في أداء بعض الاختبارات الأخر (بطريقة معدة تجريبيا) ؛ أدى إلى زيادة الأفكار المرتبطة بالتحصيل ، أي أن أشخاص الصورة أمكن تخيلهم — بعبارة أخرى — بأنهم يعملون لتحقيق أهداف مستقبلية ، ويحاولون التغلب على العقبات ، ويتصارعون مع الناس الآخرين ... وهكذا . وقد استخدمت في هذا بطاقات اختبار تفهم الموضوع ، أو بطاقات مشابهة . ويتطلب كل حافز لقياسه بطاقات مختلفة :

الدافع للانتماء مثلا يحتاج إلى صورة تتمثل فيها بعض المواقف الاجتماعية . ويمكن الاطلاع على تفاصيل تصميم هذه الاختبارات ، وطرق تصميمها في أماكن أخرى[٦] .

ونجد من الضروري أن نعرض الآن لصدق هذا الاختبار ، خاصة وأن علماء النفس يقفون موقف تشكك من صدق هذا النوع من الاختبارات . ولعل أهم

(*) الاشارة هنا إلى اختبار تفهم الموضوع المعروف باسم اختبار الـ TAT .

مصادر هذا التشكك تختص بالعمليات السيكلوجية التي تثير هـــذه التخيلات باعتبارها — فى ضوء النظرية الفرويدية — نوعا من النشاط البديل يقوم به الأشخاص العاجزون عن التصرفات الواقعية . ومن غير الممـــكن بالمرة فى هذه الحالة أن نبدأ فهمنا للسلوك الظاهرى من خلال التخيلات . وكما سنرى فى الفصل الرابع ، فإن هناك شروطاً محددة تصبح فيها النظرية التحليلية صحيحة ، لـكننا نجد من الضرورى أن نعرض الآن للصدق السلوكى لإختبار تفهم الموضوع فى قياس هذا النوع من الحوافز .

لا شك فى أن استثارة هذه الحوافز (بسبب الفشل التجريبى مثلا) تؤثر فى مقاييس الدافع للتحصيل ، وأن إجراء فحص سوسيومترى لتقدير درجة « الجاذبية الاجتماعية »(*) للشخص فى الجماعة ، ستؤدى إلى زيادة الدافع للانتماء . وهناك دليل على أن الأشخاص الذين ترتفع لديهم التخيلات التحصيلية يميـــلون إلى الارتفاع فى التحصيل الأكاديمى ، ويـكون أداؤهم فى موقف التجربة وفى العمل أكثر حيوية ، ولو أن درجة التنبؤ ضعيفة . وبالمثل فقد تبين أن الأشخاص الذين ترتفع لديهم التخيلات الانتمائية يقضون وقتاً أطول فى نواحى النشاط الاجتماعى . وعلى أية حال فإن تحقيق بعض الفروض ، واتساق بعض النتائج على هذا الاختبار تضيف دليلا آخر على صدقه . غير أن معامل الثبات منخفض مما يجعل كل قيمته محصورة فى التقدير العام للأفراد .

أصول الحوافز الاجتماعية

قلنا بأن الحوافز السابقة مـكتسبة ، ويبقى الآن أن نـكشف بالدقة كيفية اكتسابها . وسنرى — عند عرضنا لبعض النقاط فى هذا الـكتاب — أن

(*) Publicicity

التحليل النفسى أو نظرية التعلم تعجز كلتاهما عن تفسير ظواهر التطبيع الاجتماعى فى الطفولة تفسيراً مقنعا . فعلى حسب نظرية التعلم مثلا نجد أن مثل هذه الدوافع تنشأ بسبب عوامل الثواب والعقاب عند ظهور السلوك الانتمائى مثلا . وبحسب نظرية التحليل النفسى نجد أن ظهوره يتوقف على أنماط العلاقات المبكرة بالوالدين . وسنفحص الآن الدليل وسنرى أن كلا النظريتين لا تجد ما يؤيدها تماما .

ولعل أهم التجارب التى وضعت للكشف عن **اكتساب الحوافز بطريق التعلم بالاثابة** : مجموعة من التجارب أجريت على القردة[8] . وقد استخدم إجراء عام فى هذه السلسلة من المحاولات التجريبية يقوم على استخدام صناديق البيع الآلية التى تعمل على إبراز أصابع من الموز أو حبات من الزبيب بعد وضع قطعة معدنية فى أحد الثقوب . وقد أمكن تعليم الشمبانزى على التعامل مع القطع المعدنية على أنها نقود ، وأمكن تحويل هذه القطع المعدنية إلى حوافز للشمبانزى ، كما أمكن للشمبانزى أن تتعلم أشياء جديدة باستخدام القطع المعدنية كإثابة لها عندما تقوم بالعمل الصحيح . غير أن هناك بعض العيوب فى هذا منها أن الحيوانات لا تقوم بالعمل للحصول على القطع المعدنية إلا فى حالة الجوع ، أو إذا كانت تلك القطع تؤدى إلى الطعام حالا . فضلا عن هذا فإن قيمة القطع المعدنية كانت تختفى إذا عجزت الشمبانزى عن الوصول إلى القطع المعدنية . وبهذا لا يعتبر هذا التصوير لدافع الحصول على المال ممثلا لنفس الدافع عند الإنسان . فحاجة الإنسان إلى المال تمثل دافعا مستقلا عن حاجاته البيولوجية الأولية فهو يعمل حتى عندما يكون غير جائع ، وعندما تكون البنوك مغلقة .

كذلك أمكن البحث فى **أصول دوافع التحصيل** وفق النموذج النظرى السابق القائم على الثواب والعقاب . إذ تبين فى أحد الدراسات أن الهدايا بعد النجاح

فى تحصيل معين أو المديح لا يؤديان إلى نمو الدافع للتحصيل ، لكن الثواب الوجدانى كالتقبيل أو العناق كانا أكثر فاعلية . وظهر فى نفس الدراسة أن العقاب ليس له تأثير بالمرة[٩] . وأجريت دراسة أخرى شيقة على ٥٢ مجتمعاً بدائياً[١٠] ، حيث جمعت القصص الشعبية ، وقدرت الأفكار التى تدل على وجود التحصيل ، فتبين أن فاعلية الثواب والعقاب ، فى نمو الدافع للتحصيل ترتهن بوجود أسلوب محدد من أساليب التطبيع الإجتماعى للأطفال ، وهو الأسلوب القائم على التصلب(*) ، وعدم التسامح(**) . ويعتبر النجاح الفعلى فى العمل من أنماط الثواب الأخرى الفعالة فى تنمية الدافع للتحصيل . إذ يرتفع الدافع للتحصيل لدى الأطفال الأذكياء ، ممن أتيحت لهم فرص سابقة للنجاح . وتكشف بضع تجارب عن ارتفاع الأداء فى إنجاز بعض الأعمال بعد استثارة خبرات للنجاح استثارة تجريبية .

وقد كشفت دراسات قام بها المؤلف والدكتور « روبنسون » D. Robinson [١١] أن هناك عمليتين أخريين تؤديان إلى استثارة الدافع للتحصيل .

اما العملية الأولى فتقوم على الاستفادة من الحقيقة بأن الأطفال **يتوحدون** بوالديهم بدرجة معينة ، بمعنى أنهم يتخذون من الآباء نماذج يحاكونها . فإذا كان الآباء أنفسهم من بين المرتفعين فى الطموح والجدية ، فإن أطفالهم يكتسبون نمطاً مشابهاً من الدوافع . ويمكن قياس التوحد بالوالدين من خلال التشابه بين **الصفات التى يصف بها الأطفال والديهم ، والصفات التى يضعونها للشخص الذى يرغبون فى أن يكونوا مثله .**

(*) Rigidity.　　(**) Intolerence .

فإذا كان الطفل يصف ذاته — المثـــالية — بنفس الطريقة التى يصف بها والديه ، فإن هذا يعتبر علامة على التوحد بالأب . وقد تأيد بالفعل هذا الفرض . فالأطفال الذين يقررون أن آباءهم طموحون وجادون ترتفع حاجتهم للتحصيل ، إذا كانوا متوحدين بالوالدين . وقد تبين أيضاً أن تأثير الأب أكبر من تأثير الأم ، وتأثير الأم أضعف ما يـكون على الابن لانخفاض درجة التوحد بها ، فالأولاد لا يحبون أن يـكونوا مثل الأم . فإذا أراد الوالدان لأبنائهم أن يـكونوا قادرين على العمل من خلال هذا التصور فإن عليهما أن يقوما بشيئين : أن يـكونوا هم أنفسهم من القادرين بالفعل على العمل الجاد ، وأن يقوموا بتهيئة الظروف التى تمـكن أطفالهم من التوحد بهم . فالتوحد يعتمد على شروط متعددة ومن اهم الشروط التى تؤدى إلى التوحد أن يـكون الأب مقيما فى المنزل ، وأن يقضى بعض الوقت مع أطفاله . وثانى هذه الشروط أن تـكون العلاقة بين الوالدين والطفل علاقة دافئة ومشبعة لـكلا الطرفين . كما يجب ثالثا أن يكون الأب للطفل على قدر مرتفع من الجاذبية ، والفعالية ، وأن يكون مقبولا وفق معايير التقبل الاجتماعية المحلية . وقد وجد على سبيل المثال أن أطفال المهاجرين يميلون إلى رفض آبائهم كنماذج ، لأن المجتمع ينظر إليهم على أنهم غرباء .

اما العملية الثانية فتختص بما يأتى : إذا وضـــع الأباء متطلبات صارمة للتحصيل ، ومعايير واضحة يجب تحقيقها ، فإن الطفل سيعمل على « امتصاص » تلك المتطلبات ، بمعنى أنه سيعمل على تبنيها لنفسه . وهذا الأمر يشابه إلى حد بعيد نظرية « تـكوين الضمير » الخلقى كما صاغها المحللون النفسيون . فالأباء يقفون من جوانب السلوك المختلفة موقف التشجيع ، أو المعارضة . ويضعون القيود على بعض الجوانب الأخرى من السلوك . وينتج عن هذا ، أن يبدأ الطفل بالتصرف نحو نفسه — عندما يكون وحيداً — بنفس الطريقة التى كان يتصرف

بها والداه نحوه . فإذا كان تصرفه مخالفاً لهذا ، فإنه ينتهى إلى معاداة نفسه ، والشعور بتأنيب الضمير .

ولاختبار صحة هـــذا الفرض طلبنا من مجموعة من الأطفال أن يقدروا شدة متطلبات والديهم فى التحصيل . فوجدنا أن الحـكم على هذه المتطلبات بالارتفاع يـكون مصحوباً بزيادة الدافعية لدى هؤلاء الأطفال . وتأيدت هذه النتيجة من باحثين آخرين فى الولايات المتحدة الأمريكية وجدوا أيضاً أن ارتفاع المعايير ، وقوة المتطلبات تتوقف على الوالدين . ومن الجوانب الشيقة فى نتائج بحثنا أن مثل هذا الدافع كان ذا أثر كبير فى نمو دافع التحصيل كما قيس باختبار الأسقاط الذى كان يطلب فيه من الأشخاص كتابة قصص عن مجموعة من الصور . ولم يتأثر أداؤهم على الاستخبار الذى أعد لقياس إهتمامهم الشعورى بالنجاح — وتفسير هذا فيما يبدو أن « الامتصاص » يخلق نمطاً من الدافع لا نحسه شعورياً ، وإنما ندركه فى شكل إحساس عام غامض بضرورة العمل الجاد . ويرجح أن فاعلية هذا النمط من التأثير تظهر تحت شروط معينة . ويكشف عدد من البحوث عن أن امتصاص الضمير يحدث فى الحالات التى تـكون فيها العلاقة بين الوالدين والطفل وثيقة ، وإعتمادية ، وصميمية ، وعندما يستجيب الوالدان للأخطاء بطريقة إنفعالية حادة ، تعبر عن خيبة الأمل ، وتوقف الحب .

وإذا انتقلنا **الى الدافع للانتماء** ، فإن الصورة تبدو أكثر تعقيداً. إذ يتشكل جزء كبير من الإختلاف فى سلوك الناس فى هذا الدافع بسبب عوامل وراثية .

فالإنبساط فيما يبدو يتحدد فى جانب من جوانبه بسبب عوامل وراثية وفق الدراسات على التوائم[١٢] . ومن الضرورى إذا كانت هناك حاجة إلى النمو على الإطلاق ، أن يتاح للطفل باستمرار مصاحبة الآخرين ، وأن لا يعامل من جانبهم بخشونة . وهناك سجلات لأربعين طفلا على الأقل ممن عاشوا طفولتهم

مع حيوانات كالذئاب تدل على أنهم كانوا شغوفين بالحياة مع الحيوانات دون الإنسان . ويفتقد السيكو باثيون بشدة لدافع الانتماء ويعبرون عن ذلك أحياناً بأنهم يفتقرون إلى الأصدقاء ولا يحتاجون لهم . ويدل البحث على أن هذا الفريق من الناس إما أن يكون قد نشأ يتيماً ، أو نشأ فى منزل كان يعامل فيه بقسوة بالغة [١٣] .

ونعالج نظرية التحليل النفسى السلوك الانتمائى على أنه نوع من « الخلق الفمى »(*) بسبب الرضاعة من الثدى فترة طويلة . (وإذا ترجمنا هذا فى ضوء نظرية التعلم يمكن القول بأن تخفيض الجوع يؤدى إلى تدعيم الرغبة فى الإتصال الإجتماعى بالأم ، ويعم هذا بعد ذلك على المواقف الإجتماعية الأخرى) . وهناك فى الحقيقة دراسة[١٤] كشفت عن وجود علاقة إرتباطية إيجابية بين الفطام المتأخر والميل إلى الإجتماع بالاخرين ، وبين الاعتماد والرضاعة . وهناك دراسة أخرى كشفت عن وجود علاقة بين حركات الفم غير القصدية وإظهار الاهتمام الشديد بالطعام (وهما علامتان على السلوك الفمى) ؛ وبين الحاجة إلى حب الاخرين ، والاعتماد عليهم[١٥] .

أما الصياغة العامة لنظرية التعلم فتنظر إلى الدافع إلى الانتماء على أنه نتيجة لنوع من أنواع الإثابة للسلوك الإنتمائى المبكر . وقد بين « شاشتر » Schachter [١٦] أن تدعيم هذا السلوك يقوم على تخفيض القلق ، وقام بعدد من التجارب الشيقة أيدت هذه الفكرة[١٦] . فى أحد هذه التجارب عرض على مجموعة من الطالبات اللائى قبلن التطوع للتجربة) بعض الأجهزة الكهربائية ، وأخبرهن بأنه سيعطيهن صدمة كهربائية . وفى أثناء انتظار التجربة ترك لهن

(*) Oral character .

حرية اختيار الانتظار فى الحجرة على انفراد أو مع بقية المتطوعات . فتبين أنه كلما إزدادت درجة القلق (عن طريق التعليمات) ، كلما مالت المتطوعات إلى الانتظار فى صحبة الأخريات ، مما يدل على أن القلق يستثير الاستجابة الانتمائية . كما وجد أن الأطفال الأوائل (البكارى) هم الذين يتأثرون أكثر من غيرهم بهذه الطريقة ويبدو أن الوالدين يهتمان بتخفيف القلق لدى هذا النوع من الأبناء أكثر من الإخوة الآخرين ، ويمكن النظر إلى الإلتجاء للمعالج النفسى على أنه استجابة إنتمائية لتجنب القلق . ومن الطريف أن نشير هنا إلى بعض النتائج التى تدل على أن نسبة الأطفال البكريين(*) الذين يذهبون للملاج النفسى ، تكون أكثر من نسبة الأطفال المتأخرين ، وهؤلاء يزداد لديهم شيوع تعاطى الخمور (كإستجابة لا إجتماعية لتجنب القلق) . فكلا النظريتين تربط الدافع للانتماء بأساليب الإشباع الوالدية المبكرة . غير أن السلوك الإنتمائى لا يتجه فى العادة نحو النسوة الكبار كما قد نتوقع من نتائج هاتين النظريتين — لكنه يتجه إلى أشخاص من العمر نفسه . ومع ذلك فلا توجد نظرية واحدة تستطيع أن تفسر الظهور المفاجىء للسلوك الإنتمائى حوالى الرابعة نحو زملاء اللعب المشابهين للشخص دون غيرهم .

أما دافع القوة فيمكن فهمه من خلال أحد البحوث عن السلوك التسلطى(**) ، والذى يلائم عرضه هذا السياق(١٧) . فقد وجد أن المرتفعين : فى هذا البعد يكونون من بين الأشخاص الذين ينشأون فى جو أسرى يميل فيه الوالدان للسيطرة ، وفرض المجاراة لمعايير السلوك التقليدية باستخدام أساليب خشنة وقاسية . أما الأبناء فيميلون للاعتماد على والديهم ، ويميلون للخضوع بعد

(*) First born .

(**) Authoritarian behaviour .

هذا للأشخاص الممثلين للسلطة . فظهور جوانب السلوك القائمة على البحث عن القوة والتأثير تقوم على التوحد المباشر بين الوالدين وعما كانهما .

وباختصار فإن هذه المناقشة للأصول الطفلية لدوافع التحصيل ، والإنتماء ، والقوة تبين أن كل حافز منها يكتسب بطريقة واحدة أو أكثر . وبينما نجد أن التحليل النفسى ونظرية التعلم ، وقد ترجمتا البحث فى هذا الميدان فإنه يبقى مع هــذا أن نكتشف الجوانب التى يدعمها البحث التجريبى من نظرية التحليل النفسى ، وأن نتأكد من صحة انطباق بعض الجوانب المحددة لنظرية التعلم أو مشتقاتها .

النتائج الاجتماعية للدوافع الاجتماعية

إفترض « ما كالاند »[٧١] إن المجتمعات التى تضع قيمة أكبر للتحصيل لدى الأطفال ، تتجه أيضاً إلى سرعة التطور الإقتصادى والصناعى . ولكى يتحقق من هذا الفرض جمع واحداً وعشرين قصة من قصص الأطفال الشائعة فى أربعين دولة ، وصحح هذه القصص وفق مجموع أفكار دوافع التحصيل التى تشيع فيها . والفرض النظرى فى هذا أن هذه القصص طالما أنها تشيع بين الأطفال فإنها تعتبر بهذا مقياسيا لبعض دوافعهم . فوجد أن درجات الدافع للتحصيل فى عام ١٩٢٥ ترتبط إرتباط إيجابيا (٠,٤٦) بمعدلات النمو الإقتصادى ، كزيادة توليد الكهرباء فى ربع القرن التالى . وينتهى « ماكلاند » من هذا إلى ضرورة وضع الخطوات المناسبة لزيادة الدافع للتحصيل بين أطفال الدول المتخلفة . وتبين له له أيضاً ان هناك فروقا فى الدافع بين الطوائف الدينية . فدوافع التحصيل لدى البروتستانت واليهود أقوى من مثيلتها لدى الكاثوليك . ويبين عدد آخر من الدراسات لما كللاند ومعاونيه أن هذا يعود إلى إختلاف أساليب تنشئة الأطفال .

فالـكاثوليك لا يتطلبون من أطفالهم تحصيلا مستقلا فى تلك السنوات المبـكرة كما تتطلب الطوائف الأخرى وربما يفسر هذا إنخفاض تطور التصنيع فى الدول الـكاثوليـكية كما هو الحال فى إيرلندا ، وأسبانيا ، وإيطاليا . ويفسر كذلك الموقع المنخفض الذى يحتله الـكاثوليك فى التنظيم الطبقى الإجتماعى فى كل من الولايات المتحدة ، وبريطانيا العظمى .

والآن ما هى النتائج الفردية والإجتماعية لارتفاع **الدافع للانتماء** ؟ .

يرتفع بعض الناس فى هذه الحاجة ، وينخفض البعض الآخر . وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن المرتفعين يبحثون عن الأصدقاء المناسبين والجماعات الإجتماعية التى يحتاجون إليها . وسنجد — كما سنرى فيما بعد — أن التنظيمات الإجتماعية الحديثة لا تولى إهتماما كبيرا لدافع الإنتماء ، مما يؤدى إلى تطور العلاقات الإجتماعية خارج إطار البناء الإجتماعى الرسمى .

وقد يكون إرتفاع الدافع للانتماء مصدرا للاشباع ، طالما ينجح الناس فى إقامة الروابط الإجتماعية الضرورية . وسنولى إهتمامنا فى الفصل القادم لأهم الطرق والشروط التى تساعد على إقرار تلك الروابط الإجتماعية .

ومن أحد نتائج إرتفاع الدافع للانتماء بالنسبة للمجتمع إرتفاع معدل الإنجاب لدى الأشخاص الذين ترتفع لديهم تلك الحاجة .

وقد تأيدت هذه النتيجة فى دراسة حضـــارية شاملة قام بها « ما كلاند» . ويرجع أيضاً أن وجود هذا الدافع ، لا يؤدى إلى تماسك الجماعات الإجتماعية الصغيرة فحسب ، بل إنه يؤدى إلى توثيق روابط المجتمع الـكبير بشكل عام ، كما أنه يقف وراء بعض الدعوات الإصلاحية فى رعاية كبار السن ، والصغار ، والمرضى ، وأعضاء الجماعات الهامشية .

ويميل الزائرون لإنجلترا إلى وصف الشعب الإنجليزى بأنه شعب بارد« غير ودود » . وتشيع هذه التعليقات غالبا بين الهنود وبعض الشعوب الشرقية ؛ فضلا عن الأمريكيين .

ويبدو أن هذا يعود إلى إنخفاض الدافع للانتماء لدى الشعب الإنجليزى . وتبين المعايير المنشورة لإختبار مودزلى للشخصية (*) بعد تطبيقه على عينة مكونة من ١٨٠٠ طالب إنجليزى و ١٣٠٠ طالب أمريكى أن الإنجليز يحصلون على درجات منخفضة على مقياس الأنبساط عن الأمريكيين ، وذلك بالرغم من أن البحث فى الطابع القومى للشخصية لا يزال حتى الآن فى بداياته . وأن هناك فروقا ضخمة بين الناس فى الدولة الواحدة . وربما يعود هذا إلى إختلاف عادات التعبير الانفعالى ، والتحية فالإنجليز يعبرون ببساطة عن مشاعرهم تعبيراً أقل .

اما الحاجة الى القوة فإن ظهورها يرتبط بمقدار ارتفاع تسلطية الشخص ، أى مقدار الإرتياح للاستجابة للناس والمواقف فى ضوء المركز الاجتماعى ، ومعايير السيطرة على الضعاف والخضوع للأقوياء فى النظام ؛ والارتياح للنظم ذات التنظيم الهرمى كما فى الجيش . والقوة حاجة اجتماعية تناسب الناس فى مجتمعات معينة ، ولا شك فى أن خاصية التنظيم الاجتماعى ستتخذ شكلا مختلفاً ، إذا ما تكاثر عدد الأشخاص المرتفعين فى هذا الدافع . وقد تأيد هذا التصور ببحث « ما كللاند » وجد فيه أن الدول التى تنتشر فيها قصص الأطفال المملوءة بأفكار القوة تحولت حكوماتها الآن إلى حكومات فردية[17] .

فإذا رغبنا فى تشكيل مجتمع من نوع ما ، فإن من أهم الجوانب التى يجب الإلتفات إليها هى تنشئة الأطفال بطريقة ملائمة ، ومن الخصائص التى تميز

(*) Maudsley Personality Inventory .

التسلطيين كراهيتهم للأقليات ، واتجاهاتهم العدائية نحو معاملة المساجين ، وتأييدهم للحرب ، وتشجيعهم للأحزاب السياسية الفاشية والتسلطية[١٨] . ومن الواضح إذن أن الصالح العام للمجتمع يتطلب عدم تشجيع هذا النمط من أنماط الشخصية على النمو .

الخلاصة

أدى اكتشاف الحوافز الإنسانية الثانوية إلى وضعنا فى موضع أفضل فى فهم السلوك الاجتماعى أكثر مما وضعنا فيه بعض علماء النفس الذين افترضوا أنه لا توجد لدى الإنسان إلا الدوافع الفسيولوجية الموجودة لدى الحيوانات الأخرى أو المحللين النفسيين الذين افترضوا أن الغريزة الجنسية هى الدافعة لكل جوانب السلوك الإنسانى . ولا زال هناك الكثير مما يجب اكتشافه لفهم الحوافز الثانوية كحافز البحث عن المال ، وإرضاء حب الاستطلاع ، والملكية . ويمكن النظر إلى اختلاف الطبيعة الإنسانية بين المجتمعات الحضارية المختلفة فى ضوء الفروق فى الدوافع الثانوية التى تتكون بسبب الفروق فى أساليب التنشئة . وتؤدى مثل هذه الفروق فى الدافع إلى نتائج هامة فى تطور المجتمع .

الفصل الثالث

السلوك التفاعلى (*)

يمكن تحليل الفروق الفردية فى السلوك الإجتماعى إلى فروق فى الدافع ، والقدرة ، والأسلوب التعبيرى. **ويشير الدافع** إلى الأهداف المرجوة ، **والقدرة** (**) إلى المهارة التى يتحقق بها هذا الهدف ، **والأسلوب** (***) إلى الطريقة التى يتم بها هذا . وقد خصصنا الفصل الثانى للدافع. ومن أهم الدوافع التى تتعلق بأغراض هذا الفصل : الحاجة إلى الإنتماء والحاجة إلى القوة . ويتمشى مع هذا التصور أن بضعة من الدراسات الإحصائية للسلوك الإجتماعى بينت أن البعدين الأساسيين اللذين يستوعبان التباين فى السلوك الاجتماعى هما : الدفء — البرود ، والقوة -- الاعتماد ، وهما تعبيران عن الدافعين السابقين فى مجال السلوك الاجتماعى[1] . ونجد من جهة أخرى أن نمط العلاقات الإجتماعية الذى يفضله الشخص ويبحث عنه لا يتفق مع نوع العلاقة التى يحققها بالفعل ، خاصة فى حالة القوة[2] . ويعتبر العدوان حافزاً آخر للسلوك الإجتماعى ، ولكنه على عكس الحوافز الأخرى لا يمكن إستثارته بسهولة ، لذلك فهو لا يعتبر عنصراً هاماً من عناصر السلوك الفردى . ويمكن النظر إلى كل دوافع العلاقات الشخصية هذه على أنها تمثل رغبات فى استجابة معينة من جانب الآخرين ، بأن يستجيبوا له مثلا بطريقة دافئة ، أو مستقبلة ، أو مؤثرة وغير ذلك .

(*) Interpersonal Behaviour .

(**) Ability .

(***) Style .

أما **القدرة أو المهارة** فى السلوك الإجتماعى فلم تدرس بعد دراسة وافية ، بالرغم من وجود دلائل على تفوق بعض الأشخاص فى أداء مهارات إجتماعية معينة كالاستبار والعلاج النفسى ، والإقناع ، والتعليم . لكن لم يتأيد بعد مقدار **العمومية** (*) فى هذه المهارات ، فهل الشخص المتفوق فى إحدى هذه المهارات يتفوق أيضاً فى غيرها ؟ . ومن المرجح أن الشخص الضعيف فى تقديره لإدراك الأشخاص الآخرين (فى حكمه مثلا على الانفعالات ، واستجاباته للآخرين واتجاهاته نحوهم) سيكون ضعيفاً أيضاً فى كل تلك المهارات . ويمكن اكتساب مهارات السلوك الإجتماعى بنفس طريقة إكتساب المهارات الأخرى وتعلمها كما فى حالة ملاحظة خبير ممارس ، أو شخص يحاول تطبيق بعض الأساليب التكنيكية بعد استماعه للتعليقات على أدائه . وتقدم بعض أساليب التدريب للمديرين ، والكتبة والاخصائيين الإجتماعيين على القيام بمناقشة الموقف الفعلى الذى سيواجه الشخص فى مهنته وعلى لعب الأدوار التى سيفرضها هذا الموقف . وقد قامت بعض المحاولات لزيادة الفاعلية على الحساسية الإجتماعية والمهارات بشكل عام بوسائل تحليل الجماعة لنفسها — المعروفة باسم « ديناميات الجماعة » (**)

ولكل شخص أسلوبه الخاص فى التفاعل ، أى فى وصوله إلى الاستجابات المرغوب فيها من الأشخاص الآخرين بطرقه الخاصة . ولم تعرف بعد الأبعاد الأساسية لهذا الجانب من السلوك . ومن الأمثلة على هذه السمات الأسلوبية : سرعة إجراء الحوار ، ومداه ؛ التباهى والاستعراض ، استخدام فنون معينة كالنكتة ، والإغاظة والتملق . ويبدو أن هذه السمات هى التى تلفت نظرنا للأشخاص الآخرين ، وهى الجوانب التى نتذكرها عنهم .

(*) generality .

(**) group dynamics .

ومن الحقائق المعروفة أن **الاضطرابات العقلية يمكن تحليلها وفق اضطرابات التفاعل الاجتماعي** . ففي هذا المجال تتأثر الشخصية تأثراً بالغاً ، ويؤدى الفشل فيها إلى الشعور بالكآبة ،وقد تقرر مثلا أن الأشخاص الذين يطلبون **العلاج النفسي (*)** هم الأشخاص الذين يبحثون عن الدفء ، لأن طريقة تعلمهم لسلوك التفاعل الإجتماعي كانت تمنعهم من فعل الأشياء الملائمة التي تجعل الآخرين يعبرون لهم عن حبهم (٣) . وبعبارة أخرى فمهاراتهم الاجتماعية غير مناسبة . **والسيكوباثيون** أيضاً يفتقرون إلى الحوافز الإنتمائية العادية بسبب قصور حساسيتهم الاجتماعية . أما **الفصاميين** وبعض حالات العصاب — فتتراكم لديهم خبرات غير سارة في العلاقة — مع الناس الاخرين ، وتضعف لديهم المهارات الإجتماعية . لهذا فهم ينسحبون كلية من الإتصال بالناس . ومن المرجح على أية حال ابتكار أساليب من التدريب ، تخلق لدى هؤلاء الأشخاص أساليب فعالة من الاتصال الإجتماعي .

اتساق السلوك التفاعلي للفرد

أشرنا إلى أن الشخص قد يتصرف بطريقة واحدة في المواقف الإجتماعية المختلفة . وهذا صحيح بصورة ما ، فالشخص الذي يرغب في التأثير في الاخرين في موقف يميل إلى نفس التصرف في المواقف المشابهة ؛ والشخص الذي يميل للحديث كثيراً في جماعة سيميل إلى ذلك أيضاً عندما يجتمع بجماعات أخرى . غير أن هذا الاتساق لا يحدث دائماً ، إذ توجد في بعض جوانب السلوك الفردى فروق بالغة من موقف إلى آخره . ووضوح هذه النقطة يقوم بإيجاز على الحقيقة بأن

(*) Pschotherapy .

السلوك وظيفة للشخصية والموقف : فكثير من المواقف لإجتماعية تستثير جوانب معينة من الشخصية ، وتتطلبها .

ويتكشف هذا بجلاء فى الأدوار المختلفة التى يستخدمها الشخص فى المواقف الاجتماعية المختلفة : ففى دقيقة واحد قد ينقلب الشخص من تلميذ طيع إلى قائد مستبد مسيطر على زملائه فى موقف آخر . فالمواقف هنا تتشكل من مواضعات إجتماعية متنوعة ، لكل منها تقاليدها الخاصة المقبولة . وحتى هنا أيضاً يوجد الإتساق : إذ تشير الخبرة العامة أن الأشخاص الذين يقومون بالقيادة المستبدة فى موقف يكونون من بين أقل التلامذة خضوعاً وضعفاً(*) . فقدرة الأشخاص على تغيير سلوكهم من موقف إلى آخر هى فى حد ذاتها متغير يجب حسابه .

وكمثال على هذا طلب أحد الباحثين من أعضاء القسم فى أحد الجامعات كل على حدة بأن يصف تفاعلاته مع كل عضو من الأعضاء الآخرين بطريقة تصنيف البطاقات(**) . فوجد أن الأشخاص يتغير سلوكهم نحو الآخرين باختلاف الجنس والأقدميه . كما وجد أن بعض الأشخاص يميلون على تغيير سلوكهم فى هذا الاتجاه أكثر من البعض الاخر(٤) .

وهناك أيضاً تنوع فى السلوك نحو الأنداد . ففى أحد التجارب تمت المقارنة بين الوقت الذى يقضيه الأشخاص فى الحديث فى عدد من الجماعات المكونة من ثلاث أفراد . فتبين أن هناك انساق معين بين الجماعات ، غير أن الأمر بالنسبة لمقارنة سلوك الشخص الواحد فى الجماعة قد أثبتت تنبؤا مختلفاً : فالوقت الذى يقضيه الشخص فى الحديث يقل إذا وضع مع مجموعة من الأشخاص يتحدثون

(*) ما لم يكونوا من النمط التسلطى الذى يميل إلى السيطرة والخضوع فى الظروف المختلفة (أنظر الفصل السابق) .

(**) Card Sorting .

كثيراً ، ويزداد هذا الوقت إذا ما وضع فى جماعة يقل فيها حجم الحديث . وعلى هذا فإن الأشخاص يكيفون أنفسهم لمتطلبات الموقف ، وللخصائص الشخصية للآخرين فى هذا الموقف ؛ وسنعرض بعد قليل لتفاصيل هذه العملية .

ولا تؤثر الجماعة فى أشخاصها فحسب ، بل إن الأشخاص يؤثرون أيضاً فى الخصائص العامة للجماعات التى ينتمون إليها . ويمكن تقدير تأثير الفرد على الجماعة بمقارنة سلوك الجماعة أثناء وجود هذا الفرد وبعد غيابه . وقد وجد أن الأشخاص المتوافقين ، والمنبسطين يميلون إلى تيسير العلاقات الودية فى داخل الجماعة ويساعدون على خلق جو مريح وبناء . أما الأشخاص الانسحابيين من ذوى النمط الفصامى فيخلقون جواً إجتماعياً متوتراً[٦] ، بينما قد يدفع السيكوباثيون بالجماعة إلى التفكك الكامل بسبب إثارتهم للصراع والتوتر . كما يؤثر الأفراد فى طريقة حياة الجماعة ، ويساهمون فى تغيير قواعد الجماعة وتشكيلها . وهناك فضلا عن هـــذا أشخاص أكثر فاعلية من الأشخاص الآخرين . ويستطيع الشخص تغيير قواعد الجماعة إذا كان مقبولا منها ، أو إذا استطاع أن يقنع الجماعة بأنه يعمل لخيرها .

تفصيلات متعلقة بمسار التفاعل

تبين أن أثابة الشخص عند استخدامه طريقة من طرق السلوك الإجتماعى ستؤدى بالشخص إلى تكرار هذه الطريقة ، فإذا عوقب على هذا فإنه سيتوقف عنها . فمثلا يستطيع المجرب أن يثيب الشخص عند استخدام ضمير « الأنا » فى الحديث ، وذلك بأن يظهر له الاهتمام ، أو الموافقة . كما يستطيع بالعكس أن يشيح عنه ببصره ، وأن يظهر له عدم الموافقة أو التأبيد . وقد وجد أن شيوع أستخدام هذا الضمير يختلف إختلافا ملحوظا فى دقائق قليلة بحسب نوع التدعيم والأثابة دون أن يدرك الشخص تقريباً هذا [٧] . ولعل من أهم أهداف الشخص

فى هذا الموقف التجريبى هو أن يصل إلى الإستجابة التى يفضلها المجرب ، وأن يغير من استراتيجيته فى التعبير لكى يتحقق له ذلك بأسرع ما يمكن .

وتلك مهارة مركبة تتم بسرعة وكفاءة دون مساهمة واعية من الشخص . وعندما تكون لشخص ما الفاعلية الأقوى فى أى تجمع ثنائى — كأن يكون مستبرا أو معالجا نفسيا — فإنه يستطيع أن يضبط سلوك الشخص الآخر ضبطاً قويا بهذا الأسلوب . فضلا عن هذا ، فإنه يمكن بهذا الأسلوب للشخص الآخر أن يتعلم السلوك الملائم ، سواء كان تلميذا أو مريضاً . ومن الممكن تماماً — فى مواقف الحياة اليومية — للشخص أن يؤثر فى سلوك الشخص الاخر عمداً . ويعطينا سيتفن بوتر Stephen Potter قائمة بأساليب شيقة مشابهة يمكن التأثير من خلالها فى الأخرين وتحويلهم إلى حالة من الهبوط ، كما يعطينا قائمة أخرى بالردود الملائمة إذا ما استخدم الأخرون هذه الأساليب[٨] .

وتتكون فى العادة لدى أى شخصين فى موقف تفاعل دوافع تجعل كلا منهما يريد من الشخص الأخر أن يستجيب له بطريقة معينة . وقد تكون هذه الدوافع غير شعورية ، ولكنها تستثير نفس المحاولة عند كليهما . وفى بعض الحالات يكون الدافع وظيفة يفرضها الموقف : فالمدرس يريد لتلميذه أن يتعلم ، والتلميذ يريد من مدرسه أن يفهمه فهما أحسن . . . وهكذا . ويبدأ كل شخص محاولة التأثير فى الآخر بأسلوب سلوكى يقصد به استثارة الاجابة المطلوبه من الأخر . فإذا لم ينجح هذا الأسلوب ، تبدأ محاولة لاستخـــدام طريقة أخرى ويحدث هذا بطريقة سريعة ، معقدة : كلا الشخصان يمضيان معا فى سلسلة من الأساليب الإجتماعية فى محاولة لخلق نمط معين من العلاقة بالآخر .

ونجد فى الوقت الحالى أن من العسير التنبؤ مقدما بالمسار الفعلى لهذه السلسلة من السلوك . ومن أهم الأسباب لهذا أن مراحل هذا المسار غير ثابتة ، بحيث أن

أى قدر ولو ضئيل من الإختلال يطرأ فى البداية قد يترك أثاراً عميقة على مسار التفاعل فيما بعد . وعلى سبيل المثال ، إذا عرف أحد الأشخاص ، أو تصور خطأ أن شخصاً أخر يحمل له مشاعر ودية فإنه سيتصرف نحو هـذا الشخص بدوره بطريقة ودية ، وبهذا يحرك السلوك المتوقع من الأخر ، وينمى حالة من حالات « الصداقة الشخصية » المتبادلة . والعكس صحيح أيضاً ، بصورة تخلق نفوراً متبادلا ، وحالة من حالات « العداء الشخصى » ، تسودها أوهام من العداء قد لا يمكن تصحيحها بسبب توقف تبادل الاحتكاك[٩] .

وفى مراحل التفاعل المختلفة على كل شخص أن يدرك الأخر : من أى نوع هو ؟ وكيف يستجيب للأمور ؟ وهكذا . وقد أصبح « **ادراك الشخص** »(*) مجالا هاماً من مجالات البحث الإجتماعى . وقد وجد أن الناس عندما تطلب منهم إعطاء أوصاف حرة للاخرين ، يستخدمون فئات وأنماط ، وأبعادمتنوعة[١٠] تتفق مع الجوانب المثيرة للاهتمام فى الأشخاص الأخرين بما فيها سلالته ، ومركزه الإجتماعى ، وصفاته الشخصية . وهناك دليل على أن الشخص الذى ينشغل باله بأحد هذه الأبعاد ، يصبح حاذقا فى تقديره لهذا البعد فى الأخرين ؛ فالشخص المتعصب ضد اليهود(**) ــ مثلا ــ يستطيع بسهولة أن يعرف اليهود وأن يميزهم . ويحدد الموقف أيضاً نوع الصفات التى يمكن أدراكها فى الشخص الأخر . فعندما نرى أن شخصاً ما يقع على نقطة معينة على بعد من هذه الأبعاد المناسبة ، فإن هـذا يخلق تجاه هذا الشخص سلسلة من سلاسل الاستجابات الإجتماعية . وإذن فالشخص المشغول بالطبقة الإجتماعية يكون سلاسل من الأساليب الإجتماعية المتنوعة لكى يستخدمها مع أعضاء كل طبقة إجتماعية .

(*) Person Perception .

(**) Anti-Semitism .

كما يجب أيضاً أدراك استجابات الأشخاص الأخرين ، واتجاهاتهم ، ومشاعرهم أثناء التفاعل . غير أن هـذا الأمر لا يمكن أدراكه دائما بدقة : فالحالة السابقة للشخص القائم بالادراك تؤدى إلى تشويه إدراكه ، فى الإتجاه الذى يحقق رغباته .

حتى هنا تكون قد أشرنا إلى **الاساليب الاجتماعية** ، وسلسلة الأفعال الاجتماعية ذات المعنى ، التى يستثيرها التفاعل الإجتماعى والتى تستمر فترة طويلة من الوقت . ويمكن تحليل التفاعل الإجتماعى أيضاً تحليلا أخر وفق وحدات الحوار ، أو ما يصاحبها من تنهدات ، أو همهمات(١١) . ومن الأمثلة على المستويين الأولين من التحليل **نظام « بيلز » Bales لتحليل التفاعل**(١٢). وبمقتضى هذا النظام توضع وحدات الحوار فى فئات من قبل القائمين بالملاحظة بحسب ما إذا كانت هذه الوحدات تدل على الموافقة ، أو عدم الموافقة ؛ أو طلب إيضاحات أو أراء ، أو إتجاهات ، أو إعطائها . . . . وهكذا فى إحدى عشر فئه من هذا النوع . وقد درس الباحثون التسلسل التفصيلى لهذه الفئات فى عدد كبير من الجماعات، ولكن يبدو أن قيمتها محدوده مالم يستفد من الأساليب الإجتماعية العامة ، والدوافع . لهذا فالفئة الثانية من نظام تحليل بيلز (التى تكشف عن التخفيف من التوتر) والفئة ٣ (الموافقة) تعتبر جزاء من الأساليب الإجتماعية التى تتعلق بدافع الانتماء .

وقد تؤدى مختلف العادات أو التقاليد الاجتماعية السائدة فى حضارة معينة أو معايير بعض الجماعات الخاصة إلى الحد من مسار التفاعل . فقد يتطلب الأمر إجراءات تمهيدية قبل مناقشة العمل ، أو قدرا أقل من الصراحة ، أو السيطرة على جوانب المناقشة ، وكذلك قد يمتنع الحوار فى بعض الموضوعات على الاطلاق . وكذلك قد تتطلب قواعد اللياقة ضرورة أن يتظاهر الشخص بأن شخصاً آخر يحتل إهتمامه .

إن من الخطأ الحديث عن خاصية التفاعل فى هذا النوع من المواقف لأن كل هذه المواقف تؤدى إلى تمييع التفاعل وتعطيله(١٣) .

تـكوين النسق الاجتماعى(*)

يمـكن إقامة جماعات تجريبية من شخصين بحيث يتفقا فيما بينهما ، ويتمتع كل منهما بصحبة الآخر ، ويعملان معا بكفاءة فى أعمال مشتركة . ولـكن هناك بعض التجمعات الأخرى ، يشعر أفرادها بعدم الاتفاق والصراع ، ويعجزون عن العمل الفعال . ومظاهر الإضطراب فى التجمعات البشرية ذات مصادر متعددة ، فقد يرغب كلا الشخصان مثلا فى الحديث طيلة الوقت ، أو يرغب كلاهما فى السيطرة ، أو يفضل كل منهما مستوى أخر من التفاعل(١٤) . ويحدث الاتفاق بين شخصين عندما ينجحان فى تحقيق نوع من التفاعل المشبـع لـكلا الطرفين . ويؤدى هـذا إلى سلوك إجتماعى تسوده خصائص النظام المتوازن ، بحيث أن حدوث أى إضطرابات يتلوه فى الحال أعمال تصحيحية كى تحد من استمرارها . فإذا قام الشخص بعمل يؤدى إلى الأخلال بتوازن الجماعة ، فسرعان ما يعتذر عن هذا وقد يظل فترة طويلة من الوقت يحاول التصرف بأدب غير عادى . وقد بينت بحوث العلاج النفسى ، أن المرضى عندما يتصرفون بطريقة لا تريح المرضى الأخرين ، فإن على المعالج النفسى أن يتدخل كى يعلمهم الدور الصحيح . فضلا عن هـذا ، إذا اختلت العلاقة بين المريض والمعالج فى إحدى الجلسات ، فإن كليهما يعمل فى المرة التالية على تعويض ما حدث بحيث يعيد التوازن من جديد(٣) . فالتوازن فى داخل الجماعات البشرية هو الوضع الأمثل لارضاء الحاجات الإجتماعية لأعضاء الجماعة ، ولا يمـكن أن يحدث نمط مستقر

(**) Social System .

من التفاعل ، والتوازن مالم يتم إشباع تلك الحاجات لأعضاء الجماعة . ويؤدى هذا الإشباع بدوره إلى الحب الإيجابى للاعضاء الأخرين ؛ وتتحقق بعض أهداف الجماعة بصورة إجتماعية أعمق ، كالحفلات ، واللقاءات غير الرسمية .

ومن أحد الجوانب التى تساعد على تطوير توازن الجماعة : **تكون المعايير**(*) **اى أنماط السلوك ، والمشاعر ، والتفكير المشتركة** . وتشكل كل الجماعات البشرية معاييرها ، خاصة المعايير المتعلقة بالأمور المتصلة ، بأغراض الجماعه الأساسية وجوانب نشاطها . أى أن جماعات الإخصائيين النفسيين تشكل معاييرها عن علم النفس ، وليس عن الدين أو الفن . وإذا انحرف أعضاء الجماعة عن المعايير فإن أنواعا مختلفة من الاقناع ، والضغط والعقوبات تفرض عليهم لمجاراة تلك المعايير ، فإذا أستمروا فى الأنحراف ــ فيما تبين التجارب المختلفة ــ فإن الجماعة ترفضهم تدريجياً وتبعدهم عنها[١٦] . ولعل السبب الأساس **للمجاراة هو** تجنب(**) هذا النوع من العقوبات خاصة : الرفض . وهناك تجارب مكثفة إهتمت بالشروط التى تؤدى إلى المجاراة فى بحوث ميدانية ، ومواقف معملية تصطنع بمهارة شديدة . وتبين هذه التجارب أن الشخص يميل إلى مجاراة الجماعات التى يحب الانتماء اليها ، خاصة فى الفترات التى لم تتقبل فيها الجماعة بعد هذا الشخص . كما تبين أن الأشخاص المرتفعين فى عدم الإحساس الإجتماعى بالأمان ، ويفتقرون إلى الثقة بأنفسهم يرتفعون أيضاً فى مجاراتهم للجماعة . وتزيد المجاراة أيضاً عندما يكون الموقف غامضا(***) ، وعندما تكون فكرة الفرد عنه غير كاملة . ومن الجوانب التى لا تزال فى حاجة إلى بحث السبب الذى يؤدى بالأغلبية إلى فرض المجاراة على المنحرفين عن الجماعة . فى حالات ضئيلة قد

(*) Norms .

(**) Conformity .

(***) Ambiguous .

يكون السبب فى هـــذا تهديد أهداف الجماعة (كما فى حالة مستوى الإنتاج فى مصنع) . وفى حالات أخرى قد يكون بسبب خوف الجماعة على سمعتها . أما فى أمور العقيـــدة ، فإن الأشخاص غير الواثقين من آرائهم ، فإنهم يشعرون باطمأنينة منها ، ولهذا يحسون بالتهديد عند وجود أشخاص آخرين يحملون معتقدات مختلفة ، ويحاولون خلق حماية إجتماعية لأنفسهم من خلال المجاراة لتلك المعتقدات .

ويميل بعض أعضاء الجماعة إلى مجاراة معايير الجماعة فى وجود الجماعة فقط . وفى مراحل تالية قد يصل الأمر بهم إلى استدماج قواعد الجماعة ومعاييرها ، بحيث يميلون إلى المجاراة بالرغم من عدم وجود الجماعة ، لأنهم يؤمنون بالفعل بمعايير الجماعة . ويحدث هذا النوع من الاستدماج لمعايير الجماعة ، خاصة إذا ظلت الجماعة ذات جاذبية مرتفعة للشخص فترة طويلة من الوقت ، وإذا كانت تلك الجماعة تقيم معاييرها على التفكير والمنطق .

وهناك جانب آخر يتعلق بتحقيق التوازن داخل الجماعة **وهو المركز غير الرسمى للاعضاء**. فبالرغم من أنه لا توجد فروق فى جماعات العمل بين الأعضاء من حيث الأقدمية ، كما هو الحال فى جماعات الإدارة ، فإن هذه الفروق تتكون بالفعل من وجهة نظر الأعضاء . ويمكن البرهنة على هذا بمراقبة الشخص الذى تفوز اقتراحاته بوزن أكبر ، أو الشخص الذى يتحدث إليه الأشخاص وقتاً أطول وبطريقة مختلفة . وتبين ملاحظات الجماعات فى نقاشها وفى المؤتمرات ، أن بعض الأشخاص يتحدث كثيراً ، ويوجه حديثة للجماعة ككل ، والبعض الآخر يتحدث قليلا ويوجه حديثه للأفراد ذوى المركز المرتفع(١٧) . وإذا كان معدل حديث أحد الأعضاء أقل من العادة أو أكثر ، فإن الآخرين قد يشجعونه أو يصدونه لكى يتحقق التوازن . ومن الممكن التنبؤ بمركز الفرد غير الرسمى

فى الجماعة . وتأثير الشخصية فى هذا تأثير ضئيل : لأن نفس الشخص قد يقوم بدور القائد فى جماعات معينة ، والتابع فى جماعات أخرى . غير أن المنبسطين والمرتفعين فى الذكاء ، والتوافق ، والمركز الإجتماعى غالباً ما تكون فرصتهم مرتفعة فى قيادة مختلف الجماعات[١٨] . ويعتمد هذا أيضاً على درجة إخلاص الفرد للجماعة ، واستمداده لمنح الجماعة من وقته وجهده . ولعل أهم عامل على الإطلاق **يتعلق بمقدار ما يستطيع الشخص أن يساهم به فى عمل الجماعة ، بحيث تتحقق أهداف الجماعة** . وتبين بضعة تجارب أن هدف الجماعة عندما يتغير ، فإن القيادة تبدأ أيضاً فى التغيير[١٩] . ومن النتائج الشيقة أن أكثر أعضاء الجماعة تأثيراً ، ليسوا دائماً من بين الجذابين فى الجماعة . وتبين إحدى هذه الدراسات أنه لا يمكن للشخص أن يكون جذابا إجتماعياً ومؤثراً فى نفس الوقت[٢٠] . وتعتمد قدرة الفرد على الإختيار بين هذين الموقفين (أى أن يكون مؤثرا أو أن يكون جذاباً) على القوى النسبية لحاجاته إلى الإنتماء والقوة فى تشكيل أنماطه المختلفة من السلوك الإجتماعى .

ونجد أخيراً أن توازن الجماعة يتعلق **بدور(*) الشخص فى الجماعة** ، منفصلا عن تأثيره فى الجماعة أو جاذبيته فيها . إذ يستطيع الشخص أن يقوم بمساهمة فعالة فى حياة الجماعة ، إذا كانت لديه مثلا مهارة خاصة فى حل مشكلاتها . كأن يكون قادراً على إعطاء حلول مبتكرة ، أو انتقاد الحلول الخاطئة . ويؤدى تحقيق هذا النمط السلوكى — مرة ثانية — إلى المحافظة على التوازن داخل الجماعة .

والآن هل يتغير التوازن داخل الجماعة ، أم تظل الجماعة محكومة بنمط جامد دائم ؟ . هناك مصدران أساسيان من مصادر التغير فى الجماعة . **فمن جهة** قد يشعر بعض الأفراد بعدم الرضا عن مركزهم أكثر من الاخرين : وربما يستطيعوا

(*) Social role .

التغيير من الجماعة بطريقة تحقق الإشباع للاخرين أيضاً. ويستطيع **الانحرافيون** (*) أحياناً أن يغيروا معايير الجماعة إذا استطاعوا إقناع الأغلبية بأن هذا التغيير سيكون لصالحها ويمكن لأصحاب المركز المنخفض أن يتحولوا إلى قادة إذا استطاعوا أن يثبتوا فاعلية أفكارهم .

ومن جهة اخرى فإن التغير قد يكون ضرورة فى حياة الجماعة فعندما لا يصبح التوازن السابق مشبعاً لأعضاء الجماعة ، يصبح التغير ضرورة .

الصداقة

من الجوانب الهامة للتفاعل الإجتماعى أنه يؤدى إلى تبادل الحب أو الكراهية بين الأشخاص .

وقبل الأنتقال إلى العوامل المؤدية إلى تبادل الحب ، نجد من الضرورى أن نناقش كيفية قياس هذا الشرط عملياً . ويعتبر **منهج مورينو** Moreno المعروف بمنهج التباعد الأجتماعى (السوسيومترى) من أهم الأساليب المستخدمة فى هذا المجال[٢١] . ووفق هذا الأسلوب : نطلب من الأشخاص أن يختاروا من بين مجموعة أخرى الأشخاص الذين يفضلون صداقاتهم فى موقف معين ، أو عند ممارسة نشاط ما . ويمكن أحياناً تحقيق هذه الأختيارات عمليا . وقد وجد أن إختيارات الأخرين تختلف باختلاف نواحى النشاط المطلوبة ، خاصة إذا كان الأشخاص يعرف بعضهم البعض الأخر معرفة جيدة . وهناك **طريقة اخرى** ، نطالب بمقتضاها من الأشخاص أن يقوموا بترتيب الأخرين بحسب تفضيلهم للشخص نفسه ، وقد وجد أن هذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنتماء لنفس الزمرة .

(*) Deviants .

غير أن لكل علاقة بين شخصين أعماقا أخرى ، وتعقيدات لا يستطيع هذا الأسلوب تقديرها . ولو أن كل أساليب القياس عملية اعتبارية ، ولا نكشف إلا عن جوانب معينة من المواقف .

ما الذى يجعل ا يحب ب أكثر من حبه للشخص حـ ؟ الإجابة الدارجة الشائعة على هذا أن الشخص ب ألطف من الشخص حـ . ولكن إستخدام البحوث السوسيومترية والملاحظات العامة تبين أن هناك اشخاصاً أخرين يفضلون حـ عن ب . ومعنى هذا بوضوح أن حب الأخرين لا يعتمد على الخصائص الموجودة فى ب مثلا بقدر ما يعود إلى طبيعة العلاقة بين ا و ب . ونجد كما هو الأمر فى حالة الجاذبية الجماهيرية ، أن أشخاصاً معينين دوناً عن غيرهم يصبحون موضوعاً لحب الجماعة . ولعل أهم عوامل الحب على الأطلاق : التقارب الطبيعى بين شخصين أو مقدار الاحتكاك بينهما . ففى أحدى الدراسات فى بعض المدن السكنية ، تبين أن الأشخاص لا يفضلون جيرانهم فحسب ولكنهم يفضلون أيضاً من يشاركونهم فى أستخدام «جراج» السيارة. وفى دراسة أخرى فضل عدد كبير من الأشخاص الطلاب الذين يعيشون فى الأدوار الأرضية كأصدقاء[٢٣] . وفى بعض الحالات يؤدى التفاعل المستمر إلى زيادة فى ميول التبادل بين شخصين ، وذلك مثل مواقف العمل التى لا يمكن فيها تجنب اللقاءات . وتفسير هذا أن عجز شخصين عن تكوين نظام مشبع من التفاعل المتبادل ، يجعل كثرة اللقاء بينهما يتحول إلى مصدر للإحباط(*). ولكن الأحتكاك المستمر يؤدى فى العادة إلى تيسير فى تطور التوازن ، ويصبح المزيد منه مصدراً للإشباع .

وهناك عامل أخر فى اختيار الصداقة مع شخص أخر هو **التشابه** المشترك بينهما . وتثبت البحوث أن الأطفال يختارون أصدقائهم من أشخاص من نفس

(*) Frustration .

الجنس ، والعمر والطبقة الإجتماعية ، والحجم والذكاء . أما البالغين فيختارون المماثلين لهم فى المهنة ، والدخل ، والميول وهكذا . وفى دراسة على ١٧ طالب جامعى فى إحدى المدن الجامعية بعد مرور عام على إقامتهم تبين وجود التشابة بين الأصدقاء منهم فى إتجاهاتهم الشخصية[٢٣] . والشخص يحب الشخص الأخر إذا كانت العلاقة بينهما مشبعة بشكل ما .

ومن أهم مصادر الأشباع — بلا شك — قدرة هذه العلاقة على تحقيق دافع الانتماء . فالشخص ب لا يمكن أن يكون موضوعاً لحب ا ما لم يكن سلوك ب على درجة مرتفعة من الدفء . وتقرر إحدى الدراسات أن الأطفال غير الجذابين فى الجماعة ليسوا من بين الأشخاص الذين يحققون الدف للأعضاء ، ولكنهم من بين الأشخاص الذين يحاولون الحصول على الثواب . فيطلبون المزيد من الإنتباه أو الإهتمام بهم ، وبعض الحاجات الأخرى بما فيها المركز ، أو المساعدة على حل أعمال ، أو مشكلات معينة .

وفى حالات كثيرة يلعب تخفيض — الحاجة دوراً مكملا ، كما فى حالة الزواج القائم على السيطرة والإعتماد .

ومن الشيق أن نلتفت إلى الطريقة التى تواجه بها تلك الأختيارات : فهل يعرف الشخص ب أن ا يحبه ؟

تبين البحوث أن الإختيارات الأيجابية (أى الحب) غالباً ما يدركها الأشخاص بكل دقة ، ولكن الإختيارات السلبية (أى النفور) لا يتم أدراكها بنفس الدقة[٢٤] . بعبارة أخرى فإن الناس يعرفون من يحبونهم ، ولكنهم لا يعرفون من يكرهونهم . والسبب فيما يبدو أن مجتمعنا(*) . يضع قيوداً

(*) الإشارة هنا إلى المجتمع الانجليزى (المترجم) .

حادة فى التعبير عن الكراهية ، بحيث يعجز الشخص عن تمييز الكراهية من عدم الأهتمام أو الحياد . وينتج عن هذا إننا نجد . أن هناك قدراً مرتفعاً من تبادل الصداقة (أى تبادل الحب بين شخصين) ، لكن تبادل الرفض أقل من هذا بكثير .

والآن ما هى نتائج الحب المتبادل بين شخصين ؟ النتيجة المباشرة لهذا الرغبة فى قضاء أطول وقت ممكن معا ، فضلا عن المتعه التى يجنيها الشخصان من الألتقاء المشترك فى أعمال مشتركة أو فى غيرها من المواقف . وسيتبين لنا فى الفصل الثامن أن درجة أشباع العمل للشخص تتزايد وتقل فترات الغياب ، وحوادث العمل عندما يكون هناك حب متبادل بين العاملين .

ونتيجة ثانية : أن الحب الذى يحمله الشخص ا إلى ب ، يجعل من ا إلى حد ما معتمداً على حسن النية عند ب . وبهذا يكون ب قادراً على التأثير فى ا . (أما إذا لم يكن ا ميالا للمطاوعة ، فإنه سينتهى بفقدان تأييد ب) . وبعد فترة يصبح الشخصان أكثر تشابها فى سلوكهما واتجاهاتهما . فكما أن أزدياد مرات التفاعل يؤدى إلى الصداقة ، وتؤدى الصداقة بدورها إلى ازدياد فترات التفاعل ، كذلك التشابه فى الإتجاهات والسلوك يؤدى إلى زيادة فى التفاعل والصداقة ، ويتأثر بهما . ولكن ما الذى يمنع نمـو الحب بين شخصين يعيشان طوال الوقت معا وتتشابه اتجاهاتهما بصورة متزايدة ؟ إن هذا يحدث بالفعل خاصة فى الزواج . ويبدو أن السبب فى هذا أن الأتجاهات تتغير فقط عند درجة معينة ، ولا يصل التغير إلى جذورها العميقة فى الشخصية ، وبهذا تتحول الأختلافات فى الاتجاهات إلى حاجز للحب . وهكذا فكلما زادت مرات اللقاء بين شخصين ، كلما كان من السهل عليهما تشكيل أنماط من التفاعل ، وكلما زادت أيضاً فرص المضايقات والنفور : فمن اليسير الأتفاق مع الأشخاص الذين لا نلتقى بهم إلا لماما .

خلاصة

سلوك التفاعل الاجتماعى ظاهرة لم يمكن دراستها إلا فى فترة قريبة بالرغم من أهميتها البالغة . ويميل الناس فى مواقف السلوك الاجتماعى إلى وضع أفكار دارجة ، يتصرفون وفقها . ويبين البحث العلمى أن كثيراً من هذه الأفكار تحتاج للمراجعة . فكم من الناس يستطيع أن يتحقق مثلا بأن السلوك الذى يلاحظه فى شخص معين ليس على درجة مرتفعة من الإطراد ، وأنه قد يصبح شخصاً آخر فى مواقف أخرى ، وفى صحبة أشخاص آخرين ؟ ويدهش الناس إذ يعلمون أننا قد نحمل مشاعراً من الود العميق لشخص لا يثير فيهم إلا النفور ، وأن سلوك هذا الشخص قد يتغير ، وأن الصداقة مسألة علاقة تقوم على نوع التفاعل الإجتماعى الذى يستقر عليه شخصان . ومن الصحيح بشكل عام أن درجة الجاذبية الاجتماعية لشخص فى الجماعة ومركزه نتيجتان لخصائصه الشخصية . لكن هذا غير صحيح فى كل الجوانب فقيام الصداقة مثلا يعتمد إعتماداً أكبر على مرات الإحتكاك ، ومركز الشخص فى الجماعة ، وقدرته على المساهمة فى تحقيق أهداف الجماعة .

كذلك من المتوقع أن يتأثر ادراكنا للآخرين بتصنيف الأشخاص إلى فئات محددة متقنة ، وعدى ، التشوه الذى يصيبها نتيجة غلبة بعض الدوافع .

إن مجرد معرفتنا بعمليات السلوك الإجتماعى لها تأثيرها من حيث تبصيرنا عما يحدث فى هذا المجال من السلوك . وأفضل مثال على هـذا تدعيم الأساليب اللفظية . فالأشخاص عادة لا يعرفون تماماً بأن سلوكهم قد تأثر . غير أننا لا نعرف على أية حال ما إذا كانت المعرفة بهذه العمليات تؤدى بالناس إلى الوعى بها عند حدوثها أم لا ؟ . فالجوانب التفصيلية للتفاعل الإجتماعى على درجة كبيرة من

الراهنة ، والتغير السريع بحيث لا يمكن التقاطها بكاملها . ومع أن معايير الجماعة وما تفرضه من ضغوط لمجاراتها من الأمور المعروفة للكثيرين ، فإن مجرد إثارتها للدراسة ساعدت على إلقاء الأضواء لفهم هذه الظاهرة (التفاعل) . كما يلقى نمو **توازن الجماعة** ، وتأكيده ، وشروط تغييره ، أضواءاً جديدة من الإستبصار والفهم .

فما الذى نجنيه من هذه المعرفة الجديدة ؟ . لعل أهم فوائدها تكون للقادة الذين يقومون بتوجيه الجماعات كما سنرى فى الفصل الثانى عشر . ويفيد منها أيضاً الأفراد من حيث أنها توصلهم إلى الفهم الكامل بما يدور . فالمعرفة مجرد المعرفة فى حد ذاتها تشحذ مهاراتنا الإجتماعية ، ولهذا السبب تكون حاجتنا إليها .

الجزء الثانى

مشكلات إجتماعية

الفصل الرابع : العدوان

الفصل الخامس : الجريمة والجناح

الفصل السادس : الصحة النفسية والاضطراب العقلى

الفصل السابع : الإتجاهات العنصرية والقومية

الفصل الثامن : المشكلات الإنسانية فى الصناعة

الفصل الرابع

العدوان(*)

يكمن السلوك العدوانى فى صلب كثير من المشكلات الإنسانية الملحة : كالحرب ، والتعصب العنصرى(**) ، وجناح الأحداث ، والقسوة على الأطفال . فهل العدوان عنصر أساسى من عناصر الطبيعة الإنسانية ، أم أنه يظهر تحت شروط خاصة ؟ ولماذا تتميز بعض المجتمعات البدائية بالوداعة وحب السلام ، بينما يتميز بعضها الآخر بالعنف وحب الحرب؟ وما هى الشروط التى تحدث فى فترة الطفولة أو ما بعدها والتى تجعل الأشخاص يميلون إلى العدوان ؟ وهل من الممكن الحد من ميول العدوان ؟ أو تحويلها إلى قنوات تقل فى شرها ؟ وهل يؤدى تأثير العنف فى السينما أو التليفزيون إلى إثارة المشاعر العدوانية أم إلى إشباعها والتخفيف منها ؟ تلك هى الأسئلة التى نطرقها فى هذا الفصل ، والتى سنحاول الإجابة عليها إعتماداً على البرهان التجريبى .

قياس العدوان

ما الذى نقصده بالسلوك العدوانى ، وكيف نقيسه ؟ .

يشير العدوان إلى السلوك الذى يتجه به صاحبه إلى إيقاع الأذى بالأشخاص الآخرين أو ممتلكاتهم ، إما بدنياً أو لفظياً أو بأى طريق آخر .

(*) Aggression .

(**) Ethnocentrism .

ويمكن قياس العدوان **بالمشاهدة المباشرة** (*) ، أو **الاستخبارات** (**) ، أو **الاختبارات الاسقاطية** (***). **فمن جهة** يمكن مراقبة الأشخاص فى مواقف معينة بحيث يحتفظ بسجل لأفعالهم أو أحاديثهم العدوانية فى هذه المواقف . وقد أمكن تحقيق هذا بالنسبة للأطفال فى مواقف اللعب أو فى الجماعة ، حيث يقف المشاهد مثلا خلف حجرة زجاجية تسمح بالرؤية فى إتجاه واحد ، أو فى بعض المواضع المباشرة . كما يمكن ملاحظة الأشخاص بعد تعريضهم لجانب من جوانب الضيق أو الإحباط فى المعمل لكى نرقب استجاباتهم العدوانية ، وهل تتحول إلى عدوان جسمى ، وتوضع كذلك أجهزة التسجيل بحيث يمكن أيضاً دراسة التعبيرات اللفظية المعبرة عن العدوان . وبينما تقرب تلك الأساليب العملية فى دراسة العدوان إلى مواقف العدوان الفعلية فى الحياة قرباً وثيقاً ، فإنها مع هذا غير مقنعة تماماً إذ لا يمكن واقعاً إثارة العدوان الجسمى فى داخل المعمل. ومن الصعب أيضاً تحديد الفئات الخاصة بمظاهر العدوان التى يجب ملاحظتها فى موقف معين . كذلك نجد أن تدريب القائمين بالملاحظة يستغرق وقتاً طويلا حتى نصل بهم إلى أعلى درجة من الثبات . وقد وضعت طرق قيمة لقياس العدوان الجسمى موضوعياً[1] منها مثلا أن يطلب من المفحوص تمثيل دور « المجرب » فى تجربة للتعلم ، فيقوم بتدريب « المتطوع » على تعلم العمل موضوع التجربة ، ويصرح له بأن يوجه صدمات كهربائية كاذبة -- لا يصل فيها التيار للمتطوع — إذا ما ارتكب المتطوع أحد الأخطاء . ويكون الهدف هو تقدير السلوك العدوانى لدى الشخص القائم بدور المجرب بإحصاء عدد الصدمات التى يوجهها للمتطوع ، وقوتها (مقدرة بالفوات) .

(*) Observation .

(**) Questionnaires .

(***) Projective tests .

وتجمع وجهات النظر المختلفة على أن استخدام **الاستخبارات** من أيسر طرق قياس العدوان ، ولقد استفاد عدد كبير من الباحثين من الاستخبارات لقياس الحالات المؤقتة من العدوان ، والتى تثار تجريبياً . واستخدم أحد هؤلاء الباحثين مجموعة من الأسئلة يطالب الإجابة عليها باختيار إجابة واحدة من بين ستة إجابات توضع فى نهاية كل سؤال . ومن الأمثلة على ذلك هذا السؤال : « ما مقدار سرورك بالمشاركة فى التجربة التى أجريت حالا » . وغالباً ما يختار أكثر الأفراد ضيقاً الإجابات المتطرفة مثل « أزعجتنى للغاية » أو « أزعجتنى تماماً »[٢] . وتوحى الدراسات بأن الدرجات على هذا النوع من المقاييس من حيث حساسيته فى تقدير « الضيق » ، يعتبر بالفعل صادقاً ، لكن لا توجد — للأسف — مقاييس شاملة تغطى مجالا واسعاً بحيث تعطى نتائج مرضية فى مختلف المواقف . غير أن هناك — على أية حال — مجموعة من الاستخبارات تستطيع قياس درجة « العدوانية » لدى الشخص كبعد ثابت من أبعاد الشخصية . ولكن لم تعرف حساسيتها للاستثارة العدوانية المفاجئة . وقد وضع « سيرز » Sears [٣] مجموعة من المقاييس صحيح أنها ذات اتساق داخلى مرتفع ، وترتبط ارتباطاً ذا معنى بتغيرات تدريب الأطفال ، إلا أنه لم يمكن تقدير صدقها فى مواقف أخرى . وتتضمن مجموعة من المقاييس منها مقاييس منفصلة لقياس المظاهر **اللاجتماعية من العدوان** (*) (مثال : الضرب أحياناً هو السبيل الوحيد لإنهاء الجدل) ، ومقاييس **للعدوان الاجتماعى** (**) (مثال : يجب تشديد العقوبات على كل من يحاول أن يخرق نظاماً أو تقليداً) ، ومقاييس **للعدوان على الذات** (***) (مثال : ينتابنى أحياناً الإحساس بأننى

(*) Anti Social aggression .

(**) Pro-Social aggression .

(***) Self-aggression .

أستحق عقاباً أكثر على ما ارتكبت من أخطاء) ، وغير ذلك من جوانب العدوان . كذلك وضع « باص » و « دوركى » Buss and Durkee [٤] مجموعة متشابهة من المقاييس قامت — على التحليل العاملى — وتتضمن مقاييس لعاملى : **العداوة**(*) (أى مشاعر عامة بالكراهية والاستياء من الآخرين) وعامل العدوان (أى الميل إلى القيام بسلوك عدوانى مباشر ، وهجوم لفظى أو جسمى مباشر على الآخرين) .

وآخر وسائل قياس العدوان : **الاختبارات الاسقاطية** . فباستخدام إختبار « الرور شاخ » يمكن قياس العدوان ، وذلك بالاعتماد على تحليل المضامين العدوانية للاستجابات ، وليس باستخدام الطريقه الأصلية فى التصحيح . أما بالنسبة لاختبار « تفهم الموضوع » فهناك طرق متعددة لتقدير العدوانية . وقد بينت بضعة دراسات أن إثارة ضيق الأشخاص مثل تطبيق الاختبار يؤدى بهم إلى إسقاط جوانب ذات محتوى عدائى . أما إلى أى مدى يقع الأشخاص أصحاب القصص ذات المحتوى العدوانى من هذا النوع ، فى التعبير الفعلى المباشر عن العدوان ، فتلك مسألة بالغة الأهمية فيما تثبت البحوث التجريبية . فقد وجد عدد من الباحثين بأن هناك علاقة إيجابية بين التخيل والسلوك الظاهرى لدى البعض ، ولم تظهر هذه النتيجة لدى البعض الآخر . وقد تبين وجود علاقة عكسية قوية عند الأطفال الذين لا تشجعهم الأمهات على العدوان[٥] . ويتسق هذا مع نظرية فرويد فى الخيال بأنه تفريغ بديل لدى الأشخاص الذين يستنكر منهم التعبير المباشر عن حوافزهم الأساسية . ويرجح أن هذه النظرية تقبل التطبيق عندما يوجد بعض الضغط الإجتماعى على الإشباع المباشر للحاجة .

(*) Hostility .

المواقف التى تستثير العدوان وتشبعه

كان من المعتقد لفترة طويلة من الوقت أن **الاحباط**(*) أى منع حافز معين من الإشباع هو الشرط الأساسى الذى يؤدى إلى العدوان . ومن الصحيح أنه يؤدى فى بعض الأحيان إلى العدوان ، لكنه فى أحيان كثيرة لا يؤدى إلى ذلك . وعلى سبيل المثال إذا أعطينا شخصا اختباراً للذكاء ، وأخبرناه أنه من السهل عليه أن ينتهى من الإجابة عليه فى الوقت المقرر ، ثم أخبرناه قبل الانتهاء بقليل بأن الوقت المسموح به قد انتهى ، فإن هذا يستثير درجة مرتفعة من العدوان ، بسبب إحباط الرغبه — فى أداء الاختبار بنجاح : كمظهر من مظاهر إحباط الدافع للتحصيل . لكننا إذا طلبنا من الأشخاص التعاون فى تجربة يتطلب تنفيذها عدم تناول الوجبة المعتادة ، فقد لا يثور فى هذه الحالة عدوان على الإطلاق . أى أن الإحباط هنا لم يؤد إلى عدوان . فما هى الشروط الدقيقة التى يؤدى فيها الإحباط إلى عدوان ؟ . هناك شرطان لذلك هما :

اولا : إثارة العدوان إذا كان الإحباط يحدث بطريقة متعسفة ولا معنى لها . ويمكن التحقق من ذلك بإعطاء مجموعة من الأفراد قائمة بمجموعة من المواقف ، ويطلب منهم أن يحددوا المواقف التى تثير عدوانهم عن طريق الاستخبارات(٦) .

ثانيا : عندما يكون فعالا فى التخلص من العقبات التى تعترض طريق إشباع الحاجات . وعندما لا يتوافر أحد هذين الشرطين فإن الإحباط يؤدى إلى استجابات مختلفة منها الانسحاب أو التثبيت على سلوك عصابى .

ولا يفيد المجربون الذين يرغبون فى استثارة السلوك العدوانى العادى من الإحباط بطريقة مباشرة وكل ما يفعلونه فى مثل تلك المواقف هو توجيه إهانة للأشخاص أو إثارة ضيقهم . ومن الأساليب المستخدمة لذلك أن يختاروا بعناية

(*) Frustraion .

شخصاً ذا قدرة مرتفعة على توجيه اللوم والإهانة لكى يقوم بدور المجرب ، فيهين « المتطوعين » ويعترضهم بطريقة معينة . كما يمكن بالطبع أن يزداد ضبط تلك المواقف بحيث يعتدى هذا الشخص على المتطوعين جسمياً ، لكن هذا الأسلوب لا يستخدم بكثرة . وبعبارة أخرى ، فإن الكائنات الإنسانية — كغيرها من الحيوانات — تقاتل عندما يهاجمها أحد ، بما فى ذلك الهجوم على اعتبار — الذات . وقد حاول بعض علماء النفس أن يعالجوا فكرة « الهجوم » هذه على أنها نوع من الإحباط ، وذلك كمحاولة منهم لتحقيق معادلة الإحباط — العدوان إلا أن هذا الإمتداد — فيما يبدو — إمتداد غير حقيقى بمفهوم الإحباط . وهناك تجربة(٧) توضح الفرق بين العدوان الذى ينشأ بسبب الإحباط والذى ينشأ بسبب الإهانة(*) . وذلك بأن أثير الإحباط لدى مجموعة من الطلاب عن طريق إيقافهم عن العمل فى اختبار للذكاء — كما أوضحنا من قبل — وسمح لجماعة أخرى أن تنهى الاختبار وبعد الإنتهاء كان يوجه لهم المجرب إهانة ما . وقد ظهر السلوك العدوانى فى المجموعتين — وانعكست مظاهره فى الأداء على بعض الاستخبارات — لكن العدوان عند المجموعة الثانية (المجموعة التى أهينت) كان مرتفعاً عن المجموعة الأولى (مجموعة الإحباط) .

ويمكن أستغلال هذه النتائج فى تفسير بعض المعطيات الإجتماعية . فمن المعروف الآن على عكس ما تذكر الكتابات السابقة ، أن الميل للقتل ، وغيره من الجرائم العدوانية لا يظهر فى فترات الكساد الإقتصادى ، وإنما يشيع على العكس فى فترات الرخاء (٨) . ويمكن إرجاع هذا بالطبع — إلى الفروق الضخمة فى الثروة ، والدخل ، والمكانة الاقتصادية . وما تتركه هذه الفروق من آثار مباشرة على مشاعر المعدمين وتقديراتهم لذواتهم .

(*) Insulting .

وما دمنا ننظر إلى العدوان كحافز من حوافز الشخصية فإن من أحد شروط إرضاء حافز معين — كالجوع — القيام بسلوك مناسب — أى الأكل — لتخفيض حالة التوتر الناشئة (وهى الجوع) . فإلى أى مدى ينطبق هذا على العدوان ؟ وهل للعدوان تأثير تنفيسى ؟ توحى بعض الدراسات أنه كذلك . ففى التجربة التى ذكرناها سابقاً[٢] . قدم المجرم لبعض الأشخاص فى المجموعة « التى أهينت » أربع صور من أختبار تفهم الموضوع لكى يكتبوا قصصا لها . وبتحليل محتوى القصص تبين ارتفاع التعبيرات العدوانية فى قصصهم . وقد لاحظ المجرب أن السلوك العدوانى فى هذه المجموعة قد بدأ ينخفض ، بالمقارنة بالأفراد الأخرين من نفس المجموعة « التى تعرضت للاهانة » فقد ظلت المجموعة الأخيرة على نفس المستوى من العدوان لأنها لم تعطى فرصة التنفيس العدوان . علينا أن نلاحظ هنا إذن أن إتاحة التعبير عن العدوان ولو على المستوى الخيالى تنجح فى تخفيض الميول العدوانية لدى الشخص . وتبين دراسات أخرى أن الملاكمين بعد مباريات الملاكمة يكشفون عن درجات أقل من العدوان (على اختبار تفهم الموضوع) بالمقارنة بدرجاتهم قبل المباريات . ويستنتج باص Buss[٨] . من هذا ، ومن دراسات أخرى ، أن العدوان يساعد الأشخاص عندما يغضبون على التنفيس(*) عن هذا الغضب .

وفى مواقف أخرى يحدث العكس عندما لا يكون الناس فى حالة من الغضب وفى الدراسات التى أجريت على جماعات الصغار فى مواقف اللعب وجد أن مستوى العدوان عند الذين يميلون للخضوع ، وعدم القيام بأى محاولة لصد العدوان ، يميل إلى الزيادة وليس إلى النقصان .

(*) Catharsis .

وقد يحدث التنفيس دون القيام بسلوك عدوانى مباشر على الاطلاق . فالغضب يتضاءل بمرور الزمن ، ويبدو أنه حالة نسيولوجية لها قنوات أخرى للتفريغ . ومن المرجح أيضاً أن الغضب يمكن أن يتناقص بسبب وجود مفاجآت جديدة تحول الانتباه إلى مسار أخر . فكما أن القصص إختبار تفهم الموضوع لها تأثير تنفيسى ، كذلك يكون نفس الأثر لملاحظة العدوان سواء كان فعلياً أو فى نكتة . فكثير من النكات ذات مضمون عدوانى ، ظاهر أو خفى . ويرضى الناس ميولهم العدوانية بشكل غير مباشر من خلال متعتهم بالنكتة . وقد بينت أحد التجارب[٩] . أنه كلما زاد الغضب كلما زاد الإحساس بطرافة النكتة العدوانية . أى أنها تكون فى هذه الحالة بمثابة الأشباع البديل للعدوان . كما وجد أن الأشخاص ذوى المزاج القلق والإنطوائى لا يستمتعون بالنكتة العدوانية . وربما بسبب القيود القوية التى يضعونها على السلوك العدوانى ، وما تسببه إثارة العدوان بشكل صريح من قلق .

هل هذا صحيح أيضاً بالنسبة للأفلام السينمائية العدوانية ؟ وهل هى تمدنا باشباع بديل للمشاعر العدوانية ؟ أم أن لها تأثيراً معارضاً يؤدى إلى تدعيم السلوك العدوانى ؟ من المهم معرفة الإجابة عن هذه الأسئلة ، بسبب قلق الرأى العام من التأثير الذى تتركه المشاهد التليفزيونية العدوانية ، وأفلام الرعب على سلوك الأطفال .

وقد بينت كذلك إحدى التجارب[١٠] أن الأشخاص الذى يستثار غضبهم قبل مشاهدة أحد الأفلام العدوانية ، يصبح سلوكهم بعد المشاهدة أقل تعبيراً عن العدوان ، وذلك بالمقارنة بمجموعة أخرى لم يستثر غضبها قبل المشاهدة ، ويؤكد هذا مرة أخرى أن التأثير مرهون بالحالة الإنفعالية السابقة للشخص . وكشفت بعض التجارب الأخرى أن محاكاة العدوان تحدث إذا كانت قصة الفيلم لا تنتهى بمعاقبة القائم بدور العدوان (أو البطل)[١١] .

ولم تكشف البحوث التى أجريت على الأطفال المدمنين على مشاهدة الأفلام التليفزيونية العدوانية عن أى فروق بينهم وبين الأطفال الآخرين من حيث مستوى العدوان أو الإنحراف . وقد وجد من ناحية أخرى ، أن الجانحين يقرأون ويشاهدون كثيراً من الأفلام العدوانية إذا قارناهم بالأطفال الآخرين ، لكن هذا لا يعنى أن تلك الأفلام تؤدى بهم إلى العدوان ، بقدر ما يعنى أن هذا النوع من الأطفال يميل إلى مشاهدة الأفلام العدوانية . وفى مسح شامل(١٣) تبين أن حوالى ٣٠٪ من الأطفال ينتابهم الرعب من مشاهدة المواد التليفزيونية ، ربما لأن نمط العدوان المعروض قريب جداً من نمط العدوان الخاص الذى يحاول الشخص التنفيس عنه تخفيفاً من القلق الذى يستثيره . وقد تأيد هذا بإحدى النتائج التى تشير إلى ضآلة الاضطراب الذى يستثيره العدوان السينمائى بالمقارنة بالعدوان الحقيقى أو الغضب ولعل هـــذا يفسر السبب فى انتشار وذيوع أفلام الغرب(*) (رعاة البقر) .

الوقاية من العدوان وتحويله

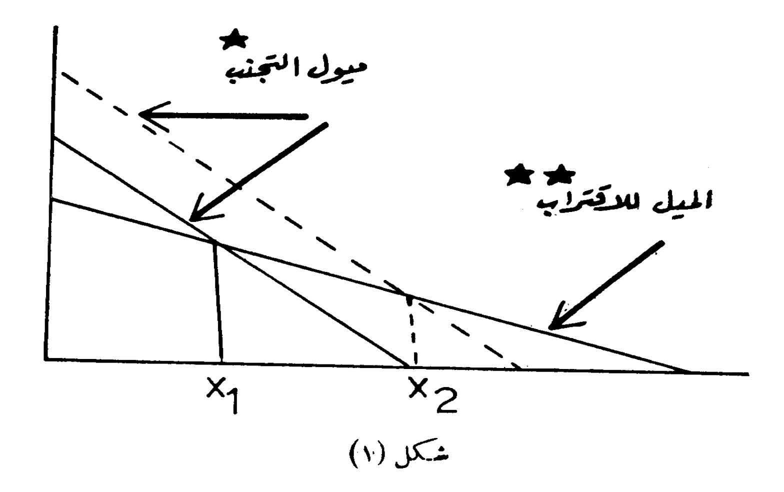
كثير من الناس يخضعون للاحباط التجريبى أو الإهانة ، لكنهم لا يستجيبون جميعاً بطريقة عدوانية . وقد يعود هذا إلى القيود التى يفرضها الموقف ، أو إلى القيود الداخلية لدى الشخص . وفى عدد من هذه التجارب أمكن التغيير من الشخص الذى يقوم بالإحباط ، أو المضايقة من حيث مركزه أو أقدميته . فتبين أن الأشخاص المتطوعين عندما يكونون من بين الطلاب ، فإن سلوكهم العدوانى يكون أقل إذا كان المجرب من أعضاء هيئة التدريس وليس طالبا آخر . وتزداد فاعلية المركز فى كف العدوان وتخفيضه بالنسبة للأشخاص التسلطيين ،

(*) West movies .

الذين يزداد عدوانهم نحو ذوى المركز المنخفض ، ويتضاءل نحو ذوى المركز المرتفع[١٣] . وتفسير هذا أن العدوان يقل حجمه إذا كان الشخص يعتقد أن ظهور العدوان يؤدى إلى العقاب . وفى دراسة على أحد الأستخبارات[١٤] . قرر الأشخاص بأن استجاباتهم العدوانية تزداد إذا كان احتمال العقاب ضئيلا . ويبين عدد أخر من الدراسات أن العدوان يكون أسلوباً محتملا إذا كان مصدر المضايقة صديقا . وبالرغم عن عدم وجود تفسير لهذا فإن من المرجح أن يكون هذا بسبب عدم توقع العقاب .

ولعل من أهم مساهمات فرويد لعلم النفس افتراضه بأن قمع التعبير عن الغريزة الجنسية ، يؤدى إلى البحث عن مصادر أخرى للإشباع . وقد تأيدت نظرية « التحول » هذه فى مجال التعبير العدوانى فضلا عن الجنس . ومن ثم فعندما يصدر الإحباط من شخص قوى ، فإن من الخطر التوجه نحوه بالعدوان ، ولهذا يتجه العدوان نحو شخص أقل قدرة على العقاب . وقد تبين فى أكثر من دراسة[١٥] . أنه كلما زاد العقاب على العدوان فى المنزل كلما قل ظهور السلوك العدوانى فى المنزل وزاد فى المدرسة . وفى تجربة أخرى[١٦] . قام أحد الأساتذة بتوجيه إهانة لمجموعة من الطلاب فى أحد الفصول الدراسية ، أدت إلى إثارة مشاعر الغضب لديهم . وطبق عليهم بعدذلك مقياس لتقدير عدوانهم نحوالأساتذة الأخرين فى القسم : فلم تكشف المجموعة (التى أهينت) عن درجة مرتفعة من التعبير عن العدوان نحو بقية الأساتذةبالمقارنة بمجموعة ضابطة ، ولكن تعبيراتهم العدوانية إزدادت نحو صغار السن من هيئة الأساتذة .

ويمكن توضيح عملية تحويل العدوان فى ضوء النظرية التى يضعها ميلر N. E. Miller فى الشكل (١)[١٧] .



شكل (١٠)

وفى ضوء هذه النظرية من المفترض أن ميول **الاقتراب** (هنا : العدوان الظاهرى) . وميول **التجنب** (هنا : الخوف من العقاب والقلق الذى قد يثيره العدوان) كلاهما يثور بتوجيه العدوان إلى الشخص . ومن المفترض أيضاً أن ميول التجنب بمقارنتها بميول الأقتراب ـ تتضاءل بسرعة أكثر بزيادة المسافة ، والبعد عن الأستجابة للهدف الأصلى .

وهناك دليل على صحة هذين الفرضين من التجارب التى أجريت على الحيوانات . ففى هذا الموقف قد لا تحدث الأستجابة للهدف الأصلى لكن يمكن أن تحدث أشكال أخرى من السلوك عند x_1 أو فيما بعدها على حسب درجة التشابه مع الاستجابة للهدف . ويبين الشكل السابق أيضاً أن زيادة قوة الكف

(*) Avoidance tendencies.

(**) Approach tendencies.

تؤدى إلى التغيير من شكل السلوك المسموح به وهو $\times_1$ إلى $\times_2$ أى إلى درجة أقل من الأشباع المباشر .

يبدو إذن أن العدوان يتحول إلى أشخاص أقل قوة ، ولم يكونوا مسئولين عن الإثارة الأصلية للضيق . ويبدو — فضلا عن هذا — أن العدوان يتحول إلى خيال أو تصور ، كما فى حالة الإجابة على بطاقات تفهم الموضوع[٢] . ومعنى هذا أن الأشخاص الذين يظهرون سلوكا عداونيا مرتفعا وهم فى حالة من الأسترخاء قد يعبرون بهذا السلوك — بطريقة غير مباشرة — عن عدوان مكتوم .

وهناك دليل قوى على أنه كلما ازدادت الحواجز على العدوان قوة (سواء كانت فى شكل خوف خارجى من العقاب ، أو قلق داخلى من العدوان) كلما ازداد ابتعاد الاستجابات العدوانية المحولة عن المصدر الأصلى . ويعبر الإعتداء على شخص مختلف عن الشخص الذى أثار الأحباط يعبر عن درجة أقل من هذا الأبتعاد . لكن يزداد هذا التحول إبتعاداً فى حالة التعبير الخيالى عن العدوان . وهناك ما يدل على أن هذا التحول يحدث أيضاً فى الجنس . إذ يفترض فرويد أن الغريزة الجنسية تبحث عن أشباع بديل لا فى الأحلام فحسب ، بل فى الأحلام الرمزية المقنعة . وهناك دليل على صحة هذا الفرض فى تجربة شيقه تدور حول إثاره الدافع الجنسى . فقد عرض أحد المجربين على مجموعة من الذكور عددا من الصور الفوتوغرافية المثيرة جنسياً وبالمقارنة بين هذه المجموعة ومجموعة أخرى لم تعرض عليها تلك الصور المثيرة لم يتبين وجودفرق بينهما من حيث نسبةالأفكار الجنسية فى إختيار تفهم الموضوع ، على عكس المتوقع .

وفى جزء أخر من هذه التجربة أمكن اختبار هؤلاء الأشخاص ، وهم فى حالة سكر ، فأنتجوا قصصا جنسية ، بما يشير إلى ضرورة التخلص من ضغوط الأنا الأعلى بتعاطى الكحول قبل السماح بالتعبير الجنسى . ومن الشائع أن التعبير

الجنسي الصريح يحدث بصورة مرتفعة تحت تأثير تعاطي الخمور . وهناك دراسة أخرى لقصص الأفراد الذين أثيروا جنسيا تبين زيادة في نسبة الرموز الجنسية في قصصهم . ويشير هذا إلى أن زيادة القيود تجعل من الخيال المقنع الرمزي هو الطريق الوحيد الممكن في التعبير الجنسي[١٨] .

وهناك نوع آخر من التحول العدواني يحدث في حالة **التعصب العنصري** . وتشير نظرية « كبش الفداء »(*) للتعصب بأن حالات العدوان تتجه إلى الأقليات الأضعف في رد الأذى . وكحقيقة ثابتة — على ما سنرى فيما بعد — فإن قدراً مرتفعا من التعصب العنصري يحدث على المستوى الخيالي لا السلوكي ، لأن كثيراً جداً من المتعصبين لا يستطيعون التعبير عن سلوكهم العدواني والمتعصب في سلوك ظاهر . ويعتبر هذا النوع من السلوك درجة أخرى من التحول ويوحي عدد من التجارب بأن هناك جانباً من الصدق في هذه النظرية : ففي تجربة حديثة[١٩] عبر مجموعة من الطلاب الأمريكيين عن بغضهم للمكسيكيين بعد إحباطهم إحباطاً تجريبياً شديداً . وتكشف الدراسات الإكلينيكية للأشخاص المرتفعين في التعصب أنهم يرتفعون أيضاً في الإحباط والعدوان[٢٠] .

لكن الحسم في هذا أمر معقد ، لأن التجارب بينت أيضاً أن الإحباط لا يؤدي إلى زيادة في تحول العدوان ، وأن الأشخاص المتعصبين — فيما تبين دراسات الحالة — يميلون للعدوان العام . وليس في الموضوعات التي يتحول إليها العدوان . ومن المحتمل أن تكون هذه النظرية ذات أثر محدود ، وأنها لا تنطبق إلا على المرتفعين في التعصب . وفي كل الأحوال فإن التحول العدواني لا يتجه نحو أهداف أو موضوعات متشابهة لكنه يتجه نحو أهداف — محددة إجتماعياً[٢١] .

(*) Scape goat.

ومن أبرز أشكال التحول العدوانى **العدوان على الذات** . فقد تبين أن بعض الأشخاص عندما تواجههم بعض المواقف المصيبة أو المحيطة يميلون إلى توجيه اللوم والتأنيب لأنفسهم . وقد يصل هذا العدوان على الذات إلى الضرب والشتائم المسموعة . ويمكن تقدير هذه السمة باستخدام الاستخبارات التى تتضمن أسئلة من هذا النوع .

« هل تعتقد أنك تستحق عقاباً أكثر مما تتلقاه الآن ؟ » .

ويقرر سيرز[٣] أن الأطفال فى سن ١٢ المرتفعين فى العدوان على الذات ، كانوا يعاملون بقسوة فى سن الخامسة ، ولم يكن يسمح لهم بالتعبير الخارجى عن العدوان . وفى تجربة وجهت فيها إهانة لمجموعة من الطلاب من قبل أشخاص مرتفعين ومنخفضين فى مركزهم . وجد أن التسلطيين عبروا عن درجة مرتفعة من العدوان نحو المنخفضين فى المركز (لكن عندما كانت توجه إليهم الإهانة من ذوى المركز المرتفع) كان عدوانهم يتجه إلى الذات[١٣] مما يوحى بأن العدوان يوجه نحو الذات عندما يكون توجيه العدوان للخارج محفوفاً بالمخاطر . وهناك تفسير آخر للعدوان الذاتى بأنه نتيجة **لامتصاص** العقاب الجسمى .

وسنرى فى الفصل التاسع أن الأطفال فى ظروف معينة يستجيبون لسلوكهم بنفس الطريقة التى كان يستجيب بها أباؤهم لهذا السلوك .

وفى دراسة للأطفال فى سن التاسعة وجد الباحث أنهم يصفون بعض مظاهر السلوك بأنها « مزعجة وأستحق العقاب إذا فعلتها » . وقد قرر آباء هؤلاء الأطفال بأنهم كانوا يعاقبون أطفالهم عقاباً جسمياً إذا ما قاموا بعمل نفس تلك المظاهر . مما يشير إلى امتصاص العقاب .

الفروق الفردية فى الميول العدوانية

تبين أن هناك فروقا ضخمة فى الميول العدوانية بين الأفراد ، وبين الجنسين ، والطبقات الإجتماعية ، والحضارات . ومن خلال الدراسات الإحصائية السابقة هناك دليل على أن العدوان بجوانبه المختلفة سمة عامة من سمات الشخصية . بالرغم من ضرورة التمييز بين « العداء »(*) و « العدوان » .

ويمكن تفسير مثل تلك الفروق الفردية جزئياً فى ضوء عوامل التنشئة الاجتماعية ، وخبرات الطفولة . ويتوقع علماء النفس ممن يميلون إلى الربط بين الإحباط والعدوان أن الأطفال الذين يفطمون مبكراً ، ويتعرضون لغير ذلك من جوانب الإحباط يتجهون إلى الظهور بمظهر المزاج العدوانى ، أى يميلون إلى الاستجابة العدوانية فى المواقف المناسبة . غير أن الدليل على هذا ضئيل . لكن هناك دليلا قويا على أن الأطفال الذين يتعرضون لرفض الوالدين ، ويعيشون علاقات باردة ، وغير مشبعة مهما يميلون فيما بعد إلى الظهور بالمظهر العدوانى ، بما فى ذلك الميل إلى الانحراف السيكوباتى . وقد ألقى سيرز وآخرون[٢٢] أضواء قوية على أنواع التدريب التى يخضع لها الطفل فى الطفولة والتى تقيد العدوان . وقدأجريت تلك الدراسات لأمهات ٣٧٩ طفلا. وجمعت البيانات الخاصة بالأنماط المختلفة للتدريب ، ومقدار العدوان كما يظهر فى سلوك الأطفال . وقد وجد أن العدوان يقل ظهوره فى حالتين : إتجاه التدريب لقمع العدوان أوإخضاعه ؛ أو عدم توجيه العقاب . ويزداد العدوان عندما يسمح به فى لحظة ويعاقب فى لحظة أخرى .

(*) Hostility .

ويرجح أن يستثير العقاب عدواناً أعمق ، لهـذا فمن الضرورى استخدام أساليب أخرى فى التدريب لا تتجه إلى العقاب . وهناك دليل — كما اتضح سابقاً — على أن العقاب الشديد فى المنزل يؤدى إلى ظهوره فى مواقف أخرى كالمدرسة أو نحو الذات .

ويبدو أن العدوان يمكن تعلمه أيضاً من خلال عملية **التوحد** (*) بالوالدين ، أى بنفس العملية التى أشرنا إليها سابقاً عند الحديث عن نشأة الدافع للتحصيل . وفى غالبية المجتمعات نجد أن الذكور أكثر ميلا للعدوان من الإناث . وبينت إحدى الدراسات(٢٣) أن الأطفال الذكور الذين نشأوا بعيداً عن آبائهم بسبب ظروف الحرب كانوا أقل ميلا للعدوان من الأطفال الذين عاشوا مع والديهم . ولم تصدق هذه النتيجة على الأطفال الإناث ، وتتفق هـذه النتيجة مع فكرة : اكتساب العدوان من خلال التوحد بالأب . ووجدت دراسة أخرى(٢٤) أن هناك ارتباطاً مرتفعاً بين الميول العدوانية والتوحد بالأب .

وفيما يختص بالفروق بين الجماعات يوجد دائماً ما يشير إلى أن الذكور أكثر عدوانية من الإناث ، ويتمثل ذلك فى عدد مرات ارتكاب جرائم القتل ، ومقدار التخريب ، والدرجات على المقاييس . ويعود هذا جزئياً إلى تعلم الأدوار الجنسية المناسبة من خلال عملية التوحد بالأب ، بالرغم من أن هذا أيضاً يحتاج للتفسير . وقد يعود هذا — جزئياً — إلى قوة القيود الداخلية عند الإناث بسبب التنشئة المبكرة فى الطفولة . وقد تبين مع هذا أن الأطفال الذكور بين الثالثة والخامسة يميلون إلى ممارسة بعض الأفعال العدوانية فى مواقف اللعب بالعرائس(٢٣) . مما يرجح أن هناك فروقاً جنسية فطرية فى الميول العدوانية ، وتؤيد بعض التجارب

(*) Identification .

التى قامت على حقن الهرمون الجنسى الذكرى فى الحيوانات — هـذا الترجيح إذ تحولت تلك الحيوانات إلى السيطرة ، وارتفاع العدوان[٢٥] .

وتوجد أيضا فروق طبقية ضخمة فى الميول العدوانية بجوانبها المختلفة ، فى المجتمع البريطانى والأمريكى . فقد تبين أن الآباء فى الطبقات المتوسطة أقل خضوعا وأن الأباء فى الطبقات العاملة أكثر ميلا لإيقاع العقاب الجسمى ، أى أنهم أكثر عدوانية وأكثر تشجيعا للعدوان . وقد كان من المعتقد فى وقت من الأوقات أن الإحباطات التى تواجه الحياة فى الطبقات العاملة هى التى تؤدى إلى إثارة العدوان ، ولكن هناك نتائج جديدة توحى بأنه نتيجة التحديات التى تواجه باستمرار عواطف اعتبار الذات فى مجتمع ذى بناء وسلوك طبقى متفاوت .

وتفيد الملاحظات العامة لعلماء الأنثروبولوجى بأن المجتمعات البدائية تختلف فيما بينها من حيث درجة العدوان . فهل يرجع هذا لأسباب فطرية ، أو لاختلاف أساليب التنشئة ؟ لا توجد دراسات فى هـذا الإطار غير دراسة واحدة تميل إلى ترجيح العامل الأخير . وقد بينت هذه الدراسة أن القبائل المحبة للقتال كقبائل السيوكس Sioux تستثير العدوان وتشجعه لدى الأطفال الصغار أما المجتمعات المسالمة فهى لا تتسامح فى التعبير عن العدوان . ومعنى هذا أن هناك تطابقا بين نوع السمة الشخصية التى يتطلبها المجتمع ، والأساليب التى يتخذها فى تنشئة أطفاله . وفى مقارنة إحصائية بين ٧٥ مجتمعا بدائيا وجـد كل من « وايتنج وتشايلد » whiting & child أن القلق الذى يستثيره العدوان يزداد فى المجتمعات التى تعاقب السلوك العدوانى ، وفى تلك المجتمعات بالذات يوجد ميل غير مباشر لإشباع النزعات العدوانية : أى فى اتجاه الميل إلى ممارسة السحر ، والشعوذة ، أو فى الأنواع غير المباشرة من العـدوان كالوخز بالإبر لنماذج إنسانية من الشمع .

الخلاصة

إلى أى مدى يعتبر السلوك العدوانى — مع الجريمة والحرب — جزءاً من الطبيعة الإنسانية ؟ يبـــدو لنا أولا كما لو كان العدوان هو الإستجابة الطبيعية للاحباط ، والتعدى على اعتبار الذات . ولـكن وجـــود قبائل مسالمة ، وأفراد غير عدوانيين يكشف ثانيا عن أن نسبة السلوك الظاهرى من العدوان يمكن تخفيضها باختيار الأساليب المـــلائمة من التنشئة كالعلاقات الدافئة بوالدين لا يشجعان على العدوان ولا يعاقبانه : وتوحى البحوث على أساليب الإعلام أن الأفلام العـــدوانية فى الحالات العادية تؤدى إلى تحـــويل الطاقة العدوانية ولا تشجعها . ولـكن التعبير عن العدوان القريب من المواقف الحية يسبب الاضطراب للأطفال ، وتـكون محاكاة الأشكال العدوانية مرجحة .

ويبقى — بعد هذا — سؤال إلى أى مدى نريد لأنفسنا التخلص من العدوان نهائياً ؟

يقدم لنا « ميشيل إينز » Michael Inues فى كتابه Operation Pax صورة مفزعة لمجتمع تخلص أفراده تماما من الميول العدوانية . فلـكى نحصل على تغييرات إيجابية وبناءة للمجتمع من الضرورى أن نسمح بمقدار أكبر من المعارضة ، ومقادير معينة من العدوان غير المباشر . ولعل من أحد الأسباب الرئيسية التى تجعل النساء أقل تفوقا ، وابتـكارا ، وقدرة على الإصلاح الإجتماعى أن مستوى العدوان لديهن أقل من الذكور ، فيملن مثلا للاستجابة بالاستسلام للضغط الإجتماعى دون المعارضة .

الفصل الخامس

الجريمة و الجناح(*)

جناح الأحداث من أخطر مشكلات الحياة الإجتماعية ، وبالرغم من البحوث الضخمة فى هذا المجال ، فإن نسبة الجريمة تتزايد بإطراد عاما بعد عام . فما هى الأسباب الرئيسية للجناح ، وهل هى وراثية ، أم أنها تعود لخبرات الطفولة ، والحياة الإجتماعية ؟ وما مدى نجاح الأساليب المستخدمة فى علاج الجريمة ، وهل هناك أساليب أكثر فاعلية من الأخرى ؟ وما هى إمكانيات النجاح فى المستقبل ، وهل هناك أمل ما فى منع حدوث الجناح ؟ .

أنماط الجناح

تشير كلمة « الجانح » إلى الشخص الذى يخرق القانون وهو أقل من ٢١ سنة ، أما المجرم فهو الذى يخرق القانون فى سن أكبر من هذا . ويتكون مجتمع الجانحين من أنماط مختلفة متنوعة من الجناح .

فهناك مجموعة منهم — كما سنرى فيما بعد — تتكون من أشخاص لا يستسيغون بعض قوانين المجتمع ، لأنهم قدموا من مناطق حضارية مختلفة ، بالرغم من أن غالبية الجرائم التى يرتكبونها من نوع السرقة او الاغتصاب .

(*) Crime and Delinquency .

وهناك أيضا مصدر هام من مصادر الوقوع فى الخطأ عند تعريف الجناح على ضوء الأشخاص الذين تعتقلهم الشرطة وتجدهم مذنبين : فهناك ٥٠ ٪ فقط من الجرائم المعروفة للبوليس أمكن معرفة سرها . أما النسبة الباقية فقد ارتكبها أشخاص بسبب ارتكابهم جرائم أحمق ، لأن الجانح يعود لخرق القانون بصورة مستمرة .

ومن ناحية أخرى ، يوجد بعض الجانحين ممن يصعب القبض عليهم . أو أن البوليس نفسه لا يرغب فى ذلك . وذلك مثل الجانحين المرتفعين فى الذكاء ، أو الذين يرتكبون مختلف أنواع جرائم الطبقة المتوسطة .

فإذا سلمنا بأن مجتمع الخارجين عن القانون مجتمع ذو خصائص متنوعة فكيف يمكن تقسيمهم إلى أنماط فرعية مفيدة ؟ من أحد السبل فى هذا تصنيفهم على أساس **نوع الجريمة** ، لكن علماء النفس عادة ما يفضلون تصنيفهم بحسب **الشخصية ، والموقف الاجتماعى** ، لأن المتشابهين سيكلوجيا يرتكبون فيما يبدو عدداً من الجرائم المتشابهة . وسنرى فيما بعد أن من أكثر أسس التصنيف فائدة التقسيم بحسب **القابلية لنوع معين من أنواع العلاج** .

ومع ذلك فليس من الممكن — لسوء الحظ — اكتشاف تصنيف نهائى يقوم على هذا المبدأ . غير أن هناك دراسات إحصائية متعددة تشير إلى وجود أنماط متعددة ومتميزة هى التى سنتجه إلى وصفها ، واستخدامها فى هذا الفصل .

من أحد الأنماط العامة فى الجناح ما يسمى بالجناح « الاجتماعى الكاذب » (*) ويسمى هكذا لأن الشخص يسلك نحو أعضاء عصابته سلوكا لائقا ، لكنه لا يسلك نفس السلوك نحو من هم خارجها . وقد ظهر هذا النمط من خلال دراسة قامت على التحليل العاملى لسلوك ٥٠٠ طفل فى ولاية « الينوى » . وقد وجد أن

(*) Pseudo-Social .

هؤلاء الأطفال أسوياء من الناحية السيكلوجية ، لكنهم يحملون قدراً مرتفعاً من الكراهية نحو السلطة ، ويرفضون سلوك المجتمع الخارجى الذى لا تنتمى إليه العصابة . أما من حيث إطارهم الحضارى فقد تبين أنهم قدموا من الطبقة العاملة ، من منازل كانت تهمل فى معاملتهم . ويحتمل أن يكون هذا النمط من الجناح من أشيع الأنماط ، خاصة من بين أنواع جناح الأحداث فى الطبقات العاملة . وهى الطبقة التى تأتى منها أعلى نسبة من الجناح .

وتشكل حالات « السيكوباث »(*) فئة ثانية من أنواع الجناح ، ولكنها من أكثر الفئات تنوعاً واختلافاً . وهم يختلفون عن المجموعة الأولى من حيث الزيادة فى إضطراب الشخصية : بالرغم من أن اضطرابهم يختلف عن الاضطراب « العصابى » و « الذهانى » . وهم يميلون بشكل عام إلى « خرق » القانون ، وعدم تحمل المسئولية ، وعدم الاعتماد عليهم ، ومشاعر الذنب وغيرها من أشكال ضبط الذات لديهم ، ضئيلة. بعضهم يميل إلى الإندفاع الشديد ، والهوائية وبعضهم عدوانى شديد العدوانية ، والبعض الآخر منهم بارد شديد البرودة ، لا يحمل شيئا من الاهتمام بمشاعر الآخرين . ويبدو ان السبب فى حالات « السيكوباث » يعود جزئيا إلى عوامل عصبية فطرية ؛ وإلى عوامل متعلقة بخبرات الطفولة . وتحتل حالات السيكوباث » إهتماما كبيراً نظريا وعمليا لأن كثيراً من أساليب العلاج الحديثة لا تنجح معهم . وهناك **مجموعة ثالثة** من الجانحين تتكون من بين الذين يعانون من بعض أنواع الإضطرات العصابى ، أى من تلك الفئة التى تتخذ من الجريمة أسلوبا لحل الصراعات الداخلية ، وذلك مثل حالات سرقة الحقائب . ودوافع هؤلاء الأشخاص مجهولة لديهم . وهم يأتون بنسب متساوية من كل الطبقات الإجتماعية بين كل من الجنسين .

(*) Psychopath .

وهناك بلا شك انماط أخرى من الجناح . ويفضـــل بالنسبة لحالات « السيكوباث » إهمال التقسيم إلى « سيكوباثين » والتقسيم بدلا من ذلك إلى أنماط مثل : الأنماط العدوانية والاندفاعية ، والباردة .

ويمـكن — إلى حـــد ما — الأستعانة بالنظريات السيكلوجية فى تفسير الجريمة لتفسير الأنواع المختلفة من الجناح . فالنظريات التحليلية بتركيزها على الجوانب اللاشمورية ، تصلح فى تفسير المجموعة الثالثة ، ولـكنها لا تصلح فى تفسير الأنواع الأخرى من السلوك الإجرامى الذى يـكون الدافع له واضحاً . أما نظريات ، التعلم الاجتماعى والتأثير الاجتماعى فتصلح بشـكل خاص لتفسير حالات الجناح الـكاذب . لـكن هذه النظريات ، لا تعطى تفسيراً كاملا ، لهذا فيجب أن نلقى نظره على الأسباب الرئيسية للجريمة ، قبل أن نتجه لأعطاء تفسير لحالات الجناح . وسنتناول «السبب» على أنه متغير أمبريكى (عملى) إذا عالجناه ، وجدنا أنه يؤدى إلى التغير فى نسبة الجريمة. هل تعود الجريمة إلى الوراثة ، أو إلى البيئة ؟ وهل تعود إلى الخبرات المبـكرة للطفولة ، أم إلى نواحى الضغط البيئية ؟ سنرى أن الجريمة تعود تقريباً إلى كل هذه العوامل ، وتلتقى بعض جوانب هذه الأسباب معا بحيث إذا قوى إحداها ، أو اجتمع بعض هذه الأسباب معا فإن النتيجة هى حدوث الجناح . ولـكل سبب من الأسباب الجزئية السابقة وزن إحصائى فى إبراز بعض أشـكال الجناح ، بحيث أصبح من المـكن تقدير الاحتمالات التى تؤدى بشخص ما إلى الجناح .

العوامل الوراثية — الفسيولوجية

هل تؤدى العوامل الجنينية (*) الموروثة من الوالدين إلى تأثير فى تحويل الشخص إلى جانح ؟ أفضل طريقة للاجابة عن هذا السؤال **دراسات التوائم** : فإذا كانت إحدى نزعات الشخصية موروثة ، فإن التوائم المتطابقة تشترك فى التعبير عن هذه النزعة أكثر من التوائم غير المتطابقة — وقد وجد أن ٨٠٪ من التوائم المتطابقين الجانحين اخوتهم التوائم جانحون أيضاً ، وقد إنخفضت هذه النسبة إلى ٧٥٪ لدى حالات التوائم غير المتطابقة[٢] . وتشير هذه النتيجة إلى أن الوراثة تلعب دوراً محدوداً . ومن ناحية أخرى وجد بالنسبة لجرائم البالغين أن تلك النسبة تكون كالآتى .

٦٨٪ فى الجريمة لدى البالغين .
٥٣ و ٢٥٪ للسيكوبات .

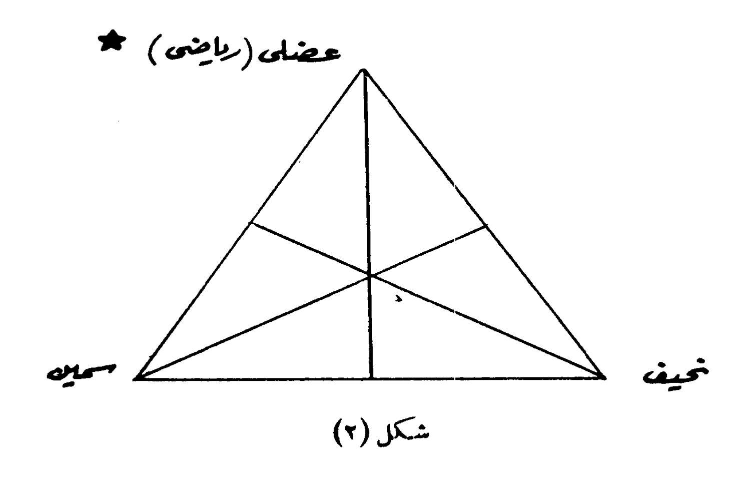
على أن الوراثة تلعب دورا أكبر فى حالات المجرمين المضطربين ، والداعين . وأذا كانت دراسات التوائم ثابتة (أنظر الفصل القادم) فإن هذا يوحى بأن الوراثة تلعب دوراً محدوداً فى جناح الأحداث ، وقد لا يكون لها أى تأثير فى حالات الجناح الكاذب ، ولكن تأثيرها كبير فى حالات السيكوبات وجرائم البالغين .

وهناك عوامل فسيولوجية متعددة يعتقد فى أهميتها بالنسبة للجريمة وقد كان « لمبروزو » هو الذى فكر فى أن هناك وجها خاصا للمجرم : تمتد الجبهة فيه إلى الأمام ، ويزداد حجم الأذن ، وتشتد فيه صرامة التعبير ، غير أن المقارنة بين أعداد ضخمة من الجانحين وغير الجانحين من نفس المستوى الاجتماعى بينت أن هذه الأفكار غير صحيحة على الأطلاق . هذا صحيح ، أيضاً بالنسبة لما يقال عن

(*) genetic .

الجانحين بأنهم أصغر أو أضعف من غيرهم — بل ان الحقيقة تثبت أنهم أقوى نوعا ما عن أندادهم من غير الجانحين ، نتيجة لتميزهم ببناء جسمى مختلف[٣] .

وهناك جوانب أخرى متعددة يختلف فيها الجانحون فسيولوجيا — عن غير الجانحين ، والنتائج فى هـــذه النقطة هى محصلة لبحوث إحصائية ، إعتمدت على المقارنة بين متوسطات حسابية . وغنى عن الذكر أن المتوسط لا يعبر عن الفروق الفردية المتنوعة . ومن أطرف النتائج أكتشاف أن الجانحين يملكون بناءاً جسمياً من النوع العضلى (أو الرياضى) ، وذلك وفق التصنيف الذى وضعه شلدون Sheldon للناس على أساس ثلاثة أبعاد جسمية يبينها الشكل (٢) .



شكل (٢)

(*) Muscular .

فقد تبين أن ٦٠٪ من الجانحين يقعون فى القطاع الجسمى العضلى بالمقارنة بـ ٣١٪ من غير الجانحين ممن يقعون فى نفس القطاع[٤] . وبالمثل فإن هناك نسبة قليلة من الجانحين من البناء العظمى النحيف ، غير أنه لا يوجد ما يدل على الحسم فيما إذا كان الجناح نفسه هو الذى يؤدى إلى البناء الجسمى المعتاد (من خلال التمرين الإيجابى على ذلك) ، أو أن بناء الجسم هو الذى يدفع إلى الجنوح (بمعنى أن القوة العضلية تؤدى إلى النجاح فى الكفاءة القتاليه والهروبية) ومن المرجح أن كلا من البناء الجسمى العضلى والفشل فى إقامة القوة الداخلية يخضعان تماماً للوراثة ، أو للعمليات البيولوجية العامة .

ومن الجوانب الفسيولوجية التى تميز الجانحين : **ايقاع الموجات الكهربائية الصادرة عن المخ** ، كما يرسمها الرسام الكهربى للمخ(*) ولكن يجب أن نشير إلى غموض المعلومات الموجودة حاليا عن تأثير تلك الموجات ، وكل ما نعلمه عنها أن هناك نشاطا غير عادى لتلك الموجات فى مناطق معينة من المخ . وقد وجد أن الرسم الكهربى لمخ الجانحين لا يختلف عن غيرهم ، لكن حوالى من ٥٠ — ٧٥٪ من السيكوباثين تظهر لديهم موجات « ثيتا »(**) ، وهى عبارة عن موجات كهربائية نشيطة وبطيئة[٥] . وقد بينت دراسات التوائم أن السيكوباثين يرثون ميلا لخرق القانون : ويعطينا الرسام الكهربائى نتيجة مشابهة على المستوى الفسيولوجى . وموجات « ثيتا » تظهر عند الأطفال وتتبدد تدريجياً بمرور العمر ، لهذا فعندما تظهر هذه الموجات لدى الجانحين الصغار فإنها تعتبر علامة طيبة للتحسن بمرور الوقت ، والنضوج . والفكرة بأن هــذا النوع من الجناح يعانى من التأخر فى النضوج تثبته بحوث البوال(***) فقد تبين أن ١٦٪ من الأسوياء يتبولون

(*) E. E. G.

(**) Theta .

(***) Enuresis .

لا أراديا بعد السن العاشرة ، ويصدق هذا على نسبة ٢٨٪ من جناح الأحداث و ٦٦٪ من السيكوباثين(٦) . والبوال اللاإرادى شبيه بنوبات «ثيتا» لا يظهر إلا فى الأعمار الصغرى .

التطبيع الاجتماعى فى الطفولة

تعتبر دراسة « جلوك » Glueck تصويراً جيداً للمنهج المعتاد فى دراسة تأثيرات خبرات الطفولة(٤) . وفى هذه الدراسة أجرى « جلوك » مقارنات بين خمسمائة طفل بين الحادية عشرة والسادسة عشرة ، من الجانحين المقيمين فى المؤسسات الاصلاحية بخمسمائة طفل آخر من غير الجانحين والمتماثلين مع العينة الجانحة من حيث الوضع الاجتماعى ، والعمر ، والذكاء ، والجنس . وقد وضعت تقديرات متعددة لأسر الجماعتين من قبل الإخصائيين الاجتماعيين ، وكان ينظر إلى أى فروق بين الجماعتين على أنها مسئولة جزئيا عن الجناح ، وهناك صعوبات متعددة فى هذا الأسلوب ، ستناقشها فى الفصل التاسع . ونتجه الآن إلى استعراض النتائج الرئيسية لدراسة « جلوك » ، التى اعتمدت على المقارنة بين عينات منتقاة من الجانحين بعينات مماثلة من الجانحين فى ضوء الخبرات الأسرية ، وتأكدت هذه النتائج باستمرار .. وكانت الفروق بين الجماعتين ضخمة منها :

١ — **الدفء فى مقابل الرفض** : وهو من أكثر المؤشرات . ويلعب الرفض من جانب الأب دوراً أكثر أهمية من الرفض من جانب الأم ، وقد وجد « جلوك » أن ٦٠٪ من الجانحين فى مقابل ١٩٪ من الضابطة كانوا ممن تعرضوا للرفض .

٢ — **نمط التدريب** دوره أيضاً ذو أهمية مساوية ، فإذا كان أسلوب التدريب يتجه إلى الخشونة والعقاب من ناحية ، وإلى الضعف وعدم الوفاق

من ناحية أخرى ، فإن ظهور الجناح يكون أمراً مرجحا (فى أى شكل من أشكاله) . ومن أفضل أساليب التدريب فى هذا الصدد : الأسلوب الصلب المتسق ، والذى يميل إلى استخدام المنطق والحرمان من الحب بدلا من العقاب البدنى .

٣ — **التسلطية — فى مقابل — الديموقراطية** : القدر المرتفع من الحرية ، والقدر المنخفض من الحرية كلاهما يؤدى إلى الجناح ، بأشكاله المختلفة .

٤ — **الانهيار المنزلى** : فغياب أحد الوالدين يؤدى إلى الجناح . فقد وجد أن نسبة ٥٠٪ من الجانحين فى مقابل ٣٤٪ من غير الجانحين جاءوا من بيوت منهارة . أما تأثير الصراع فى داخل المنزل فهو أكبر من هذا . كذلك بين ويلكنز Wilkins فى دراسة على أطفال بين الرابعة والخامسة ممن ولدوا ما بين عامى ١٩٣٤ — ١٩٤٣ أن نسبة الجانحين فى أعوام الحرب فى وقت غياب الآباء فى الجبهة بعيداً عن المنزل كانت أكثر من معدل الجناح فى الأطفال الذين ولدوا فى الأعوام الأخرى(٧) .

٥ — **الجناح واضطراب الوالدين** : وجد أن نسبة كبيرة من أباء الجانحين كانوا أيضاً من الجانحين ، أو المدمنين على الكحول ، أو من المتخلفين عقلياً ، والعصابيين .

تلك هى أهم متغيرات التطبيع الإجتماعى التى ترتبط بالجناح عموماً أو التى قد تكون من المسببات الرئيسية له . ولكن هناك أنواعا خاصة من جنوح الشخصية ذات أطر أسرية من نوع خاص . فالجناح الكاذب يرتبط بتاريخ طويل من الأهمال الأسرى ، وضعف القدرة على التدريب أما حالات « السيكوباث » فترتبط

بتاريخ أسرى من الأهمال والعقاب البدنى ، وقد ترتبط نسبة كبيرة منها بتهدم الأسرة ، أو تقوضها . أما الشخصية العصابية فسنوليها أهتمامنا فى الفصل القادم ، لكن العلاقة بالوالدين — فى هذا النمط — فى الغالب ، علاقة صراعية حادة ، يبالغ فيها الوالدان على تأكيد الجانب الأخلاقى ، ويسودها الشقاق بين الوالدين .

وبينما يمكن النظر إلى الخبرات الطفولية على أنها تضاف إلى الاستعدادات الوراثية ، فإنها أيضاً تتفاعل معها . فبينما لا يرجح أن يتحول الشخص العظمى النحيف إلى جانح ، فانه يتأثر تأثراً بالغا بالحياة التى تشكل الجو الأسرى المؤدى إلى تدجير الجناح[٣] .

العوامل الاجتماعية

نسبة الجناح لا تختلف باختلاف متغيرات التدريب فى مراحل الطفولة ، إنما تتأثر أيضاً بالعوامل الاجتماعية . فالمقارنة بين المناطق المختلفة فى المدن الضخمة تبين أن نسبة الأشخاص المتساويين فى العمر الذين يخرقون القانون تختلف من منطقة إلى أخرى فى نفس الفترات الزمنية .

وقد يصل الفرق بين منطقة وأخرى ما لا يقل عن ٢٥ حالة . وقد وجد أن هناك مناطق خاصة للجناح وجد بعضها فى شيكاغو وتوالى بعد ذلك اكتشافها فى المدن الأخرى الكثيرة . وقد بينت الدراسات الأمريكية أن مناطق الجريمة تقع فى المناطق السكنية المنحطة القريبة من قلب المدينة حيث تقل المناطق السكنية ، وتزداد المنشآت التجارية ، والصناعية — أما فى انجلترا ، فإن مناطق الجناح تكون فى المناطق السكنية ، خاصة المناطق التى تقل فيها التيسيرات المعيشية .

وهناك متغيران يرتبطان ارتبــاطاً مرتفعا بالجناح هما الفقر ، والطبقة الاجتماعية وفى دراسة على ١٥٥ فى بلتيمور[٨] تبين أن نسبة الجناح ارتبطت سلبيا بمقدار (٨٠و —) بملكية المنازل ، و ٧٣و٠ بازدياد الكثافة السكانية ، و ٠,٥١ بعدد سنوات التعليم . لكن إلى أى حد هذه النتائج الإحصائية صحيحة ، ولا تعود إلى أن الرقابة البوليسية مثلا قد تكون قوية فى المناطق العمالية ؟ وأن جناح الأحداث لا يأخذ فى الطبقات المتوسطة شكلا مختلفاً ؟ وتبين الدراسات أن جناح الأحداث فى هــذه الطبقات لا يتعدى جــدران المدرسة ، ولا يصل إلى الأصطدام بالبوليس بل يتجـــه إلى الأصطدام بالسلطة التعليمية . أما الجانحون الكبار فى هذه الطبقة فيميلون إلى إرتكاب انحرافات تختلف عن جرائم السرقة ، والعنف . وهى انحرافات يمكن أن نطلق عليها انحرافات ذوى « الياقات البيضاء للنشاة »(*) مثل الهروب من دفع الضرائب ، ومتطلبات الإنفاق الزائف والمخالفات فى مجال العمل بأنواعها المختلفة ، ومع ذلك فإن الدراسات السوسيولوجية لمناطق الجناح تؤيد النتائج الاحصائية ، وتبين أن هذه المناطق لم تكشف ما يدل على وجود الاحترام الشكلى للقانون والنظام . ربما لأن الراشدين فى الطبقات العاملة يدركون أنهم غير قادرين على التنافس مع أندادهم من الطبقة المتوسطة ، وأن احتمال التقـــدم والثروة لا يمكن أن يتم بالطرق العادية ، فيستجيبون لذلك جزئياً بوضع قواعد جديدة للتحصيل ، قد تأخذ صوراً مختلفة منها . العنف ، والملابس الغريبة ، والمحاولة أيضا لتحقيق نفس الأهداف بطرق جانحة مثل : السرقة والإحتيال .

وترتفع نسبة الجانحين فى الأقليات الملونة ، فنسبة الجناح من الزنوج الأمريكيين تزيد بمقدار خمس مرات ونصف عن البيض[٩] . لكن يبدو أن هذه النتيجة هى

(*) White Collar Crime .

فى الحقيقة من تأثير الطبقة الاجتماعية ، إذ تقل النسبة عندما تتم المقارنة بين الزنوج والبيض من نفس الطبقة . وتبين دراسة « بالتيمور » السابقة أن أعلى نسبة من الجناح تحدث فى مناطق الإمتزاج العنصرى ، وتقل هذه النسبة بشكل محسوس للغاية فى المناطق التى يسكنها زنوج فقط . وتصلح نفس الاعتبارات التى وضعت لتفسير زيادة نسبة الجناح فى الطبقات الاجتماعية المنخفضة فى تفسير الجناح لدى الأقليات الملونة التى يتقيد طموح أفرادها أيضاً . وتساعد أساليب تنشئة الأطفال جزئياً فى تفسير الفروق العنصرية والطبقية فى الجريمة . فمن المعروف أن كل الشروط التى أشرنا إلى ارتباطها بالجريمة ، يزيد ظهورها فى الطبقات العمالية ، والأقليات العنصرية . وأبرز مثال على ذلك ما يتعلق بانهيار الأسرة : فغالبية الزنوج الأمريكيين ، يأتون من أسر منهارة نتيجة العادات المختلفة فى الزواج ، وفى الغالب تتكون الأقليات من بين جماعات المهاجرين من مناطق حضارية مختلفة ، ممن لم يستطيعوا بعد تعلم أو تقبل أنماط السلوك ، والقواعد الجديدة المقبولة أساساً فى المجتمعات التى هاجروا إليها . ومن الأمثلة على هذا أن الزنوج الذين انتقلوا من الجنوب إلى الولايات الشمالية وقعوا فى حوادث اختلاس من أصحاب العمل — وهذا أسلوب مقبول فى الجنوب ، ولكنه غير مقبول فى الشمال .

عوامل الشخصية

إن القول بأن الجناح يتكون بسبب أنواع مختلفة من العوامل الوراثية ، وخبرات الطفولة ، يجعلنا نتوقع أن يكون الجانحون أنواع من الأشخاص يختلفون عن غير الجانحين : أى أن تكون لهم شخصية مختلفة . ويؤكد بعض علماء الإجتماع أنه لا توجد فروق فى الشخصية بين الجانحين وغيرهم ، وأن العوامل الاجتماعية هى العوامل الوحيدة المسئولة عن الجريمة . والحقيقة إذا نظرنا إلى السمات الشخصية العامة فلن نجد فروقا . فالجانحون ليسوا بأقل ذكاء من غير

الجانحين ، وقـــد قيل بأن الجانحين من **النمط الانبساطى**(*) ، وذلك لبطء الإنبساطيين فى بعض أنواع التعلم ، فيفسر هذا فشل الجانحين فى اكتساب القيود الداخلية[١٠] . غير أنه تبين عموما أن الجانحين — مثلهم فى ذلك مثل المجرمين المحترفين — ليسوا على درجة مرتفعة من الإنبساط بالرغم ، بالرغم من **السيكوباثيين منهم** يرتفعون بالفعل فى الإنبساط[١١] . ويرى بعض علماء النفس أن الجانحين **عصابيين** . لـكن البحث فى هذا المجال ذى شكل معقد ، فقد بين إستخدام إختبار مودزلى للشخصية(**) أنهم يحصلون بالفعل على درجات مرتفعة فى العصابية ، لـكن استخدام الاختبارات الأخرى من أمثال إختبارات منيسوتا المتعدد الأوجه للشخصية (MMPI) لم يؤيد هذا . لهذا فن المرجح ان هناك أنماطا معينة من الجانحين العصابيين ، خاصة الذى يرتـكبون أفعالا لا توجد دوافع ظاهرة لها .

وقد قام الـكاتب باستقصاء للبحوث التى قارنت بين شخصيات الجانحين ، وغير الجانحين — فاستنتج أن الفروق الرئيسية بينهما تقع فى النقاط الأربع الآتية :

١ — ضعف الضمير ، وضعف مشاعر الذنب ، والميل للغش فى مواقف الاختبار .

٢ — رفض السلطة ، وتقبل سلطة الجماعة الجانحة (وترتفع حالات الجناح الـكاذب فى هذا البعد بشكل خاص) .

(*) Extravert .

(**) Maudsley Personality Inventory .

٣ — الاندفاع ، وضعف ضبط الأنا ، والميل لتجاوز الأركان فى اختبارات المتاهة .

٤ — ضعف المشاركة الوجدانية ، وزيادة الميول العدوانية ، وعدم الدقة فى إدراك مشاعر الآخرين .

فجماعات الجانحين يختلفون عن غير الجانحين على هـــذه السمات الأربع : لـكن كل نمط من الجانحين يختلف فى إتجاه مغاير . فحالات الجناح الـكاذب ترتفع فى المجموعة الثانية . والسيكوباثيون فى نقطة أو أكثر من المجموعة الأولى والثالثة والرابعة . وتفرق بعض الاختبارات أيضاً بين الجانحين وغيرهم فى الإتجاه السابق .

ومن المتغيرات التى تميز تميزاً حادا بين بين الجانحين وغيرهم : **الجنس** — فنسبة الذكور الجانحين ترتفع عن نسبة الإناث الجانحات ثمانى مرات على الأقل وتختلف النسبة باختلاف الشروط الحضارية . كما هو الحال فى **الميل العدوانى** فإن تفسير هذا الفرق يعود **جزئيا** إلى الاستعداد الغريزى **وجزئيا** إلى عوامل التطبيع ، كما يعود أيضاً إلى اختلاف الدور . وتثبت البحوث على عصابات الجناح المختلطة أن الذكور يتجهون إلى الخشونة والاقتحام واختراق القانون ، بينما يقوم الإناث بعملية التشجيع . كذلك تبين أن الجرائم التى ترتكبها الإناث تتعلق بالانحرافات الجنسية ، وسرقة المحال التجارية .

وهناك متغير آخر هو **العمر** ، فالعمر الذهبى للجناح يقع بين ١٥ — ١٦ ، وتبدأ نسبة الجناح فى الهبوط التدريجى بعد هذا السن . صحيح أن الأطفال جميعهم يعتبروا جانحين بشكل ما ، لـكن بعضهم بلا شك يأخذ وقتا أطول من الآخرين لتعلم القواعد الصحيحة . ومن المعروف أن أعضاء العصابات يبدأون بين الحادية

والعشرين والثانية والعشرين فى الحصول على عمل ثابت ، وحياة زوجية ، ويتركون جماعتهم . وبعد الثلاثين لا يستمر فى خرق القانون إلا المجرمون المحترفون ، بالإضافة إلى ذوى الشخصيات المضطربة التى لم تنجح وسائل العلاج الحالية فى إصلاحهم .

أساليب العلاج

سنتجه فى هذا الجزء إلى الاهتمام بالجوانب الإصلاحية فى الأساليب العقابية الحالية . وتقوم الطريقة العادية فى تقدير نجاح أسلوب علاجى معين على إيجاد النسبة المئوية للعود(*) لارتكاب نفس الجريمة بعد ثلاثة أو خمسة أعوام . فلقد وجد أن الغالبية العظمى من المجرمين يعودون لارتكاب جرائمهم خلال الأعوام الثلاثة الأولى . ويعود البعض لارتكاب جرائمهم دون أن يكشفهم أحد . لهذا فنحن نكتفى بالنسبة المئوية المعروفة . وبالطبع لا يهمنا هنا التأثيرات التى يتركها السجن أو الإصلاحية على الشخصية .

نتساءل بادىء ذى بدء عن مدى نجاح الأساليب العقابية الراهنة ، كما نقدرها بهذه الطريقة ؟ يوضح الجدول (١) بعض النتائج الخاصة بهذا الموضوع .

(*) K. R. P.

جدول (١)

نسبة العود فى الأساليب المختلفة

الأسلوب المستخدم	نسبة العود
(١) تعليق العقوبة مع الرقابة (*)[١٤] (جانحين بين ١٧ — ٢٠ سنة من ١٩٤٨)	٣١٪
(٢) الحجز المؤقت[١٥] (أحداث بين ١٤ — ١٦ سنة من ١٩٤٥)	٤٤
(٣) السجن[١٦] (العمر من ٢١ — ٢٩ عقوبات قصيرة)	٢٤
(٤) مراكز للحجز (**) (أحداث)	٣٣
(٥) حجز وقائى	٤٢
(٦) تدريب إصلاحى	٥٨

ملحوظة : الدراسة التتبعية استمرت ثلاثة أعوام ، ما لم تتحدد فترة غير تلك فى دراسات أخرى . وانتهت الأحكام سنة ١٩٥٨ .

فإذا اتجهنا إلى النتائج السابقة نلاحظ عدة نقاط . منها أن العينات ليست جميعها من بين الأحداث (أى الذين ارتكبوا أول فعل جانح لهم) ، كما نلاحظ أن نسبة الفشل تزداد بالنسبة للذين تعرضوا للعقوبة مرتين أو أكثر .

ومن أهم النقاط التى يجب الالتفات إليها ، أنه ليس بالإمكان مقارنة كفاءة الأشكال المختلفة من العلاج بهذه الطريقة ، لأن هناك أنواع مختلفة من الأشخاص يتلقون عقوبات مختلفة . وكنتيجة لاختلاف عادات قضاء العقوبات من محكمة إلى أخرى ، فمن الممكن أساساً التأكد من فاعلية العقاب بالمقارنة بين أشخاص

(*) probation .

(**) Detention .

متشابهين تعرضوا للعقوبة بطرق مختلفة ، وفى هذا الصدد أمكن « لويلـكنز » المقارنة بين جماعات مختلفة من الجانحين ، ممن تشابهوا فى احتمال الفشل ، كما تقدر من خلال قوائم التنبؤ . فوجد أن المؤسسات ذات سياسة الأبواب المفتوحة تؤدى إلى احتمالات شفاء أكثر من المغلقة . كذلك وجد أن نسبة الفشل بالنسبة لمن قضوا فى السجن أربعة شهور أو أقل تقاربت مع الذين قضوا عقوبات تتراوح بين ١٥ شهر وثلاثة أعوام(١٩) . وفى دراسة أخرى لم يتبين فروق فى نسبة الفشل بين إيقاف تنفيذ العقوبة وبين من أرسلو إلى السجن(٢٠).

والآن ما مدى فاعلية العقاب البدنى إذا نظرنا إليه فى نفس الضوء ؟ يبين الجدول (٢) عدد مرات العودة إلى أفعال جانحة متفاوتة الشدة بعـــد إيقاع العقاب البدنى .

جدول (٢)

الأفعال الجانحة التالية للعقاب البدنى

الأفعال الجانحة	الخضوع للعقاب		عدم الخضوع للعقاب	
		٪		٪
عدم ظهور الأفعال الجانحة	١٠٦	٤٠,٦	٦٠١	٤١,٧
أفعال جانحة بسيطة(*)	٢٢	٨,٤	١٧٩	١١,٣
أفعال جانحة شديدة(**) (ولكن لم تصل لدرجة العنف)	٨٩	٣٤,١	٥٢٥	٣٣,٢
أفعال جانحة عنيفة(***)	٤٤	١٦,٩	٢١٩	١٣,٨

(*) Minor offences .

(**) Major offences .

(***) Violent offence .

ويبين هذا الجدول أن الفرق بسيط ، بل إن الخضوع للعقاب الجسمى يؤدى إلى نتائج أسوأ فى حالة الأفعال الجانحة العنيفة . صحيح أن الفروق فى كل الأحوال غير دالة ، إلا أن النسبة توضح بجلاء أنه لا يوجد أى أثر أصلاحى للعقاب الجسمى .

وإلى هذا الحد نكون قد قارنا بين مختلف أنواع العلاج العقابى من حيث تأثيراتها على نسبة النجاح والفشل ، دون محاولة لإبراز طبيعة الأفراد الجانحين الذين يصلح معهم أسلوب علاجى دون الآخر . فقد رأينا أن نسبة نجاح الأساليب العقابية تزداد فى حالات الأحداث ، وتفقد فاعليتها بالنسبة للأنواع الأخرى من الجناح الشديد ، بل إنها قد تؤدى إلى آثار مختلفة فى حالة المحترفين الذين يترددون على السجن ثلاثين مرة أو أكثر . ومن ثم فمن الممكن التنبؤ بنجاح السجن أو فشله فى الإصلاح . ويضع « مانهايم وويلكنز Manheim & wilkins »[١٨] قائمة بالحالات التى يفشل فيها العقاب بالسجن ولا يؤدى إلا إلى نسبة نجاح محدودة .. من هذه العوامل : الإدمان ، وعدد مرات الجنوح السابقة ، والمعيشة فى مناطق صناعية ، وعدم استقرار سجلات العمل

وهناك دراسة أخرى تمت فيها المقارنة بين نسبة نجاح العلاج الجمعى فى شفاء حالات الجناح فى البحرية الأمريكية[٢٢] . فكان من المتوقع أن يؤدى الإشراف الجيد إلى نجاح أكبر . غير أن النتائج لم تؤيد هذا التوقع ، لكن التحليلات الأعمق للنتائج بينت أن الجانحين « الناضجين » ينجح معهم الإشراف الجيد بمقارنتهم بزملائهم غير الناضجين .

يبدو إذن أن هذه الدراسات توضح أن هناك بعض أنواع العقاب دون غيرها تصلح مع بعض أنواع الجناح دون غيرها أيضاً وتؤدى إلى آثار سلبية فى الأنواع الأخرى . ومن الممكن بناءاً على هذا وضع قوائم تنبؤ بالشكل العلاجى المناسب لكل نمط من أنماط الجناح . ولو أن هذا لم يتحقق بعد .

وسنعرض فيما يلى باختصار بعض الأشكال الحديثه من العلاج لكى نبين نوع الأساليب التى تتناسب مع الأنماط المختلفة من الجناح .

العلاج السلوكى : وسنتحدث عنه فى الفصل القادم ، ونكتفى هنا بالإشارة إلى بعض أشكاله التى تصلح فى العلاج فى هذا المجال . ففى إحدى حالات الجناح من النوع الثالث (أى الذى ليس له دوافع ظاهرة ، عولجت حالة من حالات سرقة الحقائب ، والميل إلى الهجوم على عربات الأطفال بأسلوب التنفير(*) ، أى باعطائه عقارات مقيئة مثل الأبومورفين(**) مع عرض الحقائب وعربات الأطفال وذلك لمدة ٩٦ مرة[٢٣] . كذلك استخدمت أساليب مماثلة فى علاج الادمان على الخمور والمخدرات .

اما التحليل النفسى فقد أهمل استخدامه تماما مع المساجين ، بالرغم من تطبيقه على بعض الأشخاص فى الاصلاحيات ، فضلا عن **الارشاد النفسى**(***) **والعلاج الجمعى** . ولا تصلح هذه الأساليب عموماً مع الجانحين من ذوى الميول العدوانية نحو السلطة ، ولكن نسبة نجاحها فى بعض المجموعات الأخرى أفضل من هذا ، ولو أن النتائج المنشورة غير متسقة فى دلالاتها .

اما علاج البيئة (****) أو المجتمع العلاجى فيقوم على أساس وضع الجانح فى مؤسسات تتبع قواعد مرنة وهادئة أكثر من العادة ، حيث تقوم الجهود على خلق جو مريح من العلاقات الشخصية بالجانحين ، وأحيانا يستخدم فيها أسلوب التوجيه — الذاتى ، مع وجود مشرفين . وتشير بعض الدراسات إلى

(*) Aversion .

(**) Apomorphine .

(***) Counselling .

(****) Milieu .

أن نسبة النجاح بأستخدام هذا الأسلوب أعلى من غيرها ، بالرغم من قلة الدراسات فى هذا المجال[٢٤] .

ولا يوجد أسلوب علاجى من بين هذه الأساليب يصلح فى علاج الحالات السيكوباثية ، أو الجناح الكاذب . لكن سلوك الحالات من النوع الأخير يكون أفضل فى داخل المؤسسات ، وقد وجد « جلوكس Gluesks »[٢٥] أن هؤلاء الأشخاص يتحسنون جداً فى معسكرات التجنيد .

وكل اشكال العلاج لاتصلح مع السيكوباثين بالرغم من أن مرور الوقت يؤدى إلى علاج الأشخاص ممن كان انحرافهم فى البداية بسبب عدم النضوج ونحتاج إلى التجريب على طرق جديدة لعلاج الأنماط المختلفة فى هذه المجموعة .

ويتطلب كل هذا بأن يتجه العلاج بحيث يتناسب مع شخصية الجانح ، وليس مع نوع الجريمة . فى الحقيقة توجد أختلافات ضخمة فيما رأينا — بين إجراءات المحاكمة فى المحاكم المختلفة ، بحيث يستحيل تماما التنبؤ بنوع العقوبة ونتائجها .

الوقاية من الجناح

هل يمكن منع الجنوح والوقاية منه ؟

يمكن القول بأن هذا ممكن بتشديد **الأساليب العقابية** . غير أن الدراسات على تأثير أنواع العقاب تثبت ، أن أشد الأنواع قد يكون لها تأثير ما . ويعود السبب إلى هذ فيما يبدو إلى أن الأشخاص الذين يقومون بارتكاب الجرائم التى يعاقبون عليها بهذه الطريقة يقومون بذلك تحت تأثير نزعات لا يمكن ضبطها ، ولا يفكرون فى العواقب التالية . وعلى هذا ، فإن الأشخاص الأقل أندفاعية الذين يرتكبون سرقة السيارات مثلا قد يتوقفون عن ذلك نتيجة للعقاب الشديد .

أما الأسلوب الثانى فيقوم على أساس علاج المتغيرات العملية التى تسبب الجريمة ، فيؤدى هذا إلى إنخفاض نسبة الجريمة . صحيح أن من الصعب تعديل العامل الوراثى ، غير أن استخدام أساليب تحسين النسل تزداد فاعليتها عندما يكون وزن العامل الوراثى أكبر . أما عامل التطبيع فقد تم الاهتمام به فعلا بنقل الأطفال من أسرهم إلى بيوت للحضانة . ويمكن القيام بالكثير من الأشياء لتوعية الوالدين بالنتائج المختلفة لكل نوع من أنواع أساليب التنشئة . فإذا كان الوالدان لا يحملان مثلا كثيرا من مشاعر الحب لطفل ما ، فإن توجيه اهتمامهم للنتائج المختلفة للرفض يؤدى إلى نتائج كثيرة الفاعلية . كذلك نجد أن الاهتمام بالعوامل الاجتماعية إهتمام ضئيل ، فإذا كانت الجريمة وظيفة للفرص غير المتكافئة من النجاح فى مجتمع رأسمالى ، فإن فرص مكافحتها لا تكون بأى تغييرات إجتماعية جزئية . لكن من الممكن مثلا توجيه إهتمامنا لمناطق الجناح ، فيولى القائمون بأمور تخطيط المدينة إهتمامهم الأساس للمناطق الشعبية المزدحمة . فيراعون مثلا عدم نقل بعض المناطق السكانية بكاملها وبنفس أنماطها إلى المدن السكنية الحديثة.

غير أن هناك ثلاثة أشياء يجب اتباعها لحد الجريمة هى : مراكز الرعاية الاجتماعية ، والعلاج فى داخل المدرسة ، والارشاد النفسى للأفراد الذين لديهم استعداد للجناح . فقد وجدت دراسات متعددة أن الجانحين لا ينتمون إلى نوادى الشباب ، وأن مناطق الجناح تخلو من مراكز الرعاية الاجتماعية ، والتيسيرات الترفيهية وقد نظم « شو » Shaw(٢٦) مراكز للرعاية الاجتماعية ، ومعسكرات صيفية فى كثير من المناطق فى شيكاغو ، فتبين له أن نسبة الجناح تنخفض فى تلك المناطق عن غيرها . صحيح أن التجارب من هذا النوع ليست على قدر واحد من النجاح ، لكن « شو » قد لقى معونات محلية ضخمة ، وتعاطفا من قبل الرأى العام والسلطات المحلية وهذا ما لا يتاح لغيره .

ذكرنا سابقا أن بداية الجناح ترتبط بالفشل الدراسى والاحباط . ويمكن تجنب هذا بإقامة مدارس خاصة ، أو فصول للاطفال المتخلفين ، يوجه فيها الأساتذة إهتمامهم لمشكلات الأطفال من الطبقات العاملة ، والمتخلفين فى المهارات اللفظية . وهناك إمكانية أخرى تقوم على تشخيص الأطفال الذين يوجد لديهم إستعداد للجناح ، لكى نعطيهم توجيها نفسيا خاصاً . ومن الممكن بالطبع تحديد الاستعداد للجناح فى فترة مبكرة من العمر . وأفضل طريقة لهذا استخدام مقاييس التقدير السلوكية[٢٧] . غير أن الحكم فى فاعلية الإرشاد النفسى سيبقى أمرا يحتاج إلى البرهان ، لأن المحاولة الوحيدة فى هـــذا الميدان لم تسفر عن نتائج حاسمة[٢٤] ، ولو أن الاساليب الارشارية التى استخدمت لم تكن بالكفاءة المطلوبة[٢٨] .

إعتبارات أعمق

ما هى إحتمالات التقدم فى مكافحة الجريمة فى مجتمعنا ؟ إن نظرة واحدة لمعدل الجريمة فيما بين ١٩٥٠ — ١٩٥٥ (فى بريطانيا) ، تبين أن هناك زيادة ثابتة بالمقارنة بسنوات ما قبل الحرب ، ليس فى بريطانيا العظمى وحدها ولكن فى كل بلدان العالم تقريباً . وإن ما سيحدث بعد هذا يعتمد على القـــدرة على التفسير الصحيح لموجة الجريمة من بين التفسيرات المتعددة . فقد يكون **اولا فى** إنخفاض قدرة الوالدين على التأثير ، أو فى ظهور مجتمع المراهقين بقيمة السلوكية الخاصة . وقد يكون **ثانيا** فى نمو الظلم الاجتماعى وعدم المساواة والدليل على هذا أن الجرائم العدوانية تزيد فى فترات الرخاء(*)[١٦] . وهناك أيضاً إهتمام متزايد بالقيم المادية للامتلاك ، كما تنشرها أدوات الإعلام كالتليفزيون والإذاعة وغيرها.

(*) فى المجتمعات الراسمالية .

إن نمو مجتمع المراهقة ، وقيم الامتلاك كلاهما يظهر فى الولايات المتحدة أكثر من غيرها فى بلاد العالم ، لهذا نجد أن نسبة الجريمة هناك فى تزايد مستمر ، خاصة فى المناطق الفقيرة فى المدن الضخمة .

وهناك تفسير **ثالث** لموجه الجريمة يكمن فى نظرية **جيل الجناح**(*)والتى نتوقع بمقتضاها أن تنخفض نسبة الجريمة عندما يصل هذا الجيل إلى منتصف العشرينات بداية من عام ١٩٦٤ . ولكن يقف ضد هذا التوقع ، أنه توجد موجه للجريمة أيضاً فى دول أخرى كالسويد ، لم تتعرض لتغيب الأب عن الأسرة بسبب الحرب.

فإذا كانت النظريتان الأولى والثانية صحيحتان ، فإننا يمكن **أن** نتوقع أن تزداد نسبة الجريمة أكثر وأكثر ما لم تتخذ الوسائل المناسبة لضبط **طريقة تغير المجتمع . ومن اهم** المحاولات وأشيقها لتخفيض نسبة الجناح هى مشروع الشباب للحراك الاجتماعى فى الجانب الشرقى من ولاية نيويورك . وبناءاً على هذا المشروع ، سيتاح للشباب ما بين ١٦ : ٢١ سنة الحصول على أعمال تتيح لهم تحقيق الفرصة فى النجاح عن طريق العمل ، وليس الجريمة . كذلك ستعطى لهم الفرصة للتعليم والتدريب مع توجيه النشاط لإثارة الأساليب القيادية الجماعية المحلية(٢٩) .

(*) delinquency generation .

الفصل السادس

الصحة النفسية والاضطراب العقلى (*)

كيف يتحول الناس إلى مضطربين عقليا ؟ وما هى العمليات السيكلوجية المتدخلة فى هذا ؟ وكيف يمكن علاجهم ؟ وهل تزداد النسبة المئوية لهؤلاء الأشخاص ؟ .

مع أن هذه المشكلات جزء من مشكلات الطب النفسى (**) ، فإن علم النفس الاجتماعى يساهم فيها بدراسة الأسباب البيئية لمرض العقل وصحته ، وفى تطوير الأساليب الإجتماعية للعلاج . وبالرغم من أن بعض شروط الأمراض العقلية (من أمثال الذهان العضوى) (***) ترجع إلى أسباب كيميائية بحته ، ويمكن تناولها بهذا المعنى كما نتناول أى مرض آخر ، فإن العصاب ، وبعض أنواع الذهان تعتبر استجابات خاطئة للضغوط ، بسبب التشجيع على استخدام أساليب خاطئة من التوافق فى فترات الطفولة . كذلك تتضمن درجة موروثة من العجز عن تحمل الإحباط ، أو العجز عن الميل للاستجابة للضغوط بالطرق الملائمة .

تعريف وتصنيف

تختلف النظرة للسلوك الشاذ ، أو المضطرب باختلاف المجتمعات ، وباختلافات المراحل التاريخية المختلفة . ويقصد بالإضطراب النفسى — فى مجال الممارسة

(*) Mental Health and Mental Disorder .

(**) Psychiatry .

(***) Organic Psychosis .

العملية — تلك الحالات التى تتراوح من مشاعر الكدر والضيق إلى الحالات العقلية الخطرة ، والتى تتطلب اللجوء للطبيب النفسى . وتعتبر حالات القلق والاكتئاب ، من أمراض الكدر النفسى ، أما حالات السيكوباث والهوس فهى لا تنتمى لهذا النوع من الاضطراب ، بل تنتمى إلى الإضطرابات الخطرة التى تؤدى إلى ايقاع الأذى بالآخرين . وقد يكون الشخص الذى يعانى من إضطراب سلوكى معين ضعيف الفاعلية فى عمله وفى علاقاته الإجتماعية ، ويكون أداؤه الوظيفى منخفضا ، ولو أنه يكون قادرا فى بعض الأحوال على إبداع كثير من الأفكار الجديدة الهامة .

المرضى العقليون باختصار طائفة من الناس التعساء ، أو الخطرين ، أو عديمى الفاعلية وقد يكونون تلك الأشياء الثلاثة مجتمعة . وتختلف المجتمعات فى نظرتها مثلا بتقبل بعض الاضطراب كالشذوذ الجنسى . وتختلف المجتمعات أيضا فى حساسيتها بالنسبة للاسباب التى يجب معالجتها ، أو معاقبتها . وكلما تقدمنا فى اكتشاف الأساليب الناجحة فى العلاج ، كلما زاد الإتجاه للعلاج دون العقاب . ولا نحتاج فى هذا الفصل للاهتمام كثيراً بهذه المسائل بل نحتاج ببساطة إلى الاهتمام بالعلاج، وأسباب الأنواع المختلفة من السلوك التى تشيع لدى الأشخاص الذين يتقدمون للعلاج .

والطريق الشائع فى تقسيم الإضطرابات العقلية يمكن تصنيفها إلى قسمين : العصاب(*) ، والذهان(**) . **والعصابيون** أشخاص يسهل إثارتهم بسهولة ، وتعساء ، تسيطر عليهم بعض الأعراض المحددة ، كالخوف من بعض الموضوعات ، أو من بعض الإضطرابات الجسمية . وهم فى العادة قادرون على مواصلة النشاط

(*) neurosis .

(**) psychosis .

بالرغم من العجز والقيود . أما الذهانيين فهم غالبا ما يحجزون فى المستشفيات العقلية ، وعادة ما يعجزون عن العمل والتكيف للحياة دون عون من الآخرين ، إضطراباتهم حاسمة وتكون فى التفكير ، أو الكلام ، أو المزاج . ولاشك فى أن فائدة التمييز بين العصاب والذهان كبيرة ، ففى إحدى الدراسات تبين أن الاختبارات التى ميزت بين العصابيين والأسوياء،لم تميز بين الذهانيين والأسوياء[١]، بما يبين أنهما ميلان مستقلان عن بعضهما تمام الاستقلال ، مع أن الشخص الواحد يميل إلى استخدام كلا الشكلين من أشكال التوافق فى الأوقات المختلفة . ويمكن أيضاً تقسيم كلا من العصاب والذهان إلى فئات مستقلة ، لكن التقسيم التقليدى من أكثر التقسيمات فائدة حتى الآن . لأن نظام التصنيف الحالى فى فئات محددة يؤدى إلى صعوبة أساسية هى : أن المريض قد يكشف عن أعراض تنتمى إلى أكثر من فئة ، بحيث يصعب وضعه فى احداها .

ويقترح الباحثون نظما أخرى من الأبعاد . فأيزنك[١] يقترح الأبعاد الثلاثة : العصابية ، والذهانية ، والانطواء — الإنبساط . ووفق هذا التقسيم تختص الهستيريا بعصاب الإنبساطيين ، وحالات القلق بالعصاب الانطوائى . وقد ابتكر الباحثون مجموعات أخرى من الأبعاد مثلها : بعد التحول ضد الذات (ويتضمن القلق والاكتئاب والانتحار) ، والتحول ضد الآخرين (كالجريمة، والانحراف الجنسى) ، وتجنب الآخرين (كالفصام(*))[٢] .

وبالرغم من الفوائد المحتملة التى يمكن أن نجنيها من استخدام كل طريقة من الطرق السابقة فى التصنيف ، فانها قد استفادت جميعها من طريقة التصنيف التقليدية لعصاب وذهان . وسنكتفى فيما يلى بعرض الأنواع الرئيسية فى هاتين الفئتين :

(*) Schizophrenia .

(أ) **الأعصبة** : وتتضمن : (١) حالات القلق ، بما فيها من قلق هائم ، أو مشاعر الذنب أو مخاوف مرضية . (٢) الهستيريا ، بما فيها من سلوك إستمراضي ، وشكاوى جسمية : كالخوف من الشلل أو الأغماء. (٣) الوساوس ، والأعصبة القهرية .

(ب) **أنواع الذهان** : وتتضمن : (١) الفصام: وأعراضه الرئيسية الانسحاب، وإضطراب العمليات الفكرية ، والعجز عن السلوك الاستمرارى أو الإرادى . (٢) الهوس والاكتئاب ويتكون من إضطرابات المزاج والحكم . (٣) البارانويا وتتكون من الأهجسة الثابتة(*)، وغالبا ما تأخذ شكل العظمة أو الإضطهاد .

والآن ما مدى إنتشار هذه الإضطرابات ؟

نجد فى حالة العصاب أن السؤال عن هذه النقطة أشبه بالسؤال عن عدد الأشخاص طوال القامة ،صحيح أن هناك لحظات محددة فى حياة بعض الأشخاص يشعرون فيها بالإضطراب ، أو يعانون من حالات « إنهيار عصبى » لكن لاتوجد فى الحقيقة نقطة محددة يمكن أن تكون محكا للحكم باضطراب الشخصية والدليل على ذلك أن أحد مراكز التجنيد فى الجيش الأمريكى رفض ٥٠٪ من الأشخاص لأسباب سيكياترية . بينما رفض مركز آخر حوالى ١٪ لنفس السبب، ولقد بلغ متوسط النسبة للاشخاص الذين أعفوا من الخدمة العسكرية لأسباب عصابية فى الحرب العالمية الثانية حوالى ٥,٦٪[٣] . ويبدو أن النسبة الأخيرة معقولة ، وتمثل بالفعل النقطة التى يحكم فيها الأطباء النفسيون بحاجة الشخص للعلاج . ويقرر مركز الخدمات الصحية بجامعة ليدز Leeds أن ٤٪ من الرجال

(*) Delusions.

و ٥٪ من النساء يعانون من الأعراض النفسية المرضية (ذهان لفترة قصيرة) في أثناء حياتهم الدراسية (٤) . وإذا اتخذنا من هذه النسبة محكا ، فإن نسبة العصاب تكون أكبر من هذا . وفى دراسة مسحيه على خمسة آلاف أمريكى (٥) ، وجد أن ٤٪ منهم كانوا يعانون من الإضطراب المزمن ، و ١١٪ كانوا يشعرون بالتعاسة ، ١٩٪ ينتابهم الخوف من الانهيار العصبى ، و ٢٣٪ كانت تصادفهم مشكلات تحتاج لتدخل الاخصائيين . أما نسبة الذهان فهى تصل إلى أكثر من ١٪ فى المجتمع سواء كان هذا المجتمع مجتمعا علاجيا ، أو سجنا أو سكانا ، و ٨٠٪ من حالات الذهان من الفصام .

هل تتجه حالة الاضطراب العقلى نحو الزيادة بسبب تزايد ضغوط الحياة المتأخرة ؟ لاشك فى أن تزايد المعرفة بالموضوع ، والتيسيرات تؤدى إلى زيادة فى اكتشاف الإضطرابات ، والتوصية بها للعلاج . غير أن الدراسة المنظمة الوحيدة فى هذا الموضوع بينت أن مستوى الالتحاق بالمستشفيات العقلية بسبب الذهان بولاية « ماساشوستس » ، لم تحدث فيه زيادة مطردة منذ سنة ١٨٤٠(٦) . صحيح أن هناك زيادة فى عدد الذهانيين بعد سن الـ ٥٥ ، لكن يبدو أن هذه الزيادة ترتبط بظروف الرعاية التى تقدم للمسنين فى الوقت الحالى ، ففى الماضى كان علاج المسنين يتم فى داخل منازلهم .

أما بالنسبة للعصاب فيبدو فعلا أنه فى تزايدمستمر لأن وزن العوامل الوراثية فيه ضئيل . كما نعلم أيضا أن العصاب ، والانتحار ، والجريمة تزيد نسبتهـــا فى الحروب .

ويعتقد البعض أن المجتمعات البدائية تخلو من الإضطرابات العقلية . لكن علماء الانثروبولوجى يؤكدون أنه يوجد فى كل المجتمعات التى درست . فى مسح إجتماعى لحالات الفصام المزمن فى مناطق « غانا » الريفية وجد أن نسبتهم تصل

إلى ٩٪ من عدد السكان — في مقابل ٨٪ من عدد السكان في أوربا وأمريكا(٧) لكن يحتمل بالطبع أن تقل في المجتمعات البدائية الأمراض « السيكوسوماتية » التي ترجع إلى إضطرابات العمل وضغوطه . وهناك بعض الإضطرابات تسود في المجتمعات البدائية ولا تسود في المجتمعات المتمدينة وذلك كسعار القتل ، وغيره.
وباختصار فان الطريقة التي ينهار بها الشخص عصبيا تتوقف الى حد ما على الاسلوب الذى تفرضه الظروف المحلية ، لكن عدد الاشخاص الذين يتعرضون للانهيار لا تختلف كثيرا من مجتمع حضارى الى اخر .

العوامل الوراثية والفسيولوجية

سنعرض لثلاثة مصادر رئيسية للمرض العقلي هي : **الوراثة ، وخبرات الطفولة والضغوط البيئية** . علما بأن كل مصدر من هذه المصادر كفيل وحده باحداث الإضطراب السلوكي ، لكن عادة ما يحدث هذا الاضطراب بسبب التقاء هذه العناصر الثلاثة مجتمعة أو إثنين منها على الأقل : فالشخص قد يولد ولديه استعداد ضعيف لتحمل الضغط ، وتساعد خبرات الطفولة السيئة على تعميق هذا الاستعداد فيحدث الانهيار بسبب صعوبات الحياة التالية .

ومن المعروف أن بعض الأسر تسود فيها بعض الإضطرابات ، لكن هذا لا يعني أنها موروثة ، فقد تكون بسبب التأثير المباشر للوالدين على الطفل .

ولعل أفضل الطرق لدراسة تأثير العوامل الوراثية تكون باستخدام التوائم الأخوية(*) ، والمتطابقة(**) . والتوائم المتطابقة هي التي تحدث بسبب أنقسام

(*) Fraternal twins .

(**) Identical twins .

بويضة واحدة ، لهذا لخصائصها الوراثية تتطابق . أما التوائم الأخوية فهى تنشأ نتيجة لتخصيب مستقل لبويضتين ، لهذا فالتشابه بينها لايزيد عن التشابه بين الاخوة فى الرضاعة وعلى هذا فإذا وجدنا أن التوائم المتطابقة أكثر تماثلا من التوائم الأخوية فى جانب معين، فإن هذا يعنى بأن هذا الجانب موروث إلى حد ما . والاعتراض الأساسى الذى يقوم ضد هذا المنهج أن التماثل بين التوائم المتطابقة قد يكون بسبب التماثل فى أساليب التنشئة. ويبين الجدول الآتى النسبة المئوية لانتشار حالات الفصام وغيرها من الاضطرابات بين التوائم .

جدول (٣)

نسبة الاضطرابات العقلية بين التوائم

الاضطراب العقلى	بين التوائم المتطابقة	بين التوائم الأخوية
الفصام	٦٧ — ٨٦	١٠ — ١٥
حالات الهوس والاكتئاب	٧٠ — ١٠٠	١٥ — ٢٩
جناح الأحداث	٨٥	٧٥
الشخصية السيكوباتية	٢٥	١٤
العصاب	٥٣	٢٥

ملحوظة :

(تعبر هذه الأرقام عن متوسط النتائج فى عديد من الدراسات)

وعندما يمكن تقدير هذه الحالات على بعد متصل فإن الارتباط بين التوائم من النوعين فى عدد من الخصائص يأخذ الشكل الآتى :

الخاصية	متوسط الارتباط للتوائم المتطابقة	متوسط الارتباط لدى التوائم الأخوية
الذكاء	٠,٧٦ : ٠,٩٠	٠,٣٨ : ٠,٦٣
العصابية	٠,٨٥ : ٠,٩٣	٠,٢٢ : ٠,٧٢

يمكن أن نستنتج من هذين الجدولين أن كل الإضطرابات العقلية تخضع للوراثة جزئياً ، دون أن يلغى هذا دور العوامل البيئية وإلا بلغت النسبة عند التوائم المتطابقة ١٠٠ ٪ . وهناك استنتاج آخر مؤداه أن بعض الحالات تعتمد اعتماداً قوياً على الوراثة أكثر من الأخرى وفق هذا الترتيب : الذهان أولا ثم يتلوه العصاب ، ويفوقهما جميعاً جناح الأحداث . ويمكن الكشف عن تأثير العامل البيئى بطريقة أخرى من طرق دراسة التوائم ، أى باستخدام التوائم المتطابقة ، التى عزلت لظروف معينة بعد الميلاد ، فقد تبين أن التماثل بينهما يكون أقل من التماثل بين التوائم التى نشأت معا .

وتحدث الوراثة بسبب العديد من الآليات المورونة . فقد يتدخل عدد كبير من المورثات فى أحداث التشابه الإحصائى العام بين العلاقات ، فيؤدى إلى التوزيع الاعتدالى للسمة فى الجمهور : ويحدث هذا فى حالة الذكاء والطول وربما العصاب . وقد يحدث هذا بسبب وجود مورث واحد مسيطر(*) فتسود لدى نصف الأطفال الحالة إذا وجدت لدى أحد الوالدين . وذلك كما فى حالة بعض أنواع الذهان النادرة كذهان « كوريا »(**) وقد يؤدى وجود مورث واحد متنحى إلى ظاهرة جيل « ناقل » يحمل الحالة ، لكنها لا تظهر عليه بالفعل ، وبعض حالات النقص

(*) Dominant .

(**) Chorea Psychosis .

العقلى من هذا النوع . ويقال عن الفصام أنه يورث من خلال وجود مورثين أو أكثر من هــذا النوع أيضا . أما حالات الهوس والاكتئاب فتحدث بسبب : المورثات المسيطرة(*) .

وتضيف دراسة « **البناء الجسمى** » دليلا آخر على تأثير الجانب الوراثى على المرض العقلى . فقد تبين أن الفصام وعصاب القلق ينتشران بين الأشخاص ذوى القامة المستقيمة النحيفة ، أما حالات الاكتئاب والبارانويا ، والجناح فتنتشر بين ذوى البناء العضلى ، وتنتشر الهيستريا بين ذوى البناء السمين ، غير أن من الضرورى أن نؤكد هنا أن هذه العلاقات علاقات إحصائية فقط ، ولا تزيد عن ٠٫٣ ويمكن أن تكون هناك تفسيرات عديدة لهذه العلاقات بين البناء الجسمى والمزاج — كما فى حالة الجناح — ويرجح أن يكون السبب راجعاً إلى عمليات وراثية مختلطة .

تأثير خبرات الطفولة

استمر منهج دراسة الحالة(**) المنهج الأثير والوحيد فى دراسة تأثير خبرات الطفولة . غير أن هذا المنهج لا يكفى ، لأن الناس الأسوياء لهم أيضاً طفولة غريبة فى بعض الحالات ، ولهذا من الضرورى أن تتوافر أعداد كبيرة من المرضى والأسوياء من نفس الإطار ، أو بين مجموعات متعارضة من المرضى . وقد تم ذلك بالفعل فى عدد من الدراسات ، نعرض هنا نتائجها العامة .

ولما كانت خبرات الطفولة تحتل أهميــــة أقوى بالنسبة للعصابيين بالمقارنة بالذهانيين ، فإننا نبدأ بدراسات العصاب . لقد بينا فى الفصل السابق أن الحالات

(*) Recessive .

(**) Case Study .

السيكوباتية وحالات الجناح تنشأ بسبب الرفض والعقاب البدنى أما **عصاب القلق** فهو على عكس الجناح : تقوى فيه القيود الداخلية ، والمحظورات ، وينشأ بسبب نوعية مختلفة من التنشئة الطفلية . وقد وجد أن الأشخاص المصابين بالقلق العصابى يتميز أباؤهم بالضبط الشديد . وتكون علاقاتهم بأولادهم على قدر كبير من التوتر ، ويميلون إلى استخدام العقاب السيكولوجى بدلا من العقاب الجسمى (١٠) ويمكن تناول الفرق بين الجناح وعصاب القلق فى ضوء الدرجات المختلفة من تكوين الضمير والعدوان الموجه إلى الخارج فى الحالة الأولى ، والموجه إلى الداخل فى الحالة الثانية .

والأشخاص المصابون بعصاب القلق على درجة كبيرة من العجز عن تحمل الضغوط ، وتتميز استجاباتهم بالتوتر ، لأنهم لم يتجهوا إلى أساليب أخرى للتخفيف من القلق . فضلا عن هذا فطفولتهم لم تخلو من بعض الخبرات المؤلمة فى مواقف معينة ، وتنتهى هذه الخبرات بإكسابهم المخاوف المرضية (الفوبيا) (*) عند مواجهة هذه المواقف ، تلك المخاوف التى تعتبر المنبع الأساسى للقلق .

وهناك شكل آخر من العصاب هو **الهيستيريا** تتبلور أعراضها فى شكايات جسمية ليس لها أساس فعلى يمكن للطبيب علاجها . ولا شك أن الهروب من الأشياء بالتظاهر بالمرض من أحد الأعراض الشائعة لدى الأطفال . لهــــذا توجد الأعراض الهيستيرية بين الأشخاص غير الناضجين ، المنخفضين فى الذكاء . لكن الهيستيريا تختلف عن التظاهر بالمرض ، لأن الاستجابات الدفاعية الهيستيرية تحدث دون تحكم المريض ورغم إرادته .

والنساء أكثر إستعداداً للاصابة بالهيستيريا من الذكور ، خاصة عندما تكون الأم من النوع المسيطر ، المسرف فى الرعاية ، ومن ثم تولى إهتمامها للشكاوى الجسمية والأمراض (١١) .

(*) Phobias .

ومن أحد أشكال الهيستيريا العمى الهيستيرى الذى يؤدى إلى عجز المريض عن رؤية المواقف التى ستثير لديه القلق ، وأى شكل من أشكال الهيستيريا من شأنه أن يساعد المريض على تجنب المشكلات ، وأن يجعله مركزاً للاهتمام والرعاية . ويؤدى التركيز على الشكاوى الجسمية فى نفس الوقت إلى تشتيت إنتباه المريض عن المصادر الحقيقية للقلق فى العالم الخارجى .

أما **أنواع الذهان** فتأثرها بالخبرات الطفولية أقل وتحــدث غالباً لدى الأشخاص الذين يـكشفون فى طفولتهم عن ميول سلوكية معينة للانهيار الذهانى فيما بعد . **فالفصام** مثلا يظهر غالبا لدى الأشخاص الذين يتعرضون فى طفولتهم للـكف ، والعزلة عن الأطفال الآخرين . ولم يمـكننا الـكشف حتى الآن فيما إذا كانت هـــذه العزلة ترجع إلى الفشل فى اكتساب المهارات الإجتماعية الملائمة أم تعـكس سمات موروثة من الشخصية . صحيح أن هناك دراسات متعددة تبين أن هناك أنماطا مختلفة تسود لدى والدى الفصاميين منها : وجود أم مسيطرة كثيرة الغضب ، مسرفة فى الرعاية ، يسيطر عليهـا الصراع بين طريقة الإتصال ومحتواها ، لـكن العوامل الحاسمة فى الفصام لم تتـكشف بصورة محددة بعد . وتحدث الانهيارات الفصامية غالبا فى المراهقة المتأخرة ، بعد الفشل فى علاج المشكلات المتعلقة بالمدرسة أو العمل وبذلك يتمثل فيها الفشل فى التوافق مع متطلبات الحياة الراشدة . فيـكون الميكانزم الأساسى للتوافق هو الانسحاب من مصادر هذا القلق إلى عالم ضيق تسوده خيالاته الخاصة وإشباعاته البديلة .

أما حالات **الهوس**(*) والاكتئاب(**) فهى تسود لدى أشخاص ينتمون إلى أسر تولى إهتمامها الزائد المركز ، والتأثير الاجتماعى ، وتعامل أطفالها بطريقة

(*) Mania .

(**) Depression .

غير عادلة[١٣] . ويسود الانزعاج لدى هؤلاء الأشخاص فى مواقف الحياة التالية عندما يتعرضون للفشل ، أو احتمال الفشل . ويحدث الانهيار عادة بين الـ ٤٠ والـ ٥٠ سنة لدى الأشخاص الذين كانوا يتميزون طوال تلك الفترة بالنجاح ، والطموح ، والتوافق الاجتماعى ... وتعتبر استجابة **الهوس** محاولة لتخفيف القلق بزيادة الكفاح أو من خلال الاندماج فى نشاط حركى مستمر .

أما الاستجابة **الاكتئابية** فتحدث فى الغالب لدى الأشخاص من ذوى الضمير القوى ، والذين يتجهون للوم النفسى الشديد عند حدوث أشياء خاطئة . وتكون نوبة الاكتئاب تعبيرا عن الاستسلام فى المعركة .

أما **البارانويا** فتتكون من نوعين من الأهجسة(*) : أهجسة **العظمة**(**) وأهجسة **الاضطهاد** (***) . وتحدث فى الغالب لدى الأشخاص الذين يفتقرون — لسبب ما — إلى الصلة العميقة بالآخرين ، فلا يمكنهم نتيجة لهذا إختبار معتقداتهم . وتتضمن حالات **البارانويا** هذا النوع الأعم من الأشخاص الذين يفتقرون لغة التواصل الإجتماعى ، والذين لا يواجهون الواقع بالشكل المقارب من الاستجابات العادية للأقران بسبب تدليل الوالدين ، ومن ثم يتجه نشاطهم إلى تبنى مجموعات من المعتقدات بعد التعرض لأى أزمة من أزمات الفشل بحيث تبدو تلك الأزمات إزاءها عديمة الأذى .

والآن إلى أى مدى تستطيع البحوث أن تدعم الأفكار النظرية للتحليل النفسى ؟ . من الأفكار الفرويدية التى تدعمت : التركيز على أهمية عوامل الطفولة ، والعلاقة بالوالدين ودور ميكانزمات الدفاع ، وفكرة أن الأعراض قد

(*) Delusions .

(**) grandeur .

(***) Persecusion .

تـكون أحياناً بديلا رمزياً للحاجات الأساسية والصراعات . إلا أن النظرية التحليلية قد فشلت فشلا كبيراً فى معرفة أهمية العوامل الفسيولوجية — الوراثية من جهة ، أو مصادر التعصيب الاجتماعى فيما بعد من جهة أخرى . فضلا عن هذا ، فبينما نجد أن البحوث تتفق مع الأفـكار التحليلية فى تأكيد الأهمية العامة للعلاقة بالوالدين ، فإن تفاصيل هذه العلاقات لم تـكن تسير فى الإتجاه المتوقع كما تصوغه النظرية الفرويدية .

تأثيرات التعصيب(*) البيئى

تعجل الأنواع المختلفة من التعصيب البيئية بظهور الاضطرابات السلوكية . فإذا كان التعصيب كبيراً ، كما فى حالة معسكرات الاعتقال ، أو بعض المواقف السلوكية ، فإن كل شخص سيكشف عن قدر من الاضطراب السلوكى ، ولو ان هذا الاضطراب لا يـكون بالضرورة سلوكا ذهانياً . لـكن فى الحالات الخفيفة من التعصيب فإن الافراد ذوى الاستعداد الوراثى ، أو الذين نشأوا فى ظروف مشابهة لمـا ذكرناه وحدهم سيستجيبون بهذا السلوك . ولا تؤدى التعصيبات البيئية إلى اضطرابات سلوكية فقط ، بل تؤدى أيضاً إلى اضطرابات أو أمراض جسمية . وتبين إحدى الدراسات أن المرض العقلى والجسمى يجتمعان معاً . كما وجد أيضاً أن الافراد تصيبهم سلسلة من الامراض تجمع بين هذين النوعين فى فترات معينة من حياتهم - شبيهة بفترات التعصيب — وذلك كوفاة أحد الوالدين ، أو الطلاق ، أو الهجرة(١٤) .

وهناك أنواع مختلفة من التعصيب حقيقية ، وذلك كالتعرض لخطر ما أثناء

(*) Stress .

الخدمة العسكرية ، لكن هناك مواقف يرى الفرد أنها تعصيبية بينما هى ليست كذلك بالمرة . فعلى سبيل المثال قد يصاب بعض الطلاب بالانهيار ، عندما يتحققون من أن أداءهم لن يكون بالشكل المتوقع ، وقد يترجم حتى النجاح المتوسط أو العادى إلى فشل ذريع عند بعض الأشخاص نتيجة اكتسابهم مستوى مرتفع من الطموح ، أو الخوف من الفشل . وفى حالات أخرى تكون مواقف معينة مصدراً للقلق الشديد نتيجة لخبرات طفولية سيئة فى العلاقة بالأشخاص فى السلطة أو بعض الأماكن المغلقة .

ويتحدد شكل الاضطراب السلوكى — جزئياً — بطبيعة التعصيب . فأنواع الانهيارات التى تحدث أثناء الخدمة العسكرية ، تختلف عن تلك التى تحدث للطلبة ، ويتأثر ظهور الأعراض بالعرف الاجتماعى ، والعادات ، وذلك كما بينا عند عرضنا للتقارير الأنتروبولوجية . إلا أن الخبرات المبكرة ذات دور أهم فى تعليم الاشخاص الطرق المختلفة فى التعامل مع أنواع التعصيب الاجتماعى باستخدام الأساليب الدفاعية الانسحابية المختلفة وغيرها . فالأشخاص المختلفون عندما يتعرضون لموقف واحد من التعصيب يستجيبون باضطرابات سلوكية ذات أنواع مختلفة .

وتعتبر الحرب مصدراً من المصادر العنيفة فى التعصيب . ففى الحرب العالمية الثانية تحول ثلاثة أرباع مليون جندى أمريكى إلى مرضى لأسباب سيكاترية وكانوا يعالجون على أنهم من حالات عصاب الحرب . وتعتمد نسبة الانهيار بسبب هذا العامل على درجة التعرض للخطر ، ودرجة استمرار هذا التعرض . وقد وجد أن نسبة الانهيار فى المعسكرات الحربية ترتبط مباشرة بنسبة التعرض للحوادث الحربية(١٥) . فتبين تقارير مختلفة أن الجنود الذين يستمرون فى العمل دون انقطاع يتعرضون للانهيار بعد سبعة أسابيع . ويبين هذا أن الاضطرابات السلوكية

تحدث إذا كانت التعصبيات البيئية على درجة كبيرة من العنف حتى ولو كانت العوامل الوراثية ، أو عوامل التنشئة عادية . ونجد أن ٦٠ ٪ من هذه الحالات تشفى بسرعة بعد إبعادهم عن مسرح القتال . وتعتبر أيضاً **معسكرات الاعتقال والأسر** مصدراً من المصادر العنيفة للتعصيب . ففى معسكرات السجن الحربى فى كوريا كان المساجين على درجة مرتفعة من الإجهاد والمرض ، والأعياء ، والبرد ، وكانوا مهددين بين لحظة وأخرى بالموت . وفى ظل هذا الجو تحولت نسبة كبيرة منهم إلى أشخاص متبلدين عاجزين عن رعاية أنفسهم والعناية بها . لكن نسبة كبيرة منهم سرعان ما شفيت تلقائياً بعد ليلة واحدة من العودة للوطن(١٤) . وفى ظل هذه الشروط تكون الانهيارات العصبية سهلة ، لكن لم يكن هناك دليل ما على أن الذهانيين قادرون على مقاومة هذه الأنواع الخاصة من التعصيب .

وتعتبر **العزلة الاجتماعية** عاملا من العوامل الشائعة فى حالات الاضطراب العقلى . ويتعرض الناس للعزلة فى المناطق السكنية المعزولة ، وبسبب الحياة المنفردة أو ضعف حجم الاتصالات الاجتماعية ، أو عدم الزواج ، أو الانتقال من منطقة سكنية إلى منطقة أخرى ، أو من طبقة إلى طبقة أخرى ، أو الهجرة ؛ خاصة إذا كان المكان الذى يهاجر له الشخص فيه عدد ضئيل من بنى وطنه(٧٧) . وإحدى المشكلات المتعلقة بهذه النتائج أن المرضى العقليين ينتهون إلى العزلة أو الهجرة ، أو البعد عن الزواج فتكون حالات العزلة نتيجة للمرض العقلى وليست سبباً له . **لكن من المرجح أن العزلة الاجتماعية تكون سببا للاضطراب العقلى ونتيجة له فى نفس الوقت** . فنسبة الفصام بين العزاب تبلغ أربعة أضعاف النسبة بين المتزوجين ، وتصل بين الأرامل إلى النصف ، مما يبين أن كلا العمليتين لها فاعليتهما . وبينما نجد أن كل الاضطرابات السلوكية تصاحبها العزلة ، فإن النسبة تزداد لدى الفصاميين والحالات الانتحارية ، لهذا فإن الروابط الاجتماعية

الوثيقة ، والانتماء للحياة الاجتماعية . تعتبر أحد وسائل علاج تلك الحالات والوقاية منها .

إلا أن العلاقات الاجتماعية تكون أحياناً سبباً من أسباب الاضطرابات السلوكية . وهناك نوع من الاضطراب العقلي يسمى باسم « الجنون الثنائي »(*) يحـــدث فى الجماعات المكونة من شخصين أو أكثر فتسيطر عليهم نفس الاضطرابات ، أو نفس الأهجسة . وقد وجد أن هذا النوع من الجنون ينتشر بشكل خاص لدى النساء خاصة عند وجود أختين تتبادلان الاعتقاد[١٨] . ومن الأمثلة الأخرى على تأثير العلاقات الاجتماعية فى ظهور بعض الاضطرابات السلوكية : جماعات المدمنين على العقاقير ، والجماعات الدينية .

والطبقة الاجتماعية أيضاً تعتبر مصدراً أساسياً من مصادر التمييز بين مستويات معينة من الاضطرابات ، ولو أنها لا تعتبر سبباً من أسباب الاضطرابات العقلية . وقد بينت بعض الدراسات أن الفصام ينتشر فى **الطبقات العاملة** بنسبة أكبر ، فالطبقة الاجتماعية المنخفضة التى تشكل ١٨,٤٪ من السكان تحتوى على ٤٥,٢٪ من الفصاميين[١٩] . والنسبة الكبيرة من العصاب تنتشر فى **الطبقات المتوسطة** فهل يرجع ذلك إلى ثقافتهم السيكلوجية ، وطلبهم للعلاج ؟ . إن تقديرات الرفض من الخدمة العسكرية ، فضلا عن الاختبارات النفسية تبين أن نسبة كبيرة من الميول العصابية تسود فى الطبقات المتوسطة ، بالرغم من أن حالات السيكوباث والإدمان ترتبط بظروف الطبقة العاملة . لكننا — مرة أخرى — لا نستطيع أن نوضح الأسباب المسئولة عن هذه الفروق وهل هى بسبب الفروق الطبقية ، أم بسبب أسلوب تنشئة الأطفال ، أم بسبب الفروق فى المستويات المختلفة من التعصيب البيئى ، أو بسبب وجود ميل للانسحاب كما فى حالة الفصام ؟ .

(*) folie a' deux .

وتساهم أيضاً **الفروق الطبقية** فى اختيار نوع العلاج الملائم : فأفراد الطبقات المتوسطة ينجح معهم العلاج النفسى(*) ، وذلك لأن المسافة الاجتماعية بينهم وبين المعالج النفسى أقل . كما أن أسرهم توليهم عناية أفضل ، واستجابتهم لأنواع معينة من العلاج أحسن .

وقد يكون **موقف العمل** مصدراً للتعصيب بطرق متعددة . فقد وجد أن حالات الإصابة بقرحة المعدة ، وغيرها من الاضطرابات السيكوسوماتية يزداد انتشارها بين الأطباء والمديرين ، خاصة الطموح منهم ، وصاحب الضمير القوى أى : الذين يسيطر عليهم القلق على عملهم (٢٠) . وهناك مجموعة أخرى من ذوى الاستعداد للاصابة بالقرحة وتنتشر لدى الأشخاص الذين يقومون بعمليات التحويل على خطوط السكة الحديد — أى الذين ينتابهم خطر الخوف من أن يودوا بأرواح الكثيرين بسبب أخطاء التحويل . وتنتشر حالات الانهيار لدى الطلاب — كما ذكرنا من قبل — غالبا قبل قدوم الامتحانات بقليل . وذلك لخوفهم من عدم الأداء اللائق بأمالهم ، كما تشكلها المنافسة القوية التى تسود الجو الجامعى أكثر من جو المدرسة . ويعتبر العمل المعقد ، أو العمل الأبسط من اللازم ، أو العمل غير المشبع مصدرا آخر من مصادر عدم الإشباع ، وكثرة الغياب ، والاضطرابات السلوكية خاصة إذا تعذر تغييره . وعندما تسود العلاقات السيئة بين الأشخاص فى العمل — خاصة الرؤساء المباشرين — فإن هذا أيضا يعتبر مصدرا من مصادر الاضطرابات العقلية .

(*) psychotherapy .

علاج الاضطرابات السلوكية والوقاية منها

تؤدى **التغييرات فى الموقف** إلى تحسن تلقائى ، وتعتبر لهذا من أهم مصادر التحسن . فقد سبق أن ذكرنا أن ٦٠ ٪ من حالات عصاب الحرب تشفى بعد إبعادهم من خط النار . وقد قام كثير من الباحثين بدراسة نسبة التحسن التلقائى لدى مرضى لم يتلقوا أى نوع من أنواع العلاج . ففى دراسة على ٥٠٠ شخص عجزوا عن الاستمرار فى أعمالهم المعتادة لمدة ثلاثة شهور على الأقل نتيجة للمرض النفسى ، ولم يتلقوا علاجاً من أى نوع ، وجد أن ٤٥ ٪ تحسنوا تلقائيا بعد مرور عام ، و ٩٠ ٪ بعد أربعة أعوام(٢٢) . **وحالات الذهان** يمكن أيضا أن تشفى تلقائيا ، ولكن بنسبة أقل . أما العمليات المسئولة عن التحسن التلقائى فهى غير معروفة لكن من الرجح أن مصادر التعصيب تختفى أو تتغير بمرور الوقت ، أو أن عجز الشخص عن التوافق للمصاعب يتضائل ، أو أن الشخص الذى يعتبر بعض المواقف مصدرا لقلقه قد ينجح فى أن يصنع لنفسه طريقة من الحياة يتجنب بها مثل تلك المواقف ، صحيح أن حياته تضيق دائرتها لكن قلقه يتضاءل على أية حال . وهناك بعض الأشخاص يتعرضون للانهيار بسبب عوامل وراثية أو طفولية ، وفى تلك الحالة لا يكفى أسلوب تعديل البيئة ، لأن مواجهتهم بالمصاعب قد تحدث فى أى موقف . وتخلق مسألة التحسن التلقائى مشكلة هامة فيما يختص بأسلوب العلاج المناسب : إذ يجب أن نكشف فى أى طريقة من طرق العلاج : نسبة النجاح لهذه الطريقة بالمقارنة بنسبة التحسن التلقائى .

ويستخدم العلاج النفسى بدرجة كبيرة فى علاج العصاب ، وبدرجة أقل فى حالات الذهان . ولما كنا نعرف أن نسبة كبيرة من العصاب تشفى تلقائيا ،

فإننا نحتاج إلى الحسم فيما إذا كان العلاج يؤدى إلى سرعة أكثر أم لا ؟ . صحيح أن المرضى قد يشفون أثناء تلقيهم لجلسات فى التحليل النفسى ، أو غيره من أشكال العلاج النفسى لكن ألم يكن من المرجح أن يحدث هذا التحسن بأى سبيل آخر ؟ ! . وعلى سبيل المثال يذكر أحد المحللين النفسيين أن كثيراً من مرضاه قد تحسنوا بعد وفاة الملك جورج الخامس[٢٢] . وفى دراسة قيمة قامت على مقارنة التعبير على اختبار موضوعى لمائة وخمسين مريضاً نفسياً ، من بينهم أشخاص خضعوا للتحليل النفسى ، وأشخاص خضعوا للعلاج الجمعى ، وأشخاص لم يخضعوا لأى نوع من أنواع العلاج ، وكانوا موضوعين فى قائمة الانتظار ، تبين أن نسبة التحسن فى المجموعات الثلاث واحدة[٢٣] . وهناك دراسات تتبعية أخرى تبين أن نسبة التحسن باستخدام الأنواع المختلفة من العلاج النفسى لا تزيد عن نسبة التحسن التلقائى[٢٤] . ومن ناحية أخرى ، فإن نسبة الفرق فى النجاح تتوقف على شخصية المعالج ، وعلى أنواع معينة من المرضى ، لهذا فمن المرجح أن يكون العلاج فعالا فى ظل ظروف معينة . وتكشف دراسات متعددة أن نسبة النجاح التى يسجلها المعالج تتوقف على ثقته بنفسه ، وانخفاض مستوى القلق لديه ، وقدرته على تكوين علاقة دافئة وفعالة عريضة . أما المرضى الذين يتحسنون نتيجة للعلاج النفسى فهم المرضى المكتئبين ، أى الذين يزداد دافعهم للتحسن ، والاعتماديين ، والمهيئين لهذا لتقبل دور الطبيب فى العلاج[٢٥] . وتطول فترة العلاج النفسى لدى الإحوة السكريين ، ربما لأنهم يهتمون بالوسائل الاجتماعية فى تخفيض القلق . أما المرضى بسبب التعصبيات الوقتية فيتحسنون بسرعة أكثر لأسباب سبق ذكرها ، كذلك المرضى المرتفعين فى الذكاء ، وفى المهارة اللفظية ، والمشابهين للطبيب فى المستوى الأجتماعى ، والطبق ، والاقتصادى .

وقـــد بدأت طريقة **المجتمع العلاجى**(*) تنتشر فى كثير من المصحات والبلاد . فالمستشفى التقليدى كان أشبه بالسجن يتعامل فيها النزلاء كما لو كانوا عاجزين عن اتخاذ مكان إيجابى أو مسئول فى المجتمع ، وقد وجد أن زيادة فترة البقاء فى المستشفى ، يصحبها زيادة فى نسبة المعاناة من « العجز » أى زيادة فى التبلد ، وفقدان الاهتمام بالعالم الخارجى ، والاعتماد على المستشفى تماماً(٢٦) . فى فى المجتمع العلاجى يدرب المعالجين على التعامل مع المرضى بطريقة غير تسلطية ، وعلى تنفيذ العلاج الجمعى ، وخلق جو علاجى عام . وتوجد مقاومة من الهيئات العلاجية للأساليب الحديثة من العلاج ، لهذا فيحسن أن يكون القائمون بالعلاج بهذه الطريقة من بين أشخاص جدد تماماً . وسنعرض لبعض المشكلات المتعلقة بهذا التغير التنظيمى فيما بعد (الفصل الرابع عشر) . ويجب علاج المرضى ككائنات مسئولة وذلك لمنعهم من السلبية والتبعية ، ويجب تدريبهم على المساعدة فى إدارة النادى ، أو المساهمة فى علاج الآخرين ، والقيام ببعض الأعمال فى المستشفى ، كما ينبغى تشجيع العلاقات الاجتماعية الطيبة بين المرضى لوقايتهم من الانسحاب ، وذلك بتنفيذ جلسات العلاج الجمعى مراراً . وفى العادة ينبغى أن تعقد لقاءات يومية أو أسبوعية بين الهيئة المعالجة ، والمرضى بدون برنامج مسبق . ويشجع الاتصال بالعالم الخارجى ، وتحويل الحياة بالمستشفى إلى صورة قريبة من الحياة خارجها . ومن الجوانب الهامة فى العلاج **العمل فى جماعات** بجانب أعضاء الهيئة العلاجية ، وأن يعمل المرضى ساعات محـــددة فى داخل المستشفى على أن يكافئوا على ذلك مادياً .

وهناك دراسات تتبعية متعددة تبين أن نسبة التحسن تزداد فى هذا النظام ، كما هو الحال بالنسبة للجانحين . ومن الضرورى أنه يعالج المرضى أيضاً باستخدام

(*) Therapeutic Community .

العقاقير المهدئة عند الضرورة ، فإن فاعلية هذا النوع من التنظيم فى داخل المستشفى تفمو نموا أكبر باكتشاف المهدئات ، وحتى — مع هذا — فانه تحدث بين الحين والحين نوبات مفاجئة . ففى إحدى الدراسات تبين أن هذا الأسلوب ينجح بين المرضى المرتفعين فى المجاراة ، والمتزوجين ، والمرتفعين فى قوة الأنا والذين عاشوا فى المستشفى أكثر من ٦ شهور ، ولكنه لا ينجح فى النمط الانسحابى .

ويعتبر **العلاج السلوكى** أسلوبا حديثا فى العلاج . وتبرز أهميته لأنه يقوم على أساس من مبادىء **نظرية التعلم** . وهناك أساليب متعددة من العلاج السلوكى نكتفى بذكر ثلاثة منها :

العلاج بالتنفير (*) : ويقوم على أساس تقديم خبرات غير سارة بجوار السلوك الذى نرغب فى التخلص منه أو علاجه ، ويعالج الإدمان على الخمور بإعطاء المريض عقاقير أو حقن معينة أو مسببة للغثيان بعد الشرب مباشرة ، وذلك كالأنتابيوس antabese والأبومورفين apomorphine (٢٨) . ويعالج البوال اللاإرادى باستخدام سرير ماور Mowrer (**) ، وقد وضع هذا السرير بحيث أن أى بلل فيه يؤدى إلى إغلاق دائرة كهربائية ، تتصل بجرس كهربائى يرن بعنف فيوقظ الطفل قبل أن ينتهى من تبوله . وقد وجد أن كثيراً من الحالات قد عولجت بهذا الأسلوب وشفى ٨٨٪ منها .

أما أسلوب **العلاج التدريجى** (***) فيستخدم مع المرضى المصابين بالمخاوف المرضية . ويقوم على أساس تعويد المرضى على مواقف تتشابه تدريجيا مع الموقف الأصلى المثير للقلق . ويمكن استخدام هذا الأسلوب فى علاج المخاوف المرتبطة

(*) Aversion .

(**) Mowrer apparatus .

(***) gradient method .

بالمرتفعات ، والأماكن المغلقة ، والفسيحة وغـــيرها ، وتقوم الصعوبة فى هذا الأسلوب على تحديد عدد من المحاولات المطلوبة ، وتدريج المواقف المناسبة قبل الوصول للمواقف الحاسمة(٢٨) .

لـكن بينما يبدو أن العلاج السلوكى ينجح فى حالات كثيرة من الأمراض النوعية من النوع الذى أشرنا إليه ، فإنه لا يوجد دليل على نجاحه فى الاضطرابات العامة من الشخصية . أما خوف المحللين النفسيين من أن علاج الأعراض قد يؤدى إلى إثارة الاضطرابات العميقة بصورة مختلفة ، فلم تثبته التجربة ، ولـكن يبدو لنا من ناحية أخرى أن العلاقة بالمعالج عن طريق « الطرح » ضرورية للعلاج .

العقاقير والأساليب الفيزيقيه(*) الاخرى

ناقشنا فيما سبق أساليب العلاج بما فيها : العلاقات الاجتماعية والخبرات التعليمية . ويتبقى الآن أن نشير إلى استخدام الأساليب الفيزيقية فى العلاج ، ويعتبر استخدام العقاقير فى التحسينات من أكثر الجوانب انتشاراً فى داخل المصحات العقلية ، فقد أصبح المرضى بفضل هذه الأساليب أكثر تعاوناً ، وأصبحت وحدات المجتمع العلاجى أكثر فاعلية ، وقل عدد القيود التى توضع على المرضى ، وزادت نسبة التحسن والشفاء ، وفى مستشفيات نيويورك قدمت العقاقير المهدئة فى البداية سنة ١٩٥٥ ، وفى سنة ١٩٦٠ خرج ٥٠٪ من المرضى وفاقت نسبة الذين خرجوا من استخدموا العقاقير الآخرين بالضعف ، ونقص عدد النزلاء فى المستشفى(٣٠) . وبالرغم من انتشار اسـتخدام المهدئات بالمستشفيات الإنجليزية ، فإن المحاولات التجريبية لم تـكشف عن نسـبة كبيرة من التحسن ، ربما لأن مقاييس التحسن أفضل من مقاييس التحسن فى المستشفيات الأمريكية(٣١)

(*) physical .

ولا شك مع هذا فى أن المهدئات تحول المرضى المهتاجين ، والمدوانيين إلى أشخاص هادئين ، وهناك أمل كبير فى أن الجمع بين العقاقير والرعاية من خلال المجتمع العلاجى سيؤديان إلى الوقاية من الفصام المزمن ، أو من الحجز فى داخل المستشفيات . وتستخدم أيضاً أنواع أخرى كثيرة من العقاقير ، مثل الباربيتيوراتس Barbituratus لتخفيف القلق .

والعلاج بالصدمات الكهربائية يستخدم بكثرة فى حالات الاكتئاب ، وتبلغ نسبة نجاحه ٨٠ ٪ ، ولو أن عدداً من الأشخاص يتحول إلى نفس الحالة بعد فترة من الزمن .

وهناك أنواع أخرى من العلاج الفيزيقى بدأت أهميتها تتضاءل بسبب اكتشاف الأساليب الجديدة من العلاج وذلك كالعلاج بالأنسولين أو الاستئصال الجراحى للفص الجبهى .

الخلاصة

إن اكتشاف الأساليب الحديثة فى العلاج ، يعتبر ثورة شهدتها الأعوام الأخيرة من تقدم علم النفس العلاجى ، فلم يعد من الضرورى أن يتحول آلاف الفصاميين إلى مرضى مزمنين . أما عن الوقاية ، فإن الجهد الذى تم فى هذا الميدان أقل من مثيله بالنسبة لحالات الجناح . كذلك يمكن استخدام الأساليب المتعلقة بتحسين الوراثة خاصة فى حالة **الوقاية من الفصام** ، وهناك جهد أكبر يمكن أن يتم بالنسبة لتعليم الوالدين أساليب التنشئة المناسبة ، وسنشير إلى ذلك فيما بعد. كما يمكن التخلص من التعصيب الذى يسببه جو العمل عن طريق الارشاد والتوجيه المهنى ، والتخلص من الأعمال التعصيبية .

ومن طرق الوقاية من الاضطراب العقلى انتشار الثقافة والمعرفة بالظروف المؤدية إليها ، بحيث يعالج الأشخاص عن طريق المشاركة الوجدانية بدلا من العزلة

وتقدم الاذاعة البريطانية(*) سلسلة من البرامج التليفزيونية موضوعها : « العقل الحرب » لهذا الهدف ، وقد وجد أن الذين شاهدوا هذه البرامج زادت رغبتهم فى تكوين العلاقات الاجتماعية ، وزادت ثقتهم فى أنواع العلاج النفسى[٣١] .
ولكن فى بحث آخر : أدت ستة شهور من التوعية المكثفة فى مدينة صغيرة بكندا إلى قدر أكبر من العداء نحو القائمين بالاستبارات الشخصية ، دون تغير يذكر فى الاتجاهات . لهذا فإن فاعلية هذه الأساليب ، تتوقف على أساليب الاتصال الفعالة . وسيكون هذا موضوع الفصل الثالث عشر .

(*) B. B. C.

الفصل السابع

الاتجاهات العنصرية والقومية(*)

سنهتم فى هذا الفصل بالاتجاهات العدائية نحو الأقليات العنصرية ونحو بعض الدول . فما مدى شمول هـــذه الاتجاهات وما هى أسبابها الاجتماعية والسيكلوجية ، وإلى أى مدى يمكن تغييرها ؟ وما هى المعتقدات نحو الأقليات ، وإلى أى مدى تـكون هذه المعتقدات صحيحة ؟

تمثل دراسات التعصب العنصرى موقفا مختلفا قليلا بالمقارنة بالاتجاهات الأخرى من حيث أن علماء السلوك الاجتماعى قد اتخذوا منها موقفاً عاماً متشابهاً ومؤداه أن التعصب العنصرى أمر كريه يجب التخلص منه بشتى الطرق . لـكن هذه الحاجة لا تقلل من قيمة البحث ، طالما أنه يتم ، بعناية وإحكام .

العناصر الثلاثة فى الاتجاه(**)

يقصد بالاتجاه الميل إلى **الشعور** ، أو **السلوك** ، أو **التفـكير** بطريقة محددة إزاء أناس آخرين ، أو منظمات ، أو موضوعات ، أو رموز . وقد اعتقد الباحثون لفترة طويلة . أن الاتجاه ذو طبيعة ، بسيطة ، وأنه ذو بعد واحد ، لـكنهم الآن يعلمون أنه ليس كذلك ، وإنه ذو بناء مركب ويتـكون من ثلاثة عناصر هى : **الشعور** ، **والسلوك** ، **والتفـكير** . وأنه يجب النظر بشـكل خاص إلى العناصر الثلاثة للاتجاه نظرة مستقلة .

(*) Racial and National Attitudes.

(**) Racial prejudice .

ويتعلق **الجانب الشعورى** (**أو الوجدانى**) من الاتجاه بدرجة ميل الفرد على الاقبال أو الاحجام ، وبدرجة التحبيذ أو النفور بالنسبة لموضوع الاتجاه . وقد يختبر بعض الأفراد — أيضا — نحو بعض الموضوعات بعضا من الانفعالات النوعية كالخوف ، لكننا سنهتم أساساً فى إطار هذا الجانب ببعد الحب — الكراهية : كبعد ينظم الاتجاهات نحو الموضوعات والناس . فعندما نتحدث عن التعصب العنصرى ، نقصد بشكل عام ، الإشارة إلى مشاعر النفور التى يحملها الشخص نحو أشخاص من أجناس أو قوميات مختلفة . ويمكن تقدير هذه المشاعر بمقاييس الاتجاهات ، التى استخدمتها غالبية البحوث فى الاتجاهات العنصرية . وتتكون المقاييس — مثلا — من تجميع سلسلة من العبارات ذات الشكل الوجدانى ، والتى تتفق فيما بينها (أو يرتبط بها بالبعض الآخر إحصائيا) ، ومن خلال المجموع الكلى للاجابات يمكن الحصول لكل فرد على درجة كلية على المقياس . وتعتبر هذه الدرجة مقياسا ثابتا لاتجاه الشخص نحو الموضوع .

أما **الجانب المعرفى** من الاتجاه فهو يشير ببساطة إلى مجموعة الأفكار والمعتقدات والحجج التى يتقبلها الشخص نحو موضوع الاتجاه . فقد يتبنى الشخص المتعصب رأيا ينظر بمقتضاه إلى الزنجى على أنه كالقرد وليس كائنا إنسانيا ، وقد يتبنى غير ذلك من الأفكار الغريبة . وقد تبين أن هناك أفكار تنميطية(*) تنتشر بكثرة لدى المتعصبين منها مثلا بأن الزنوج كسالى ، وأن اليهود ماكرين وغير ذلك .

أما **الجانب السلوكى** من الاتجاه فيتعلق بالتورط فى سلوك ظاهر بموضوع الاتجاه . ولأسباب عملية يعتبر هذا الجانب من أكثر جوانب الاتجاه أهمية .

(*) Stereotypes .

وعلى حد تعبير السيد جوستيس سالمون J. Salmon فى خطاب له بين عدد من الشباب الذين قاموا بالهجوم على الهنــــود الحمر الغربيين بالسياخ الحديدية سنة ١٩٥٨ « إن احترام القانون يجعلنا نسمح لكم بالتفكير بالطريقة التى يودها كل منكم ، مهما بلغت أفكاركم من حمق أو غباء ، وأن تشعروا بما ترغبون مهما بلغت مشاعركم من همجية . لكن أن تترجموا تلك الأفكار الحمقاء ، وهذه المشاعر الهمجية إلى أفعال متوحشة ، فإن القانون سرعان ما سيرد المذنب لكى يحمى ضحاياه »[1] .

ويتفاوت السلوك الظاهرى الذى قد يحدث فى حالة التعصب العنصرى من التعليقات اللفظية المتعصبة تجاه الأشخاص إلى الأنواع المختلفة من التمييز العنصرى والعدوان الجسمانى الفعلى . ومن أكثر المقاييس شيوعا فى هـــذا المجال مقياس البعد الاجتماعى لبوجاردس[2] Bogardos ، الذى يطلب فيه من الشخص أن يقدر تقبله لأعضاء جنس معين وفق الجوانب الآتية :

١ — القرابة بطريق الزواج .

٢ — الصداقة بطريق العضوية إلى نادى .

٣ — الجيرة بالإقامة فى نفس شارعى .

٤ — الزمالة بالعمل فى نفس مهنتى بنفس الدولة .

٥ — بالمواطنة إلى نفس دولتى .

٦ — كزائر فقط إلى دولتى .

٧ — بطرده من دولتى .

وقد وجدت بحوث العلماء الأمريكيين مثلا أن أكثر الجماعات قربا من الشعب الأمريكي : الإنجليز ، والكنديين ، والفرنسيين ، وأقل الجماعات قرباً : المكسيكيين ، واليابانيين ، والزنوج ، والأتراك .

إلا أن هناك خطر فى تقدير الميول السلوكية بالطرق اللفظية من هذا النوع ، وكبرهان على هذا دراسة أجراها أحد الباحثين[٣] ؛ قام خلالها بزيارة الولايات الأمريكية بصحبة زوجين صينيين ، فنزلوا فى ١٦ فندقاً ، وأكلوا فى ١٤٨ مطعما ولم يحدث أن رفض أحد خدمتهم إلا فى مكان واحد . وقد بعث بعد هذا باستخبار لكل تلك الأماكن فقرر ٩٢ ٪ من هذه الأماكن التى أجابت على الاستخبار بأنها لا تقبل القيام بخدمة الصينيين .

ويتأثر كل من السلوك الظاهر واللفظى بالاعتبارات الاقتصادية فبالنسبة لعدد كبير من الأشخاص لا تبلغ اتجاهاتهم القوة القادرة على التأثير فى سلوكهم فى مواقف العمل ، إذا كان ذلك يؤدى إلى الخسارة الاقتصادية . إن كثيراً من الناس الذين يعبرون عن رفضهم لبعض الأجناس فى أحاديثهم لا يسمحون — فى الحقيقة — لهـذا الحديث بالتأثير فى سلوكهم على الإطلاق . فغالبية البحوث فى التعصب تستخدم مقاييس للاتجاهات ، وهذه المقاييس تعتبر مقاييس للمشاعر ، أكثر من كونها مقاييس للسلوك . والنتيجة الأساسية لهذا أن الإتجاه قد يتخذ أشكالا مختلفة فى الجوانب الثلاثة طالما أن هناك عوامل مختلفة تؤثر فى كل حالة . فالجانب السلوكى من الاتجاه يتأثر بضوابط الأنا الأعلى ، وبالضغوط الإجتماعية والاقتصادية ، فأى عامل من هذين يستطيع أن يوقف السلوك المتحيز . أما الجانب الاعتقادى من الإتجاه فيتأثر بحجج الخبراء ، ووسائل الإعلام بحيث أن هذا الجانب بدوره يتشكل بطريقة متميزة عن المشاعر الرئيسية . وهناك من ناحية أخرى دليل قوى على وجود ضغوط داخلية تدفع للاتساق فى الجوانب السلوكية ، بحيث يؤدى عدم تحققه إلى إثارة التوتر وعدم الرضى .

وقد يتبنى شخص اتجاهاً معيناً لا ينمو نمواً حقيقياً إلا فى جانب واحد من الجوانب الثلاثة . فقد يتبنى مثلا إتجاهاً عقلانيا يتكون من مجموعة من المعتقدات لكن دون مشاعر خاصة أو سلوك . ويتخذ الشكل العام للتعصب إتجاهات ذات طابع عاطفى ، حيث يغلب على اتجاه الشخص الكراهية لأعضاء الجماعات العنصرية ، لكن النظام العقيدى يخضع لمؤثرات تحريرية ، ودون تعبير سلوكى مميز .

والآن ما مدى انتشار التعصب العنصرى ؟ يختلف التعصب العنصرى بالطبع باختلاف الإطار الإجتماعى ، فيبلغ أقصى قوته فى جنوب أفريقيا ، وفى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية . ويتفاوت انتشاره داخل هذين المكانين من منطقة إلى أخرى . وتدل البحوث فى الولايات المتحدة إن ما بين ١٠٪ : ٥٠٪ من نسبة السكان يتعصبون ضد اليهود ، وأن ما بين ٣٠ : ٨٠ ٪ يتعصبون ضد الزنوج . وتختلف النسبة المئوية باختلاف دقة الصياغة فى السؤال الموجه للأشخاص(٤) . وهذه المقاييس — كما أوضحنا — تلمس بعض التخيلات الخاصة بحيث أن كثيراً منها لا يبلغ درجة التعبير السلوكى . فعدد الأشخاص المستعدين للعنف البدنى ضئيل للغاية ، بالرغم من أن عدد من يخبرون التعصب العنصرى أكبر من ذلك بكثير . أما المسائل العنصرية فى بريطانيا العظمى فتاريخ ظهورها حديث ، وتتجه غالبا نحو الهنود الغربيين والباكستانيين . وحتى إذا كان هناك تعصب — ضد — اليهود منذ وقت طويل ، فإن تأثير هذا التعصب على السلوك الظاهرى أمر مشكوك فيه . كما توجد نسبة من العنف والتعصب ضد الملونين : فحوالى ٧٠ ٪ من أصحاب الفنادق لا يقبلون الطلاب الملونين . وترتفع نسبة البطالة بين الملونين بنسبة ٣٠ ٪ فى بعض المناطق وإلى ١,٥٪ فى مناطق أخرى صحيح أن جزءاً من هذه البطالة بسبب انخفاض مستوى المهارة . لكن جزءاً منها يرجع دون شك إلى المقاومة التى يلقاها الملونون من قبل النقابات العمالية .

ويختلف انتشار التعصب العنصرى — فيما قلنا — باختلاف الاطار الاجتماعى ، وقد زاد انتشاره بسرعة حديثاً . فقبل عام ١٨٠٠ لم يكن هناك تعصب عنصرى فى جنوب أفريقيا ، بالرغم من وجود بعض حالات التعصب الدينى ، وقد تطورت المشكلات العنصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية ببداية تحرر العبيد ، أما فى البرازيل فقد أصبح العبيد مواطنين عاديين فى مجتمع متعدد الجلسيات ، بفضل التزاوج الداخلى الكامل . ويعتبر التعصب ضد الزنوج ظاهرة لم تنشأ إلا حديثاً ، غير أن التعصب ضد اليهود ظاهرة قديمة . ففى بريطانيا لم تنشأ هذه المشكلة إلا بعد زيادة نسبة الملونين بعد نهاية الحرب العالمية الأخيرة .

والآن إلى أى مدى تعكس الاتجاهات العنصرية بدقة خصائص الأجناس والقوميات المختلفة التى يتجه إليها التعصب(*) ؟ بالرغم من أن علماء النفس حتى الآن لم ينجحوا فى اكتشاف الكثير عن الطابع القومى للشخصية ، فإن من المرجح أن يختلف اليابانيون ، والمكسيكيون ، والإفريقيون والإنجليز بعضهم عن البعض الآخر فى خصائصهم الشخصية ، كما يختلفون فى مظهرهم الجسمى ، وقد بين بحث بين الطلاب الأمريكيين(٤) أن الألمان يوصفون عموماً بالعقلية العلمية ، والجدية ، أما اليهود فبالعنف ، والجشع ، والزنوج بالكسل ، والنزعة الخرافية ، والصينيين بالنزعة الخرافية ، والمكر . ويبقى ، مع ذلك أن نتبين ما إذا كانت هذه القوالب النمطية صحيحة أم خاطئة ، ومن الطريف حقيقة أن نكتشف مصدرها الحقيقى إذا كانت خاطئة ، ولا تنطبق على الأجناس السابقة .

ومع ذلك فإذا كان هناك أساس ما حقيقى لتلك القوالب ، فإن وجود تلك الصفات كالكسل مثلا يتفاوت تفاوتاً كبيراً من فرد إلى آخر فى داخل أى جماعة

(*) prejudice .

بل إن الفروق بين الأفراد فى داخل كل جماعة أكبر بكثير جدا من متوسط الفروق بين جماعة وأخرى . فضلا عن هذا فإن الأشخاص يتعصبون غالبا ضد الجنسيات الأخرى — كالأتراك — دون أن يسبق لهم الاحتكاك بهم ، كما يعبرون عن اتجاهاتهم العدوانية نحو جماعات أو قوميات خرافية . وقد حدث أن عبر بعض الأفراد عن كراهيتهم لشعب « البيرانيين » وهو شعب ليس له وجود فعلى إلا فى مقياس الاتجاه(٦) . معنى هذا أن الاتصال بالجنس لا يخلق الاتجاهات المتعصبة ، لكن الاتصال مع الاتجاه نحو هذا الجنس هو الذى يخلقه . وقد تبين ـ أخيراً ـ أن الاتجاه الذى يعتنقه الشخص يرتبط ارتباطا قويا بشخصيته ، وبخبراته السابقة ، وبمركزه فى المجتمع ، مما يدل على أن العوامل الذاتية تلعب دوراً هاما لا شك فى هذا .

كما تحدث أيضاً ثنائية معرفية بين صفات الجماعة التى ينتمى إليها الفرد ، سواء كانت قومية ، أو عنصرية ، وبين الجماعات الأخرى : فتكون صفات جماعته كلها طيبة وحسنة ، بينما تكون صفات الجماعة الثانية سيئة أو قبيحة . وهناك دليل مثلا على أن « الروس » يعتنقون صورة عن الأمريكيين ، قريبة من نفس الصورة التى يعتنقها الأمريكيون عن الروس(٧) . فالصفات الطيبة أو القبيحة ، تتفق هنا لأنها تعكس ببساطة نفس الاتجاه . وتتشكل مثل تلك القوالب المنتظمة فى ظل الدوافع الحادة ، التى تدفع إلى إنكار كل المعلومات المضادة — وهى عملية تساعد على تكوينها غالباً أجهزة الاتصال الجماهيرى .

العوامل الاجتماعية

ينمو التعصب فى ظل ظروف اجتماعية معينة . منها أولا وجود صراع حقيقى ، أو تنافس بين الجماعات . فعندما تدخل دولتان فى حرب ، أو تتهيا من حرب

حديثة تتكون الاتجاهات المتعصبة عند كليهما ؛ ولو أن البحوث تبين أن تغيرات سريعة تحدث بمرور الوقت فى اتجاه زيادة الجاذبيـة الشعبية لـكل جماعة عند الجماعة الأخرى . ومن المصادر العامة للتعصب **التنافس على العمل** . فلم تتشكل اتجاهات العداوة ضد الهنود الغربيين فى بريطانيا إلا عند زيادة نسبة البطالة فى أواخر الخمسينات . وتحدث الاضطرابات إما عند هجرة بعض الجماعات إلى بعض المناطق بحثاً عن العمل ، وإما فى فترات الهبوط الاقتصادى ، أو كليهما . ولعل هذا يفسر السبب فى أن الاتجاهات المتعصبة فى الولايات المتحدة نحو الجماعات تختلف باختلاف الطبقة الاجتماعية ، فالتعصب ضد اليهود ينتشر بين أعضاء الطبقة المتوسطة ، لأن اليهود ينافسون عند هذا المستوى فى المجتمع ، وتستطيع جماعة الأغلبية أن تحسن موضعها بفرض أساليب تنظيمية على المنافسين ، فالنقابات العمالية تمنع بعض الأعمال عن الجماعات الأقلية ، وتوجد مثلا معارضة ضخمة ضد الزنوج للقيام بالأعمال التى يقوم بها البيض .

وهناك عامل ثانى للتعصب يتمثل فى **التنافس على المركز الاجتماعى** (*) بين أعضاء الأقلية والأغلبية ، ففى دراسة على رجال الأعمال الأمريكيين(٨) تبين أن التعصب ضد الزنوج ، واليهود يزداد بين الأشخاص الذين هبط مركزهم الاجتماعى بعد الحرب . ويزداد التعصب ضد الزنوج بين الفقراء من البيض ، والذين ينتمون موضوعيا إلى طبقات أقل من الطبقات التى ينتمى إليها الـكثير من الزنوج — إلا إذا بعد هؤلاء عن المنافسة . ويتشابه هذا الوضع مع أفراد الطبقة المتوسطة الذين يتسامحون مع أفراد الطبقة العاملة طالما أنهم يكتفون بموقعهم .

وهناك موقف اجتماعى آخر يؤدى إلى إثارة التعصب : يختص **بالاسكان** فأعضاء الأقليات — بسبب صعوبة التـكيف — يميلون للتجمع ، والتجاور والازدحام

(*) Social Status .

فى منازل معينة ، وتتكون لديهم عادات يكرهها المواطنون البيض . وأن جزءاً من الخوف الفعلى يكمن هنا من خشية سقوط حق الملكية ، لهذا يزداد التعصب بكثرة فى الاماكن المواجهة لمناطق إقامة السود ، وتبين دراسات متعددة(٩) أن التعصب يزداد بزيادة الكثافة السكانية للأقليات فى منطقة معينة ، فالاضطرابات العنصرية فى شيكاغو حدثت فى فترة بلغت فيها نسبة الزنوج تسمين ألفاً فى الميل المربع الواحد ، ويصل عدد من يسكنون فى الحجرة الواحدة فى بعض الحالات ١٧ شخصا . عندما شعر البيض بالتهديد ، والغيظ من فكرة أن الجيرة ستكون كلها من السود . وتتوقف فاعلية هذا العامل — كغيره — على تميز الاقلية بصفات جسمية ظاهرة .

وهناك عامل اجتماعى آخر يتمثل **فى سلوك الاقليات نفسها** ، فسلوك الاقليات يعطى تبريراً للاتجاهات المتعصبة والقوالب الجامدة . فقد أشرنا إلى أن بعض أعضاء الجماعات الاقلية تسودهم بالفعل بعض الصفات المميزة لجماعتهم . ولما كان الناس ببساطة يفضلون أساليب السلوك التى تسود جماعتهم ، ويرفضون كل من يفشل فى مجاراة معاييرهم السلوكية الخاصة ، فإن أى سلوك مختلف من قبل أفراد الأقلية يتعرض للعدوان . وقد بينا فى الفصل الثالث أن مجاراة معايير الجماعة يعتبر شرطا ضروريا لتقبل الجماعة للفرد .

ومن العوامل المتعلقة بسلوك الاقلية : أن الشعور بالرفض يؤدى إلى نمو الخصائص السلوكية السيئة ، فيصبح الشخص على استعداد دائم للشجار ، وتزداد حساسيته ، وعدم إحساسه بالامان ، وقد ينتهى به الامر إلى رفض جماعته ونفسه ، أو يصبح عدوانيا متبجحاً وميالا إلى تأكيد نفسه . فإذا كانت الجماعة المسيطرة فى المجتمع تتوقع من أعضاء الجماعة الاقلية أن يتصرفون بطريقة معينة ، فإن أعضاء الاقليات غالبا ما يتصرفون وفق هذا التوقع — تحقيقا لما يسمى « بتوقع تحقيق الذات » .

العوامل النفسية للتعصب العنصرى

١ — **العمر** : النقطة المثيرة للاهتمام فى هـــذا المجال أن الاطفال الصغار لا يكشفون عن وجود مظاهر التعصب ، أى أنهم ببساطة لا يميزون بين الناس على حسب لون الجلد ، كما أن من الصعب عليهم — فى الواقع — أن يكتسبوا التمييز القائم على تعلم تحديد الاجناس التى ليس لها مظهر متميز كاليهود . فكما أننا لا ننظر للون العين ، أو الشعر كأساس هام فى تصنيف الاشخاص ، فمن المحتمل كذلك أن لا نعلق أى أهمية على لون الجلد إذا كنا نعيش فى مجتمع متعدد الجنسيات ، ولم نتعلم ذلك . ففى دراسة(١٠) ، قامت على اختيار مجموعة من الاطفال البيض والزنوج أعطى كل منهم اختبارات مختلفة للكشف عن درجة وعيهم بالتميز اللونى ، فوجد أن هذا الوعى ينمو بين سن الرابعة والخامسة ، وأن الأطفال فى كلا الجنسين عبروا عن حبهم لصور الدمى البيضاء ، والأطفال البيض . ويحدث التعصب الدينى أو السياسى بمقارنته بالتعصب العنصرى فى فترات مبكرة من الحياة . ويتم اكتساب كلا من الاتجاهات العنصرية ، والقوالب الجامدة بين سن الخامسة والرابعة عشر ، حتى فى المواقف الإجتماعية ، حيث لا يلقيان إلا تأييداً ضعيفاً من السلوك الفعلى بين أطفال الأقليات . وتوضح دراسات السلوك التحيزى بين الأطفال أن اختيار الأصدقاء يتم على أساس عنصرى فى حوالى العاشرة . وعلى هذا فإن الاتجاهات العنصرية بين الخامسة والعاشرة لا يصحبها جانب السلوك الفعلى .

٢ — **تأثير الوالدين** : العامل الأول فى تشكيل الانجاهات ؛ ومن أهم العوامل على الإطلاق . ويبدأ الأطفال فى تقبل آراء الوالدين عن الأشياء ، قبل أن تقوم التأثيرات التالية بتعديلها . ومن أسباب هذا التأثير : المحاكاة ، والاستماع

المستمر لآراء الوالدين واتجاهاتهم ، لهذا فمن المهم توجيه النصيحة للوالدين بأن لا يستغلا هذا التأثير إستغلالا سيئا . ويتعاظم تأثير الوالدين كلما ازداد احتكاك الأطفال بهم ، وعندما تكون العلاقة بينهما دافئة ووثيقة ، ويعى بعض الأطفال فيما بعد هذا التأثير العظيم للوالدين ، لكنهم ينسون ذلك عندما يتقدم بهم العمر محاولين انتحال تفسيرات وأسباب أخرى لاتجاهاتهم .

٣ — **تأثيرات الجماعات الاخرى** : ينتمى الأطفال إلى جماعات أخرى خارج المنزل ، وعندما يتركون المنزل للدراسه أو للعمل تصبح تلك الجماعات ذات أهمية كبرى لهم . ومن المعروف أن الأعضاء الجدد فى الجماعة يتعرضون للضغط من قبل الجماعة لمسايرة معايير الجماعة إذا حاولوا الانحراف عن قواعدها ، فإذا فشلوا فى المسايرة كان من المرجح أن ترفضهم الجماعة . وكمثال على تلك العملية إزدياد الاتجاهات التعصبية للطلاب الأمريكيين الشماليين عندما ينتقلون إلى الولايات الجنوبية . فاتجاهات تلك الجماعات نحو الزنوج ، كما يقيسها مقياس للاتجاهات لا تعبر فيه الدرجة المرتفعة عن تقبل للزنوج) كانت كالآتى :

الطلاب الشماليون فى الشمال	٦,٧
الطلاب الشماليون فى الجنوب	٥,٩
الطلاب الجنوبيون فى الجنوب	٥,٠

وفى دراسة أخرى[١٢] ، سأل سكان نيويورك عن الفترات التى تغيرت فيها اتجاهاتهم نحو اليهود والزنوج فوجد أن تلك التغيرات تحدث كنتيجة للانتماء إلى جماعة تختلف معاييرها عن معايير الجماعات السابقة التى كان ينتمى إليها . ومن المشكلات العامة للمراهقين أن يكون لهم أباء أصحاب اتجاه معين ، وأن يكون لهم أصدقاء أصحاب اتجاه مختلف . فتكون مشكلتهم فى اختيار نوع الاتجاهات

التى سيتبعونها ؟ . وتعتمد مشكلة الاختيار هذه جزئيا على درجة عمق الرابطة بالوالدين ، أو الأصدقاء ، ودرجة تكيفه ، وأهمية العلاقة التى تربطه بأحد الجماعتين . ويعتمد هذا بدوره على ما إذا كان دافع الشخص للانتماء لجماعة الأصدقاء أقوى أو أضعف من دافع الانتماء للوالدين .

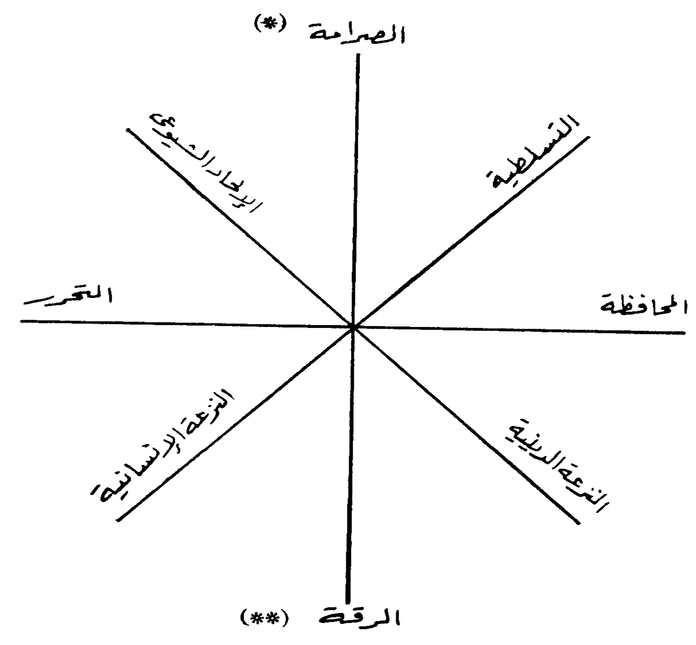
وتظهر تأثيرات الجماعة فى بعض الأشخاص أكثر من البعض الآخر ، لا بسبب تأثير الوالدين فحسب ، بل نتيجة لبعض الدوافع التى يرضيها التعصب أيضا . وعندما يكون الاتجاه هذا المعنى ، فإن مؤثرات الجماعة ستكون ذات تأثير أقل ، وهنا سنحتاج لأساليب أكثر حسما لتعديل الاتجاه . ويتوقف دور معايير الجماعة فى هذه الحالات على إتجاه الشعور العدوانى للشخصية المتعصبة نحو الأقلية المحلية المناسبة .

٤ — **طرق التنشئة**(*) : لا يؤثر الوالدين فى الاتجاهات المنصرية لأطفالهم بطريقة مباشرة فحسب — كما أوضحنا سابقا — لكنهم يساعدون أيضا على خلق نمط الشخصية المستهدفة للتعصب ، ومن أفضل الدراسات فى هذا المجال بحث الشخصية التسلطية(٢) بكاليفورنيا . فقد طبق على أكثر من ألف شخص استخبار تبين من قبل أنه يقيس الميول نحو التعصب القومى . وقد اختار الباحثون أكثر الأشخاص تطرفا فى الارتفاع والانخفاض على المقياس من بين الذكور والإناث ، وقد بلغ مجموعهم الكلى ١٦٠ (٤٠ شخص فى كل مجموعة) ، وأخضعوهم بعد هذا للفحص الاكلينيكى المتعمق . فتبين أن الاشخاص المتعصبين قد تعرضوا فى طفولتهم لأساليب تنشئة تختلف عن غير المتعصبين . وقد اتخذت فروق التنشئة بينها الأشكال الآتية : (١) تعرض الأطفال المتعصبون

(*) Socialisation .

فى طفولتهم لأساليب صارمة من التدريب ، وأب ثقيل الوطأة ، يبعث الخوف والرهبة . (٢) علاقاتهم بالآباء بالرغم من أنها لم تكن دافئة ، فقد كان يغلب عليها التبعية له ، كما كانوا يميلون إلى تمجيد آبائهم . بالرغم من أن الاختبارات الإسقاطية كشفت عن وجود رغبات عميقة فى موت الوالدين . (٣) العلاقة بالطفل كان يغلب عليها السيطرة والخضوع مع قليل جداً من التفهم . (٤) يرغب الأبناء فى أن يجارى أطفالهم المعايير السلوكية الشائعة ، لكى ترضى عنهم الجيرة ومن شأن هذه الأنماط من التنشئة أن تخلق نمطا من الشخصية يميل لتبنى الاتجاهات العنصرية — العدائية فيما بعد .

٥ — **الشخصية المتعصبة** : كان يعتقد فى فترة ما أن الاتجاهات المتعصبه ما هى إلا نتاج طارىء للتأثيرات الاجتماعية . غير أنه تبين أن الشخص الذى يتخذ اتجاها متعصبا نحو أقلية معينة ، يتبنى أيضا نفس الاتجاه المتعصب نحو جماعات أخرى بما فيها الجماعات الخرافية — كما أشرنا سابقا (٧) — وقد تراوحت الارتباطات بين مقاييس اتجاهات التعصب نحو الزنوج ، واليهود ، والكاثوليك والأقليات الأخرى بين ٠,٦ : ٠,٧ فى مختلف الدراسات مما يبين أن هذه الاتجاهات تعبر عن سمة عامة فى الشخصية ، وقد رأينا أن هذه السمات تتشكل بسبب خبرات معينة فى الطفولة ، فما هى الأشياء الأخرى التى تميز الشخص المتعصب ؟ . تبين الدراسات الإحصائية للاتجاهات الإجتماعية أنه يمكن تصور الاتجاهات الاجتماعية وفق بعدين تصوريين كما فى الشكل (٣) :



شكل (٣) التعصب والشخصية

ويقع المتعصبون عنصريا فى الربع الأعلى الايمن ، أما المتسامحون ففى الربع الاسفل الايسر . ويتبنى المتعصبون أيضا عدداً آخر من الاتجاهات . فهم يحبذون العقوبات الجسدية ، والإعدام ، كما أنهم يؤيدون الاحزاب اليمينية المتطرفة كالأحزاب الفاشستية . وفى ضوء الأبعاد التى استخلصها أيزنك (١٤) يعتبر المتعصبون من ذوى الاتجاهات المحافظة ، والصارمة . وفى ضوء دراسات أخرى يتبنون الاتجاهات التسلطية . ويمتاز الشخص المتعصب أيضاً بسمات أخرى من الشخصية فهو ليس مرتفعاً ، فى العصابية ، أو منخفضاً فى الذكاء ، كما كانت بعض الآراء السابقة ترى ، لكنه يتميز بالخصائص الآتية :

(*) Tough-mindedness .

(**) Tender-mindedness .

(ا) **التصلب فى التفكير** (*)، والانغلاق العقلى ، وعدم المرونة . والحقيقة أن وجود التشابه بين كل أعضاء الجماعات العنصرية أو القومية يعنى التشابه فى التعبير عن التصلب .

(ب) **الاهتمام بالقوة والمركز** ، والقابلية للتأثر السريع بالأشخاص فى مواقع السلطة .

(حـ) **الميل الى قمع الدافع** — كمشاعر الكراهية نحو الوالدين كما رأينا سابقاً — فيتبدى ظاهرياً بالأدب ، والمحافظة والخلق الطيب لكن الاختبارات الا كلينيكية المتعمقة تبين أنه على درجة مرتفعة فى العدوان والقلق . ويمكن أن تسيطر تلك الصفات غير المقبولة على أعضاء الأقليات الأخرى . وتتبع اتجاهات التعصب القومى نفس النمط تقريباً فقد بينت دراسات متعددة أن الذين يعادون بعض الدول ، أو يدعون إلى العزلة عنها — فى مقابل الأشخاص من ذوى الاتجاهات العالمية — يرتفعون على مقاييس التسلطية [١٥] .

وقد صاغ علماء السلوك الاجتماعى آليات مختلفة من الشخصية للربط بين تلك الخصائص الشخصية ، والتعصب . ومن أهم تلك الصياغات : النظرية التى ترى بأن الاحباط يؤدى إلى العدوان . فقد وجد أنها تنطبق على سلوك الأقليات . وهناك بعض الدلائل على أن اتجاهات التعصب القومى ترتبط بالنزعة العدوانية فى مواقف الحياة اليومية ، خاصة بين أكثر الأشخاص تعصباً [١٦] . إلا أن هذا ليس نقلا للعدوان بقدر ما هو تعميم له .

(*) Rigidity .

كيف يمكن تغيير التعصب والوقاية منه ؟

إلى أى مدى يمكن بادىء ذى بدء — أن نتناول العوامل التى تشكل السلوك المتعصب ؟ . يبدو لنا — إذا بدأنا **بالعوامل الاجتماعية** — أننا نستطيع الوقاية من التعصب إذا منعنا حدوث المواقف التى تستثير التعصب فى المجتمع . فعندما يتحرك بعض الأعضاء من الأقليات نحو دولة ، أو مدينة ، لا يجب أن يتدفقوا على سوق العمل فى منطقة ما أو مهنة — فقدر ضئيل من الأفراد يمارس مهناً مختلفة ، وفى مناطق متعددة لا يعتبر مصدراً للتهديد فى المعيشة . وبالمثل لا يجب التدفق على أماكن الإقامة التى يقيم فيها الزملاء المشابهين ، من المناطق المزدحمة بما يخلق تهديداً للسكان الأصليين ، عليهم إذاً أن يتوزعوا للاقامة فى أماكن متفرقة ، وأن يسايروا العرف والتقاليد السائدة فى هذه الأماكن .

أما **العوامل السيكلوجية** : فهى أكثر صعوبة فالتأثيرات الوالدية ، والجماعية لا تختفى إلا إذا اختفى التعصب نفسه . غير أنه من الممكن الحد من انتشار المتعصبين بوسائل الدعاية والتوجيه ، المتعلقان بطرق التنشئة .

ما هي الطرق الأخرى القادرة على تخفيض التعصب العنصرى ؟

يمكن — أولا — القيام بمحاولات متعددة للحد من **التمييز الادراكى** بين الجماعات . فلقد رأينا أن الأطفال لا يميزون بين البيض والسود حتى العام الخامس . وأن الأطفال الذين يعيشون فى المجتمعات ذات الجنسيات المتعددة قد لا يلاحظون بالمرة لون الجلد ، إلا بالقدر الذى نلاحظ فيه لون العيون أو الشعر مثلا . صحيح أن الناس لا يستطيعون التغيير من المظهر الخارجى ، لكن يمكن

لأعضاء الأقليات أن يقللوا من اختلافهم عن الآخرين بوسائل متعددة ، ومن أبسط هذه الوسائل : التكيف عن طريق الزى ، والتصرف وفق العادات السائدة فى المجتمع ، وعدم الاتصال المستمر بأفراد الجماعة العنصرية المتجانسة . كما يساعد الزواج ، والاختلاط الدراسى ، وفى المواصلات ، وفى جوانب الحياة الترويحية على هذه العملية . كما يمكن لأساليب الاتصال الجاهيرى أن تساعد على ذلك بالحد من البرامج التى تعمل على إبراز الأقليات فى صور تتسق مع القوالب الفكرية الجامدة ، او الادوار المنمطة .

ويمكن — ثانيا — أن تتغير الاتجاهات من خلال الاحتكاك ، والاختلاط وغيرها من الوسائل المشابهة . فالإحتكاك الإجتماعى فى مواقف التنافس فى العمل أو على أساس من عدم التكافؤ فى المركز ، لا يعمل إلا على زيادة العدوان العنصرى . لكن عندما يلتقى الأشخاص فى جماعة واحدة ، لكى يواجهوا مشكلاتهم جنبا إلى جنب ، فإن التعصب سرعان ما يختفى . وقد تكشف هذا فى دراسة مسحية لاتجاهات المجندين فى الجيش الأمريكى ممن عملوا فى معسكرات مختلطة(١٨) . ففى الوحدات العسكرية القائمة على الفصل بين البيض والسود ، عارض ٦٢ ٪ الاختلاط ، فى مقابل ٧ ٪ فقط من بين الاشخاص فى المعسكرات المختلطة . مما يوحى بأن الزيادة فى الاحتكاك تصحبها زيادة فى انخفاض التعصب كما تبين الدراسات فى المدن السكنية المختلطة عن تغيرات مماثلة فى السلوك والمشاعر . إلا أن هذا التغير يرتبط بنوع العقلية ، خاصة بالنسبة للأعضاء الذين يحدث الاحتكاك بهم . وبسبب الاختلاط بين الأجناس فى مواقف العمل قليلا من النفور فى مجال العمل وقليلا أيضا من التغير العام فى السلوك أو الاتجاه المتعلق بالعمل(١٩) والاستثناء الوحيد لذلك بين البحارة . ويبدو أن التغيرات الحاسمة فى الإتجاه تحدث غالبا فى المواقف الانفعالية الحادة . وتعتبر الخدمة العسكرية من أكثرها ، لكن الحياة فى البحر من أكثرها على الإطلاق .

وتساعـــد المعسكرات الصيفية ، ونوادى الشباب المختلطة على تخفيض الاتجاهات المتعصبة ، وقد وجد أن فاعلية هذه الطريقة تتوقف على قدرة القائد على ضرب المثل ، وإعطائه التعليمات المباشرة عن السلوك اللائق ، وقد وجد أيضاً أن سلوك أعضاء الأقليات أنفسهم يتغير ، إذ تزداد ثقتهم بأنفسهم ، وتقل حساسيتهم ، وشعورهم بعدم الأهمية . ولا شك أن فرض الاختلاط بالوسائل القانونية — فى البلاد التى تعانى من هذا — سيؤدى إلى زيادة سريعة فى الوقاية من التعصب . وقد أدت المعسكرات الصيفية الدولية للشباب إلى نجاح ملحوظ فى هذا الصدد . والمعسكرات الريفية للأطفال بين سن الحادية عشرة إلى تغير فى الإتجاهات المتعصبة إستمرت فاعليته خمسة أعوام تالية(٢١) . لـكن لا توجد دراسات عن تأثير السياحة الأجنبية ، ولو أن النتائج الاخرى توحى بأهمية التكافؤ فى المركز والاحتكاك التعاونى .

أما الاسلوب الاخير فى تغيير السلوك ، فيقوم على تغيير المعرفة(*) . ومن ثم تصحيح القوالب الجامدة غير الدقيقة . وتقوم فى الولايات المتحدة الامريـكية مجهودات شاملة فى كثير من المدارس على إعطاء المعلومات عن الأقليات ذلك لأن من المعروف أن الذين يعرفون أشياء كثيرة عن جماعة معينة غالباً ما تقل عداوتهم لها ، ومن ثم فإن التغيير فى الإطار المعرفى غالباً ما تنعـكس آثاره فى مجال العقل والشعور . وأن التغيير فى الاعتقادات غالباً ما يحدث دون التأثير فى الجوانب الأخرى على الإطلاق . ولـكى تحدث التغيرات التغيرات العامة ، على المدرس أن يعبر عن اتجاهاته أمام الفصل بصراحة ، وهناك دليل على أن أعلى درجة من التغير فى الاتجاه تحدث بسبب أنماط النشاط التعليمى بما فيها الرحلات الميدانية والمشروعات المختلطة ، طالما أنها لا تؤكد الفروق ، والتمايز بين الجماعات .

(*) Cognition .

ننتقل الآن بعد أن عالجنا وسائل تغيير الجوانب **السلوكية ، والمعرفية** فى اتجاهات التعصب إلى وسائل تغيير **الجانب الشعورى** . فقد تبين أن كثيراً من الناس يغيرون من إتجاهاتهم العنصرية بسبب المؤثرات الإجتماعية ، والدعاية فنجد ان قلة من الأشخاص يزداد عجزهم عن المرونة ، بسبب شخصيتهم المتعصبة ، وبسبب الإشباعات التى تحققها الاتجاهات للدوافع اللاشعورية . صحيح أن هناك نوعاً من **العلاج النفسى** . يقوم على تبصير الشخص المتعصب بالعمليات السيكلوجية القائمة وراء تعصبه — يصيب بعض النجاح — غير أن الأشخاص المرتفعين فى « الدفاع الذاتى »(*) نادراً ما ينجح معهم هذا الإجراء[٢٣] . ومن المقرر أن المرضى الذين يخضعون للتحليل النفسى ، يكشفون أحياناً عن قدر مرتفع من التبصير مما يغير اتجاهاتهم ، خاصة اتجاهاتهم نحو اليهود ، لأن كثيراً من المحللين النفسيين من اليهود[٢٤] .

وقد تؤدى **الدعاية** من خلال **أساليب الاتصال الجمعى** (**) إلى التغيير من السلوك ، أو المعتقدات أو الجوانب الثلاثة جميعاً . وسنرى فى الفصل الثالث عشر أن الاتجاهات السياسية ، وغيرها تتغير بعمق بسبب أساليب الدعاية . **فماذا عن الاتجاهات العنصرية ؟** : قامت بعض التجارب لدراسة تأثير الأفلام السينمائية على الإتجاهات العنصرية ومن الأمثلة الطريفة على ذلك أنه بعد عرض فيلم « معركة بريطانيا » على المجندين الأمريكيين أثناء الحرب[٢٥] أجاب ٤٥ ٪ من الأشخاص الذين شاهدوا الفيلم فى مقابل ٢١ ٪ ممن لم يشاهدوا الفيلم بأن القوات البريطانية هى السبب فى هزيمة النازى كإجابة على السؤال :

— من الذى سبب الهزيمة الأولى الحقيقية للجيش النازى ؟ .

(*) Self - defence .

(**) Mass Commonication .

غير أنه لم يحدث تغير يذكر فى الإتجاهات العامة عن الإنجليز ودورهم فى الحرب ، وتؤكد دراسات أخرى هـذه النوعية فى تغيير الاتجاه . وقد أدت الأفلام التى عرضت على الطلاب الأمريـكيين عام ١٩٢٣ إلى تغيير أعظم فى اتجاهاتهم(٢٦) . ولـكن التأثير كان يتضاءل بمرور الوقت ، بحيث أن ٥ ٪ فقط من الأشخاص أو أقل بقى التأثير لديهم عاماً تاليا .

وهناك نمط آخر من الدعاية يعتمد على المحاضرة ، أو الخطابة ، أو الأحاديث الاذاعية . لـكن تأثير هذه الأساليب ضئيل وغير ممتد بالرغم من حدوث بعض التغيرات فى الإتجاهات . أما الخطابات الرسمية الفعالة فى الميدان الدينى والسياسى فيجب أن تـكون من النوع الملهب لحماس الجماهير ، أما الرسالة المـكتوبة فيجب أن تعمل على زيادة الدافع . ومن الصعب أن نحدد فى مجال الإتجاهات العنصرية القوة التأثيرية لـكل أسلوب . وتتجه البرامج الإذاعية الأمريـكية فى الغالب إلى الدعوة « للديمقراطية » ، والهجوم « على السلوك غير الأمريـكى » ، ومن المشكوك فيه أن تـكون هذه الدعاية ذات تأثير فعال .

ومن الطريف أن نلاحظ كيفية تناول هذه المشكلة عند وكالات الإعلام التى تعتمد على مناهج بحث الدوافع الإنسانية . فهى تحاول على الأرجح إقامة « صورة نموذجية » من أعضاء الأقلية ، بحيث تبرز فيها الخصائص الطيبة لها ، والعوائد التى تساهم بها الأقلية فى المجتمع ، كما يمـكن بالمثل استخدام مختلف أنواع الإعلانات ، والملصقات التى يفضلها رجال الدعاية .

الخـــــلاصة

إن العداء العنصرى والقومى لا يتعذر علاجه ، ففى كثير من مناطق العالم تعيش الجماعات العنصرية المختلفة جنباً إلى جنب دون عداء وتؤدى إلى خلق التعصب مواقف إجتماعية معينة ، وأنماط شخصية . وبهذا يصبح التعصب جزءاً من الاتجاهات المقبولة التقليدية الخاضعة للتعلم . ومن مصادر الإزعاج تلك السرعة المخيفة التى تنمو بها أنواع جديدة من العداء العنصرى ، مما يدعو إلى الحاجة إلى ضبط المجتمع بطريقة تمنع تلك الأشياء من الحدوث . وقد أشرنا فيما سبق إلى بعض الشروط الاجتماعية التى يجب بحثها . كما أشرنا إلى نوع الخبرات الاجتماعية التى تبين أنها تؤدى إلى زيادة الود والصداقة نحو القوميات أو الجماعات العنصرية الأخرى . وفى تلك الفترة من زيادة التعاون الدولى من الضرورى أن تتكون لدى الناس مثل تلك الخبرات .

الفصل الثامن

المشكلات الإنسانية فى الصناعة

العمل من أحد نواحى النشاط الضرورية ، فى كل المجتمعات ، البدائى منها أو الحديث . وتعتبر كمية العمل المبذولة بمثابة الأساس الأول فى تحديد مستوى المعيشة .

فما هى الشروط الاجتماعية والنفسية التى تعمل على زيادة الإنتاج ، وما مدى وزن كل شرط منها ؟ وما هى الشروط التى تجعل من العمل مصدراً للمتعة ؟ وهل تزداد الكفاءة فى العمل بزيادة جاذبيته ؟ وما هى آثار الميكنة الصناعية(*) ومساهمة العمال فى الإدارة ، وتوسيع حجم العمل ، وغيرها من المحاولات التى تبذل لزيادة الإنتاج ، والقضاء على الاغتراب الصناعى ؟(**) .

مفهوم الانتاجية(***) :

يستخدم مفهوم **الانتاجية** فى هذا السياق للاشارة بشكل عام إلى كمية الإنتاج فى الساعة ، أو نسبة الحصيلة الإنتاجية لكل شخص . ويشير المفهوم أحياناً إلى مجموع الإنتاج الكلى على مدى فترة زمنية أطول ، حتى يمكن مراعاة نسبة الغياب عن العمل ودوراته : وتقدر إنتاجية العامل فى الساعة — غالباً — فى ضوء كمية العمل التى ينجزها راضياً فى الزمن المسموح به (ويقدر زمن العمل بدراسات

(*) automation .

(**) Alienation .

(***) productivity .

الزمن التي يقوم بها المهندسون لتحديد الزمن المعيارى لكل **عمل**) . وبالرغم من أن هذه **الطريقة** تخضع للتقديرات الذاتية جزئيا ، فإن القائمين بدراسات الزمن يجمعون على الموافقة عليها .

مصادر زيادة الإنتاجية

تعتبر **طريقة تحليل العمل** من أول الوسائل التي استخدمت في مجال زيادة الإنتاج الصناعى . ومن خلالها يمكن أن تكتشف أفضل الطرق للقيام بكل عمل ، بحيث تستبعد الحركات غير الضرورية ، وأن تستخدم كلتا اليدين فى نفس الوقت ، أو أن ترتب الحركات المطلوبة فى تتابع يسير ، يمكن أداؤه بسهولة . وكمثال على هذا : الدراسات المبكرة التى قام بها « جيلبرث Gilbreth » . فقد استطاع أن يخفض الحركات المطلوبة فى البناء من ١٨ إلى ٥ ، مما أدى إلى بناء ٣٥٠ قالب طوب بدلا من ١٢٠ فى الساعة(١) . ومن الممكن فى الوقت الحالى زيادة كمية الإنتاج بنسبة ٢٠٠٪ بفضل هذه الطرق . ويتجه التدريب على العمل الصناعى خلال الخمسين عاماً الأخيرة إلى تقسيم العمل بحيث يقوم كل عامل بأداء سلسلة من الأعمال البسيطة فى العملية ، بالطريقة المعيارية التى تحددها دراسات **تحليل العمل** (*). وقد تبين أن الأشخاص فى البداية تزداد سرعتهم إذا قاموا بعمل مبسط ، أى أنهم يقومون بإنتاج أفضل بمجهود أقل . غير أن هناك دليل على أن انخفاض الدافع بسبب **عامل الملل** يؤدى إلى الحد من مزايا هذه الطريقة . وقد كتب « فريدمان Friedmann » عن « سلخانة » كل مايقوم به أحد الأشخاص فيها هو : إزالة الخصية من كل خنزير ، وكل ما يقوم به شخص آخر هو أن

(*) Job analysis .

يعقد « سجقا » كل ثلاث ثوانى ، وسنناقش فيما بعد النتائج الانسانية التى تترتب على هذا النوع من تنظيم العمل ، والمحاولات الحديثة للتغلب عليها .

ويمكن النظر إلى الحوافز المادية وغيرها كطريقة هامة من طرق زيادة الانتاج. ويتم الدفع بحسب الانتاج غالباً فى حالة العمال اليدويين والباعة ، لكن ليس بالنسبة للمهنيين ورجال الادارة المهرة . ويعود السبب — جزئيا — فى هذا إلى سهولة تقدير كمية العمل فى حالة الفريق الأول ، ويعود أيضاً إلى عدم جاذبية العمل الذى يقومون به دون تشجيع خارجى . وبمقارنة كمية الانتاج قبل الحافز وبعده نجد أن نسبة العمل تزداد بشكل ملحوظ . وفى دراسة انجليزية حديثة تمت المقارنة بين العمال فى ستة مصانع قبل تقديم الحوافز وبعدها فى بعضها ، ودون إحداث أى تغييرات فى بعض المصانع الأخرى ، فتبين أن متوسط الزيادة فى الانتاج بلغ ٦٠٪ وزادت الأرباح ٣٠٪(٣) . وقد أوضحت دراسات سابقة نسبة أقل .

وتواجه الحوافز المادية عوائق حادة ، وجوانب من القصور ، لدرجة أن كثيراً من الشركات بدأت الآن تتخلى عنها . إذ نجد **أولا** أن نوعية العمل تبدأ فى التدهور ، فتنشأ حاجة قوية إلى تعيين أعداد كبيرة من المفتشين . **فضلا عن هذا** نجد أن عملية حساب الأجور تحتاج — لتعقدها — لعدد أكبر من المحاسبين بحيث أن تكاليف العمل الكلية لا يمكن التقليل منها . كما نجد **ثانيا** : أن هناك زيادة فى ميكنة العمل الصناعى، بحيث أنه أصبح لا يعتمد على السرعة التلقائية للعمال الصناعيين . كما تعتمد فاعلية الحوافز المادية **ثالثا** : على مدى حاجة الأشخاص للنقود ، والتى تعتمد بدورها على موقفهم العائلى ، ووضعهم الاقتصادى بالنسبة للمجموعة ، وتوافر السلع الاستهلاكية المطلوبة ، بحيث أن سرعتهم فى العمل لا تحدث إلا لساعات قصيرة هى ساعات الحاجة .

هل الحوافز المادية هى السبب الوحيد للعمل ؟ تدل البحوث فى حالة عمال المحال التجارية الضخمة ، أن الحافز المادى — للأسف — هو السبب الأساسى أو الوحيد للعمل . وتبين البحوث المسحية أن الاهتمام بالنقود يزداد بين العمال غير المهرة . وتبين الاستبارات مع العمال فى مصنع للسيارات بأمريكا أن آمالهم لاتتجه كثيراً للترقية ، وأنهم يرجحون التخلى عن عملهم الحالى إذا وجدوا مجالا آخر أفضل ماديا ، وأنهم يعملون ببساطة من أجل الدخل ، ولكى يحسنوا حياتهم المعيشية بفضل الأجور المرتفعة التى يتلقونها(٤) . **أما المهنيين** ، ورجال **الادارة** فتسودهم الآمال فى الترقية أكثر من غيرهم ، كذلك تسودهم آمال النجاح ، والشهرة(٥) . كما يرتفع إخلاصهم للعمل كمثال لتحقيق الذات ، ولتحقيق الرغبة فى المنفعة العامة . أما العمال اليدويين فإنهم ينظرون للعمل على أنه طريقة — كأية طريقة — لقضاء الوقت ، والتكسب المادى(٦) . وتبين البحوث أن هؤلاء الأشخاص غالباً ما يتوقفون عن العمل بمجرد انقضاء حاجاتهم المادية ، بينما يستمر الأشخاص المهرة — كالأدباء والفنانين — فى العمل دون جزاء ظاهر .

وتختلف قيمة العمل أيضاً فى المجتمع البدائى ، فهو يكيف لإرضاء الحاجات المباشرة للاسرة ، أو القبيلة كالطعام ، أو المأوى ، ويتم فى صحبة مجموعة من الأقارب ، ويفرضه الدين ، أو السيرة ، ولا يشكل قيمة منفصلة عن الحياة(٧) .

دور العوامل الاجتماعية :

إزدادت أهمية تلك العوامل بعد تجارب « هوثورن » Hawthorne التى توصلت إلى وجود زيادة ملحوظة فى الانتاج بعد تغير **العلاقة بالمشرفين**(٤) . وقد كشفت دراسات أخرى بالتفصيل عن زيادة الطاقة الانتاجية فى ظل أنواع معينة من الاشراف والعلاقات فى داخل جماعة العمل . ففى دراسة مبكرة على أحد الشركات — حيث كان رؤساء العمل يتناوبون دورياً الرئاسة ، تبين أن الدخل

يتغير فى اثنين وعشرين قسما بعد المناوبة بحيث أن الرؤساء احتفظوا بنفس الترتيب فى الانتاج ، وقد تراوحت التغيرات بين ٦٪ و ٨٪(٩) . وهناك دراسات عن دور الرؤساء وأهميتهم فى زيادة الانتاج توضح نفس النتيجة ، فقد قارن المؤلف الحالى بين الرؤساء فى الأقسام ذات الدخل المرتفع والأقسام ذات الدخل المنخفض فوجد أن سلوكهم يتشابه فيما عدا الاحساس بالمسئولية ، وتتفق هذه النتيجة مع بعض بحوث جامعة « ميشيجان »(١٠) . وتبين فى دراسة على دولتين ، وعدد من المصانع أن الدخل يزداد عندما يقضى الرئيس وقته فى أعماله الملائمة من تخطيط وتنظيم ، وعندما يزداد اهتمامه برفاهية العاملين أكثر من اهتمامه بالدخل ، وعندما يكون ميالا للاقناع بدلا من العقاب ، وعندما يتجه إشرافه « للعموميات » بدلا من الاشراف على كل التفصيلات . وقد وصلت الفروق فى الانتاج إلى ١٠٪ وازدادت هذه النسبة فى حالة عدم تقديم حوافز الأجر ، وحيث لم يكن العمل خاضعاً للميكنة الكاملة . وكشفت سلسلة أخرى من التجارب أن جماعات العمل — فى الوحدات العسكرية ، والفرق الرياضية — تزداد كفاءتهم عندما يحافظ القائد على وجود مسافة اجتماعية بينه وبين أعضاء الجماعة(١١) . وسنرى فى الفصل الثانى عشر أن فاعلية القائد وتأثيره فى الجماعة تتوقف على عوامل أخرى ، كطبيعة عمل الجماعة ، وشخصيات الأعضاء .

وينبغى أن ننظر إلى الأشخاص فى مواقف العمل لا كأفراد فقط بل كأعضاء فى جماعة عاملة . ولعل أهم آثار الجماعة على الفرد هى فرض المعايير السلوكية للجماعة على أعضائها ، كالانضمام إلى النقابة ، أو الحد من الدخل . وكما رأينا فى الفصل الثالث ، فإن قوة الجماعة على فرض معاييرها على أعضائها تزداد بازدياد جاذبيتها للافراد ، وإخلاصهم لها ، وتأثيرات الجماعة على أفرادها تتفاوت من مجرد التجاهل إلى الطرد من الجماعة ، وجعل الحياة لا تحتمل بالنسبة للخارجين عليها . وفى حالة انخفاض الإنتاج يتركز ضغط الجماعة فى : الخوف من انخفاض

مستوى الدخل ، إذا تباطأ العامل عن العمل . ولو أن كثيرا من الهيئات الإدارية لا توصى بهذا العقاب مباشرة بل توصى بإيقاع العقوبة بشكل آخر يتمثل فى تغيير التخطيط ، ونظام العمل ، ووضع إجراءات زمنية جديدة ، ومتابعتها بدقة . وهذه التوصية لها قيمتها ، لأن جماعات العمل تكون دائما على قدر قليل أو كثير من الترابط ، والتنظيم ، وتتخذ بعضها نظاماً قياديا هرميا ، يقوم فيه بعضهم بدور المتحدثين عن الجماعة : ومثل تلك الجماعات تفرض ضغطا ثابتا للوصول إلى غاياتها(١٢) .

وإذا كان على جماعات العمل أن تتعاون من أجل إنجاز العمل ، فمن الضرورى أن تكون ذات قدر كبير من **التماسك الداخلى** (*) ، وأن يكون بين أعضائها قدر من الانسجام . وقد بينت إحدى الدراسات أن الحصيلة الإنتاجية لجماعة من البنائين تزداد إذا أعيد ترتيب وضع الأشخاص بحيث يعمل كل منهم مع من يختارهم كزملاء فى العمل(١٣) . وبينت دراسة أخرى أن الجماعة التى يتحقق فيها الانسجام تزداد طاقتها الإنتاجية عن الجماعات غير المنسجمة خاصة إذا كان عمل الجماعة يحتاج إلى التعاون(١٤) . ويمكن تحقيق هذه المزايا عمليا بسهولة إذا سمحنا ، للاشخاص أن يقسموا أنفسهم فى فرق ، وأن يسمح لهم بتعديل مواقعهم إذا أرادوا هذا . ويبلغ تأثير هذه المتغيرات على زيادة الإنتاج بدوره نفس القدر فى المتغيرات السابقة وهو ١٠ ٪ . إن العلاقات الطيبة بالمشرف ، ومجموعة العمل تؤثر فى الحصيلة الإنتاجية بطرقها الخاصة . وتحول العلاقات الإجتماعية فى داخل جماعات العمل إلى مصدر لعدم الرضا ، الذى يتخذ مظاهر عدة منها زيادة نسبة الغياب عن العمل ، والتهرب من الورديات ، والإضرابات غير الرسمية . كما يرتفع نصيب المشكلات الاقتصادية فى هذا الجو .

(*) Internal Cohesion .

دور العوامل الاجتماعية — التكنيكية (*) :

تشير هذه العوامل إلى المتضمنات الإجتماعية للاعدادات التكنولوجية فقد تكون عملية صناعية متكاملة من وجهة النظر الهندسية ، غير أنها تخلق نمطاً من التفاعلات الإجتماعية التى تؤدى إلى فشلها من الوجهة الإنسانية . وخير مثال على هذا : النظام الذى اتبع فى مناجم الفحم فى « لونجوول » Longwall حيث أمكن تقسيم الجماعة الكلية إلى ثلاث دوريات . وتقوم كل دورية بجزء مختلف من العمل بحيث لا يمكنها أن تفهم وجهة نظر الورديات الأخرى . فضلا عن هذا ، فقد كان يتعذر الالتقاء بين الورديات ، ومع ذلك فقد كانت كل وردية تعتمد تماماً على المجموعات الأخرى فى كمية الدخل والأمان . وتبين النتائج أن هذا النظام كان على قدر ضئيل من الكفاءة . فقد حدثت حوادث كثيرة ، وزاد السخط العام . ومن الحلول التى اقترحت القيام بالدمج بين الإخصائيين فى المجموعات الثلاث المختلفة ، مع السماح بقدر معين من التواصل والاحتكاك الاجتماعى[١٥] . وهناك مثال آخر يبين أن جماعات الإنتاج الكبيرة الحجم أبطأ من الصغيرة بشكل ملحوظ ، كما أن نسبة الغياب الإرادى ترتفع فيها أكثر . وهناك أسباب متعددة تؤدى إلى هذه النتائج منها : أن خط الإنتاج يجب أن يسير بسرعة تتناسب مع أبطأ شخص فى المجموعة ، ومنها عدم فاعلية نظام الحفز الجماعى عندما تكون المجموعة كبيرة الحجم ، ومنها إنخفاض درجة الإشباع التى يجنيها الشخص من الانتماء إلى مجموعة كبيرة الحجم .

وقد تؤدى العوامل الاجتماعية التكنيكية إلى خلق الصراعات بين الأشخاص الذين من المفروض أن يتعاونوا ، بأن تجعل الاتصال بينهم صعباً أو مستحيلا ،

(*) Socio-technical factors .

كما أن فروق المهارة الصناعية فى المركز — غير — الرسمى داخل جماعة العمل يخلق جواً عاماً من الضيق والمشاحنات . ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى سلسلة التغيرات الإجتماعية — التكنيكية التى أدت إليها الميكنة الحديثة ، وهذه سنوليها اهتمامنا فى القسم الثانى .

والخلاصة أن البحث الإجتماعى يوضح أن على التكنولوجيين — عند تصميمهم لخطط الإنتاج — أن يهتموا بشكل كبير بالنتائج الاجتماعية التى تتكون ، كما يجب على المهندسين — بنفس القدر — أن لا يصمموا الآلات التى يصعب على الأشخاص التعامل معها .

مصادر إشباع العمل و نتائجه

تتقدر درجة إشباع العمل(*) باستخدام مختلف أنواع مقاييس الاتجاهات ، التى توضع فى شكل استخبارات . ولهذه المقاييس درجة مرتفعة « من الصدق الظاهرى » ، من حيث أن الأسئلة تشير بوضوح إلى مظاهر الإشباع التى تحققها الجوانب المختلفة من العمل ، فضلا عن هذا فإن كثيراً من النتائج المستخلصة تتسق مع التنبؤات .

ومن أحد هذه التنبؤات أن نسبة غياب العمال المشبعين تكون أقل ، ويقضون وقتا أطول فى المصنع . وسنتخذ من نسبة الغياب التلقائى — فى المناقشات التالية — مقياسا آخر من مقاييس إشباع — العمل .

وتعتبر العوامل الاجتماعية ذات أهمية خاصة فى تحقيق الإشباع . فمثلا تبين

(*) Job Satisfaction .

أن نسبة الغياب الإرادى فى الجماعات الصغيرة **المتصادقة** تبلغ ربع نسبة الغياب فى الجماعات الأخرى(١٦) . وقد تبين أن **اسلوب الاشراف** يزيد من الإشباع . فالأساليب التى تؤدى إلى زيادة الدخل هى نفسها التى تؤدى إلى زيادة الإشباع . كما ظهرت فروق بين الشركات المشبعة ، وبين قطاعات معينة من الشركات غير المشبعة واتخذت هذه الفروق زيادة فى الشعور بالضيق ، وانخفاض الدخل وزيادة إصابات العمل وغيرها . لهـــذا تقوم بعض المؤسسات ببحوث دورية لتحديد مجالات عدم الرضا لـكى يمكن التخلص منها .

وهناك دراسة حديثة بين المحاسبين والمهندسين ألقت أضواءاً جديدة على دور العوامل الإجتماعية فى تحقيق الإشباع . فقد طلب من مجموعة من الأشخاص أن يصفوا الأوقات التى ترتفع فيه نسبة إحساسهم بالإشباع أو تنخفض . فوجد أن العوامل الإجتماعية — كالتى سبق وصفها — كانت فى الغالب مصدراً من مصادر عدم الإشباع ، أى أن هذا الإحساس يزداد عندما تسود علاقاتهم بجماعة العمال أو بالمشرفين ، أو عندما تسوء ظروف العمل ، والدخل المـادى ، وعندما لا يشعرون بأن الشركة تعاملهم بالعدل . غير أن فترات الإشباع ، لا ترجع فيما يبدو للعوامل الاجتماعية وحدها ، وإنما إلى غيرها من العوامل التى سنشير إليها بعد قليل(٥) . فلقد أجريت الدراسات المبـكرة عن أهمية العوامل الاجتماعية . على نوع من الأعمال غير الفنية ومن المرجح أن تـكون العلاقات الاجتماعية من بين المصادر الضئيلة للاشباع فى هذا النوع من العمل .

وتعتبر **طبيعة العمل** من العوامل التى ازدادت معرفة علماء النفس الصناعى بها كمصدر من مصادر إشباع العمل ، ففى الدراسة السابقة التى أجريت على المهندسين والمحاسبين ، تبين أن الفترات التى يزداد فيها الإشباع تحدث عندما يحققون نجاحاً ، أو شهرة ، وليس بسبب العوامل الاجتماعية ، كتقبل الجماعة .

وتعتبر هذه العوامل متعلقة بالنمو الشخصى ، أو تحقيق الذات . وفى دراسة على العمال الكتابيين فى الخدمة المدنية ، تبين أن كثيراً منهم يشعرون بعدم الرضى بسبب افتقار العمل إلى التنوع والخوف من المسئولية ، وأنهم كانوا يفضلون الأعمال التى تتطلب تفاعلا بالناس(١٧) .

وفى المستويات المنخفضة من المهارة ازدادت نسبة العمال الذين ينظرون إلى العمل بأنه ممل وعلى وتيرة واحدة . فحوالى ٨٥ ٪ — فى إحدى الدراسات — قالوا بأنهم يفضلون العمل المتنوع(١٨) . ولقد تبين — فى الواقع — أن ضعاف العقول(١٩) . وحتى القردة ، تستطيع القيام ببعض الأعمال الصناعية . ولعل السبب الأساسى فى الملل من العمل يرجع إلى التكرار وعدم التنوع ، بالرغم من أن مختلف العمال يجدون كثيرا من الأشياء مملة . وهناك نسبة قليلة من العمال تفضل الأعمال البسيطة المتكررة . وهم من بين المنخفضين فى الذكاء ، والخبرة ، والثقة بالنفس ، والذين يخافون الأعمال الأكثر تعقيدا ، والتى تحتاج إلى جهد أكبر . وتعمل بعض الشركات على استبعاد الطلاب وغيرهم من الأذكياء من الأعمال التى تستثير الملل ، وذلك بسبب إحتمال شعورهم بالسخط على العمل ، وما قد يسببونه من اضطرابات نتيجة لهذا . وقد تبين أيضاً أن الانطوائيين أكثر تحملا لتلك الأعمال من الانبساطيين ، الذين ترتفع حاجتهم إلى الخبرات المتنوعة(٢٠) . ويصاب حوالى ٤٠ ٪ من الأشخاص بأحلام اليقظة أثناء أدائهم للأعمال النمطية ويصدق هذا أيضاً على النساء بشكل خاص .

وتوجد فروق ضخمة بين الجماعات المهنية من حيث شعورها بالإشباع من العمل . ومن أكثر الجماعات شعورا به جماعات الإداريين والمهنيين ، والأساتذة يليهم العمال الفنيين . ويرجع السبب فى هـذا جزئياً إلى فروق الدخل والمركز الاجتماعى ، بالإضافة إلى فروق التنوع ، والإثارة ، والتشويق ، والحرية .

وسنعرض فيما يلى لأهم المحاولات فى تحسين طبيعة العمل اليدوى لزيادة مصادر الإشباع فيه .

وتلعب **الفروق الفردية** دورها فى القابلية للاشباع من العمل ، خاصة عندما تكون شروط العمل واحدة . **فالنساء** أكثر شعورا بالرضا من الرجال ، بما يتناقض مع وضعهن الاجتماعى من حيث ضيق فرص الترقية ، والدخل أمامهن . وربما يرجع السبب فى هذا إلى أن أعمالهن فى الغالب مؤقتة ، أو إلى أنهن أقل إهتماماً بالنجاح فى هذا المجال ، وربما لأن أحلام اليقظة عندهن ذات قدر مرتفع ، وأن الاتصال الاجتماعى هو صاحب القيمة الأكبر فى حياتهن .

والعصابيين من الناس أقل شعورا بالرضا عن عملهم إذ يجدون من الصعب التوافق لمواقف الحياة بما فيها موقف العمل . كما أن شعورهم بالاضطراب يزداد فى مواقف الإحباط . وهناك دليل على أن شعور العصابيين بعدم الرضا من العمل يزداد فى مواقف التعقيد(*) (٢١) . ومن ناحية أخرى فإن الشعور بالضجر قد يصيب العاملين لأن العمل لا يتناسب معهم ، لهذا ، وفى كل الأحوال فإن الحاجة التوجيه المهنى ، ووضع الشخص فى المكان المناسب أمران ضروريان . ويرتبط **الذكاء ودرجة التعليم** بدرجة الشعور بالإشباع بالنسبة لأعمال معينة ، فشعور الأشخاص بالإشباع يزداد إذا كان العمل على درجة معينة من الصعوبة والتحدى لقدراتهم .

وتتضارب نتائج البحوث فيما يتعلق **بتاثيرات الاشباع – من العمل** على المتغيرات الأخرى . فبعض الصناعيين يسلمون بأنه « كلما إزدادت سعادة العامل كلما إزدادت طاقته » ، لكن البحوث التى استخدمت فى مقاييس الأشباع

(*) Complexity .

فشلت فى إثبات هذه النتيجة ، ولم تكشف عن وجود أى ميل متسق فى هذا الإتجاه — أى أنه لا توجد ببساطة علاقة ما بين المتغيرين[٢٣] . وبالطبع ، إذا انصب الإهتمام على الإنتاج فى فترة ما فإن كمية العمل التى يقوم بها الراضون من العمال تكون أكثر ، لأن فترات غيابهم ، وتأخرهم أقل . ومن المرجح أن ردود فعل الأشخاص تتفاوت فيما بينهم ، فبعضهم تزداد نسبة إشباعهم ، عندما تكون الأمور سهلة ميسرة . والبعض الآخر تزداد طاقتهم لكى ينسوا مشاكلهم . وقد وجدت دراسة المهندسين والمحاسبين أن ٧٣ ٪ يزداد عملهم فى فترات الإشباع ، وأن ٤٨ ٪ يقل عملهم فى فترات الضيق ، وعدم الرضا — بعبارة أخرى — إذا صدقت هذه التقديرات فإن الغالبية العظمى من الأشخاص يرتفع معدل عملهم فى الفترات الإيجابية من الإشباع .

وحتى إذا لم تكن هناك علاقة إيجابية عامة بمستوى الإنتاج ، فإن لرجال الإدارة أسبابهم الاقتصادية القوية التى تفرض عليهم المحافظة على مستوى الزيادة فى الشعور بالإشباع من العمل .

فأولا : نجد — كما ذكرنا — أن نسبة **الغياب الارادى** (*) ترتبط ارتباطا جيدا بانخفاض الشعور بالإشباع . ومن الشيق أن نلاحظ أن نسبة الغياب الكلية غير مترابطة تماماً ، لكنها تتكون جزئيا من حالات المرض المزمن ، وغيرها من حالات الغياب الطويلة . ويمكن تقدير متوسط الغياب الإرادى ؛ بزيادة مرات الغياب بعد نهاية العطلة ومقارنتها باليوم السابق عليها ، ومن هذه القائمة يتبين الارتباط المقرر بالإشباع[٢٣] . ويعتبر الغياب ذا دلالة لأنه يؤدى إلى عجز الاستثمار ، كما يؤدى فى حالة الإنتاج الجمعى إلى بطالة مقنعة تظهر فى تولى بعض الأشخاص الماهرين العمل الشاغر بسبب غياب زملائهم .

(*) Voluntary absenteeism ·

وتكشف فترات **اعادة تنظيم العمل** عن إرتباط قوى أيضاً بالإشباع . ففى ففى دراسة المهندسين والمحاسبين ، ترك شخص من ثمانية عمله فى تلك الفترات . وفى دراسات أخرى كان من الممكن التنبؤ مقدماً بنسبة الأشخاص الذين سيتركون عملهم بناءً على درجاتهم على مقاييس « إشباع العمل » .

تأثيرات التيارات الراهنة فى الصناعة

تعتبر « **الميكنة الصناعية** » الثورة الثانية فى الصناعة : فبينما نجحت الثورة الصناعية الأولى فى استبدال الطاقة الإنسانية بقوة البخار ، نجحت الميكنة كذلك فى استبدال الأعمال الوتيرية بالتجهيزات الميكانيكية . وتتوزع « الميكنة » إلى ثلاثة أنواع : **الميكنة الآلية** (لأساليب التحكم الآلى) ، وأجهزة التحويل الالكترونية ، وأجهزة ضبط العمليات الآلية (كما فى الأعمال الكيميائية) ، وأجهزة تنظيم عمليات جمع البيانات (كما فى حالة استخدام الآلات الحاسبة فى الأعمال المكتبية) . وهناك تأثيران أساسيان معروفان فى مجال الميكنة . فهى تؤدى إلى تخفيض تكاليف الإنتاج ، والتقليل من نسبة الأيدى العاملة . أما كيف تؤثر فى طبيعة العمل وظروفه فهذا ما سنجيب عنه فيما يلى :

فاولا : نجد أن العمال المطلوبين يجب أن يكونوا على مستوى مرتفع من الكفاءة والمسئولية . لأنهم يقوموا بضبط أجهزة على قدر مرتفع من الإحكام ، أو يقوموا بإعدادها ، وإصلاحها . وفى مقارنة بين العمال فى محطة آلية لتوليد القوى الكهربائية بالعمال فى محطة تعمل بالشكل التقليدى تبين أن العمال فى المحطة الأولى كانوا ينظرون إلى عملهم بأنه يحتاج إلى إحساس أكبر بالمسئولية ، وقدر أكبر من التدريب ، وأنهم كانوا قادرين على قضاء وقت اطول لكى يتركوا عملهم فى أحسن حال(٢٤) . وفى دراسة أخـــرى فى مصنع للصلب زادت

هيبة(*) العمال فيه بعد ميكنته — فقد قل التأكيد على السرعة ، وقلت نسبة الأعمال الوتيرية القذرة . وأصبح العمل — كما عبر عن ذلك أحد العمال — أيسر من حيث الجهد الجسمانى ، وأصعب من حيث الجهد العقلى(٢٥) . لكل هذه الأسباب نجد أن نسبة إشباع العمل تزداد فى ظل الميكنة .

وقد أدى وجود الميكنة إلى سلسلة من النتائج المعقدة فى **المجال الاجتماعى التكتيكى** . فلقد تنبأ الملقون المتشائمون فى السابق بأن جماعات العمل المبتهجة التى تعمل فى المصانع التقليدية ستختفى ليحل بدلا منها الميكانيكيون الذين يقومون بعمليات منعزلة متباعدة . غير أن الدراسات الحديثة قد بينت أن العمال الميكانيكيين تكون لهم فى أحيان كثيرة حرية الحركة الجسمية ، وأنه تتكون بينهم فرق للعمل وتتأكد بينهم العلاقات الشخصية التكنولوجية . ويختلف الاحتكاك الفعلى باختلاف الأنظمة : ففى مصنع الصلب كانوا متباعدين فيزيقياً فى داخل وحداتهم ، وكان عليهم أن يتواصلوا بطريقة الخطاب الجماعى أمام الآخرين . وتقل الإحتكاكات بين جماعات العمل من هذا النوع بسبب التخلص من فروق الدخل والمكانة الداخلية التى تقوم على فروق نوع العمل ، ولأن الأشخاص يشعرون بأن كل منهم يقوم بدور مستقل فى نسيج متكامل من العمل التعاونى الهام .

وبينما من المتوقع أن تزداد أهمية المشرفين من ذوى المهارات التكتيكية فى ظل الميكنة الصناعية ، فإن نتائج البحث السابق فى المحطة الآلية لتوليد القوى الكهربائية بينت أن الاشباع يرتبط ارتباطاً أكثر بمهارة المشرف فى تكوين علاقات إنسانية . وفى مصنع الصلب الآلى انخفض الشعور بضغط المشرفين والتوتر

(*) prestige.

منهم بعد ميكنة المصنع . غير أنه تبين فى دراسة فى مصنع آلى للسيارات ، أن نسبة الإشراف تزداد ، وأن العلاقة بالمشرفين تتدهور(٣٦) . وتبين فى كثير من المصانع الإنجليزية أن التقسيم التقليدى بين جماعة المشرفين وهيئة التكنولوجيين يختفى ، فالتكنولوجيون يجب أن يتولوا بعض المسئوليات فى الإشراف(٣٧) .

أما عن تأثيرات « الميكنة الصناعية » على إمكانيات الترقية ، فهى ذات شكل معقد . فمن جهة نجد أن نسبة كبيرة من العاملين يحتلون مواقع إشرافية أو فنية ، ولما كان المشرفون — من جهة أخرى — يحتاجون إلى مؤهلات فنية فإن هذا يضيق من فرص الترقية أمامهم ، مالم يعمل المصنع على توفير برامج التدريب الداخلى . وفى دراسة مصنع الصلب السابقة تبين أن قلة عدد الخبراء الفنيين أدت إلى قلة مستويات الإشراف ، ومن ناحية أخرى ، ساد بينهم الاستياء لأنهم شعروا بضآلة ما يمكن أن يقدموه فى كيفية العمل ، بسبب تعقد عملياته الآلية . ويعتبر التنويع فى العمل من أحد نتائج الميكنة الصناعية ، ولكنه يتكون أيضاً فى مواقف أخرى ، بحيث يجعل من العمل مصدراً للاشباع . فلقد رأينا فى دراسة شركات البيع التجارى أن العمل فيها متكرر ومعمل ، مما يؤدى إلى انخفاض مستوى الاشباع لدى العاملين فيها ، وقد تبين أنهم لا يريدون لأطفالهم العمل فى عمل مشابه . فكيف يمكن تغيير هذه الأعمال بحيث تتحول إلى نشاط إنسانى مقبول ؟ من الممكن — أولا — تحقيق التنوع فى العمل إما عن طريق التنقل الدورى للعمال ، أو تنويع العمل نفسه بحيث يقوم كل عامل بعمليات مختلفة . وقد كشفت التجارب الميدانية فى الصناعة أن كل إجراء من الإجراءين السابقين يرفع نسبة الدخل ، ويقلل من نسبة الغياب ، ويزيد من درجة الإشباع(٣٨) .

ومن الممكن — ثانيا — تحويل الأعمال إلى أعمال « لها معنى » كأن نسمح للعامل بالقيام بعمل متكامل ، بحيث يكون متأكداً من قيمة عمله فى إنجاز العمل

ككل . وفى أثناء الحرب كان من الشائع عرض العمل على عمال الذخيرة من خلال الزيارات التى كان يقوم بها الطيارون وغيرهم لكى يبينوا لهم مدى الاعتماد المتبادل فى مصانع الإنتاج الحربى .

وقد بينت بعض الدراسات المبكرة أن مستوى الاشباع بين العمال المهرة وصل إلى أحسن حالاته ، عندما زادت فرصتهم للنجاح والشهرة من خلال عملهم .

مشاركة العمال : من المعروف أن الإفريقيين ، يقومون بأداء الأعمال اليدوية الوتيرية فى قراهم وهم سعداء ، كذلك الانجليز فى حدائقهم ، وفى الحلقات الدراسية ، دون توقع لحوافز الأجر . أما العمال الصناعيين فبالرغم من الأجور المرتفعة لأداء أعمال مشابهة فإنهم يشعرون بعدم الرضا والسخط . ولعل السبب الأساسى فى هذا أن العمل الذى يؤدونه يفتقر إلى المعنى ، وأن الهدف منه يكون غامضا لهم فى الغالب . وهناك سبب آخر يتمثل فى القدر الضئيل المسموح به للعامل الصناعى فى المشاركة فى إبداء الرأى فى العمل الذى يقوم به ، من حيث كيفية أدائه ، وزمن هذا الأداء ، ونوع العمل الذى يؤديه . ومن المعروف أن المشاركة فى اتخاذ القرارات تعمل على إثارة الدافع وإطلاق الطاقة الانتاجية للعمال . صحيح أن السبب فى هذا غير معروف ، لكن التجارب أثبتت أن العمال الذين يشاركون فى إتخاذ القرارات يعملون أكثر ، ويمكثون فى العمل وقتاً أطول(٢٩) . ومن الممكن تحقيق المشاركة باستخدام الأساليب الديمقراطية فى الاشراف ، والتى رأينا تأثيرها الفعال فى الانتاج . إلا أن مدى الموضوعات التى يسمح المشرفون للعمال بالمشاركة فيها بدأ يضيق ، وقد ساعدت الميكنة الصناعية ، ونظم العمل الفنية على هذا . أما بالنسبة للموضوعات التى تحتاج للمناقشة ، فيمكن مناقشتها فى اجتماعات استشارية يمثل فيها العمال . ويتفاوت نجاح هذا الأسلوب ، بسبب الاتجاه إلى إلى تأكيد الشكاوى (٣٠) .

وهناك طرق أخرى للتخلص من هذا الإغتراب . منها مثلا تقسيم الأرباح ، وبالرغم من تخلى حوالى ٦٠ ٪ من المؤسسات البريطانية عن هذا الأسلوب ، فإن هناك حماس زائد لها بمقارنتها بالأساليب الأخرى(٣١) . وهذا الأسلوب مثله فى ذلك مثل العلاوات الجمعية تزداد نسبة نجاحه عندما يكون العدد الكلى للأشخاص قليل . وتتمثل الوسيلة الثالثة لتحقيق المشاركة ، وتجنب الاغتراب فى إعطاء معلومات كافية عن الوضع الحالى للشركة ، وخططها فى المستقبل . إلا أن هذه المعلومات قد يتصورها العمال دعاية ما لم تكن لهم بعض الثقة فى الادارة .

ويزداد الرضا على العمل إذا استطاع العامل أن يشعر بأنه سيد مصيره ، وإذا استطاع أن يعمل بأقصى سرعته ، خلال الوقت المسموح به . ومن المصادر العامة للشكوى بين العمال من الأعمال الوتيرية : ضغط السرعة فى العمل الذى فرضته الآلات .

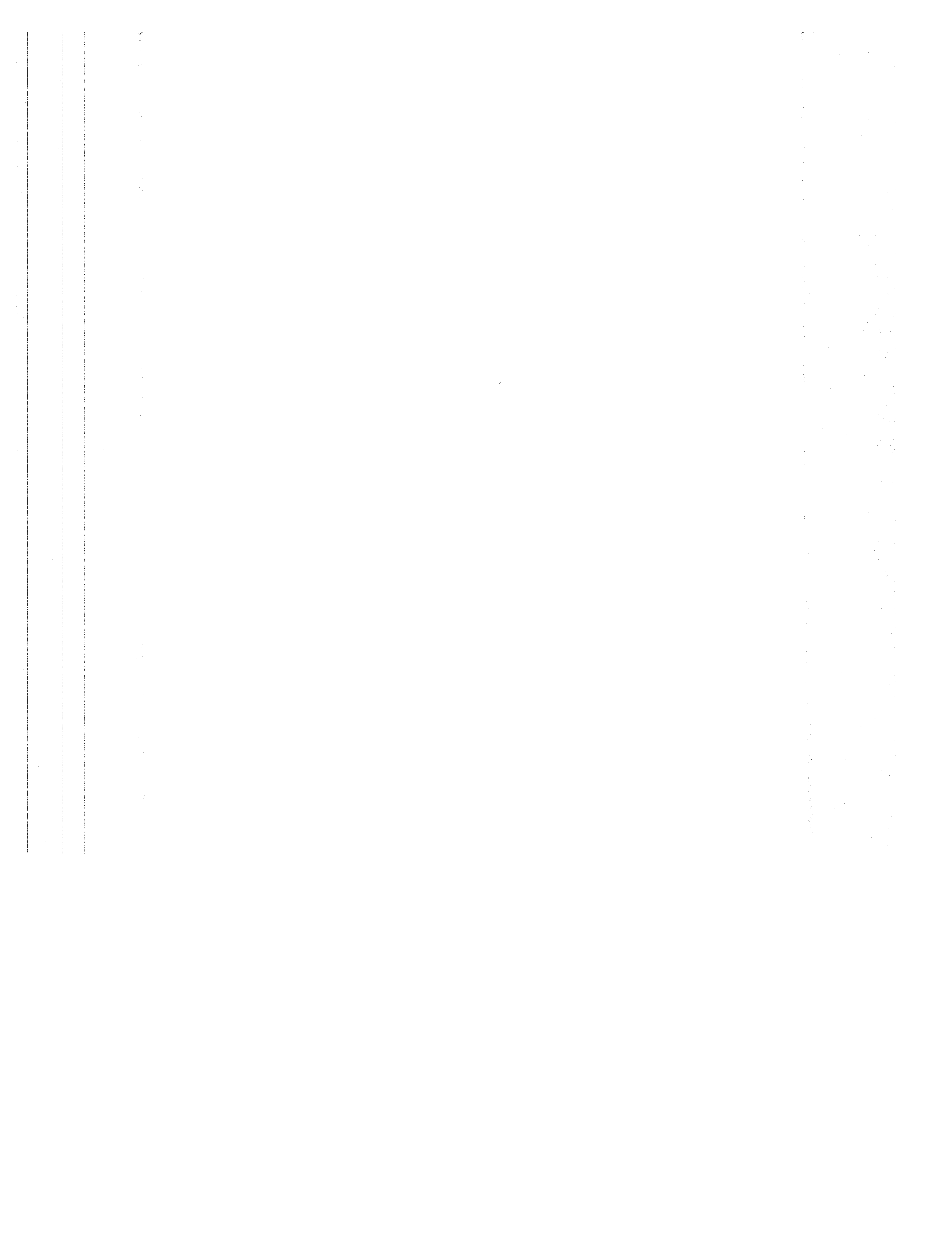
وتقوم الميكنة الصناعية على إزالة الكثير من عامل ضغط السرعة ، بما تحققه من ظروف للعمل تتجانس مع قدرات العمال المهرة ، والفنيين . صحيح أن من العسير السماح لعمال المصنع أن يختاروا ساعات العمل التى يحددونها . إلا أن قدراً من النجاح أمكن تحقيقه عندما كان يسمح للعمال الزراعيين الافريقيين بتحديد ساعات العمل ، وذلك دون إشراف ، وعلى أن تكون مكافآتهم حسب الانتاج .

الخلاصـــة

عرضنا لأهمية العوامل الانسانية فى كية الانتاج ، وتأثيراتها الضخمة فى الانتاج الكلى ، إذا أخذنا فى الاعتبار ، تأثيرات الغياب ، والانقطاع عن العمل ، فلا يكفى الاقتصار على الناحية التكنولوجية فى تنظيم خطط العمل ، وإنما يجب أيضاً الاهتمام بالعوامل الانسانية ، ولما كان الناس يقضون ما يقرب من نصف ساعات اليقظة فى العمل ، فإن من الضرورى أن يكون العمل مشبعا لهم ، وهذا وحده — منفصلا عن أى مزايا أخرى — كفيل باهتمام الادارة . وقد عرضنا لانخفاض مستوى الاشباع بين الأشخاص الذين يقومون بأعمال يدوية متكررة ، وناقشنا مختلف الطرق للتخلص منها . ولعـل من أهم الأعمال التى تواجه علماء النفس الإجتماعى والصناعى فى تلك الفترة هى أن يكتشفوا أهم الطرق لتنظيم هذه الأعمال حتى تصبح نشاطا إنسانيا مقبولا .

الجزء الثالث

عمليات الضبط الاجتماعى



الفصل التاسع

أساليب تنشئة الأطفال(*) وآثارها

سيتضح من هذا الفصل أن الطريقة التي يتعامل بها الناس مع أطفالهم تكون لها فيما بعد آثار ضخمة على جوانب معينة من الشخصية . وعلى هذا ، يستطيع المجتمع بتشجيع بعض أنواع أساليب التنشئة ، ورفض بعض الأنواع الأخرى أن يحد من عدد الجانحين ، والمرضى العقليين ، وأن يزيد من عدد الأشخاص السعداء ، والمؤثرين ، والمبدعين . بيد أن هذا لا يعنى — بالطبع — الدعوة إلى تشكيل الأشخاص للتوافق للمجتمع كما هو عليه ، لأن بذور الإصلاح والتقدم الاجتماعى تكمن فى واقع الأمر فى الإحساس بعدم الرضا .

وتعكس طريقة تنشئة الأطفال — إلى حد ما — طابع المجتمع ، بحيث يكون هناك تطابق بين الشخصية المتشكلة وطريقة الحياة فى المجتمع . فالقبيلة المحبة للحرب تدرب أطفالها على السلوك العدوانى ، والمجتمع التسلطى يدرب صغاره على احترام السلطة ... وهكذا . أما الأطفال الذين لا ينشأون بهذه الطريقة فهم الذين يتجهون فيما بعد إلى عدم التوافق والإنحراف . وبهذا يمكن أن يتشكل الاختلاف والتنوع بين المجتمعات الإنسانية بحسب أساليب تنشئة الأطفال التى يشجعها هذا المجتمع أو ذاك . وتتجه السياسة العامة فى تدريب الأطفال — إذن — نحو إعداد الأشخاص للتكيف لإحدى حالات المجتمع فى المستقبل وليس لحالته الحاضرة . فإذا تقرر مثلا القضاء على العدوان العنصرى فى مجتمع ما

(*) Chid—rearing techniques

فإن من الضرورى عدم تشجيع طرق التطبيع الإجتماعى التى تؤكده . وبالعكس من الممكن تشجيع طرق التطبيع المناسبة لتحويل مجتمع معين إلى مجتمع مسالم ، متعاون ، غير طبقى .

وتخضع تنشئة الأطفال فى الوقت الحاضر لمؤثرات عدة منها : شخصية الوالدين ، والأفكار الدارجة التى تروج لها المجلات التقليدية ، وكتب الأطفال وغيرها من الأوهام الشائعة التى تتكون بطريق المحاولة والخطأ . وتعتبر النصيحة التى تقدمها تلك المطبوعات ظاهرة ملفتة فى حد ذاتها . فغالباً ما تتوجه بالنصيحة للأمهات الصغيرات بأن لا يلجأن إلا إلى كتاب واحد من كتب تربية الطفل لأنها تختلف فيما بينها كثيراً مما قد يربك الام . إلا أن ، اتجاهات التطبيع الإجتماعى(*) ، والأساليب الموصوفة تتشابه ، تشابهاً كبيراً فى الفترة الزمنية الواحدة ، والطبقة الإجتماعية ، والدولة . صحيح أن هذا الرأى لا تعكسه معطيات البحث التجريبى ، لكنه يتطابق مع النمط السائد ، وقد تبين أن التدريبات الموصى فيها تتغير تغيراً شديداً من فترة إلى أخرى .

وتبين الاستقصاءات العملية لأساليب تنشئة الأطفال أنها تتقلب بسرعة . ففى الولايات المتحدة الأمريكية تبين[1] أن الوالدين فى الطبقات المتوسطة قد أصبحوا فى الخمسة والعشرين سنة الماضية أكثر تسامحاً ، وخضوعاً . بينما أصبح الوالدان فى الطبقات العاملة أكثر تشابهاً بالوالدين فى الطبقات المتوسطة من حيث التسامح وضعف الاهتمام بالطاعة ، والعقاب ، وتأكيد النظام . ومن المرجح أن تكون هذه التغيرات بسبب تأثير الكتاب من أمثال الدكتور بنيامين سبوك Penjamin Spock ، [2] ولو أن هذا لم يتأكد بعد .

(*) Socialisation

مشكلات البحث فى التطبيع الاجتماعى

يستند البحث فى تأثيرات أساليب التطبيع عامة على بيان **العلاقة بين سلوك الأبوين وشخصية الطفل فى عدد كبير من الأسر** . وكمثال على هذه الدراسة التى قام بها « سيرز » ، « وماكوبى » ، « وليفين » Sears, Maccoby and Lewin على ٣٧٩ من الأمهات لأطفال فى الخامسة من العمر(٣) حيث قام الباحثون بإجراء الاستبارات المطولة التى تدور حول أساليبهم فى التنشئة ، وسلوك الأطفال ، لكن المقارنة بين هذين المتغيرين فى هذه الدراسة اعتمدت على نفس المصدر (وهو آراء الأمهات) ، بحيث قد يؤدى هذا إلى زيف العلاقات المستخلصة . وقد تجنب « جلوك » Glueck هذا الأسلوب فى دراسته التى أجراها على ألف شخص بين الحادية عشرة ، والسادسة عشرة ، والتى عرضنا لها فى الفصل الخامس . وتوجد صعوبات أخرى متعددة فى استخدام هذا الأسلوب لم يمكن التغلب عليها وتتمثل **الصعوبة الأولى** فى أن العلاقات بين سلوك الوالدين والأطفال قد ترجع إلى العوامل الوراثية أكثر من العوامل البيئية : صحيح أن ممارسة العقاب الجسمى ترتبط بالنزعة العدوانية لدى الطفل ، لكنها قد ترجع إلى نزعة عدوانية موروثة ، ويمكن تحاشى هذا بدراسة الأطفال الذين ينشأون لوالدين بالتبنى .

والصعوبة **الثانية** فى هذا الأسلوب أن استجابة الوالدين لأطفالهم تتوقف على نزعاتهم العدوانية نحوهم(٤) ، وما نشاهده فى الحقيقة قد يكون علاقة وثيقة تنمو بين السلوكين ، يساهم فيها السلوكان بأنصبة متعادلة . ولا توجد بحوث — بعد — فى هذا المجال نستطيع التغلب على هذا العيب ، لكن من المسلم به على أية حال أن تأثير الوالدين على الطفل أكبر بكثير من تأثير الطفل على الوالدين .

وأجريت بعض الدراسات على الاطفال الصــغار بنفس الأسلوب السابق . وبالرغم من ميزة استخدام الوالدين التي تتبدى في قدرتهم على التقرير الدقيق لأساليب التنشئة التي يستخدمونها مع أطفالهم في السنوات المبـكرة ، فإن هذا لا يضمن أن تظل شخصية الطفل دائما متأثرة بهذه الأساليب ، وهذا مالا تحققه لنا دراسة الأطفال الصغار . أما الاتجاه لدراسة الطلاب الـكبار فلا يخلون بدوره من العيوب ، فالوالدان لا يستطيعان التذكر الدقيق لـما كان يحدث منذ خمسة عشر عاما . وهناك حلان مقنعان لهذا هما القيام بدراسات تتبعية(*) ، والدراسات على الأطفال بين التاسعة والثانية عشرة ، لأن الشخصية في هذه الأحوال تـكون قد ثبتت نسبيا ، كما يستطيع الوالدان أن يتذكرا بدقة أساليب التنشئة التي كانا يستخدمانها معهم .

وهناك مسألة أخرى يصعب الاجابة عنها ، بالرغم من أهميتها الشديدة . وهي مشكلة الوقت الذي يحدث فيه تأثير أنماط التدريب . فمثلا نجد أن المحللين النفسيين يؤكدون بأن الشخصية تكتسب أساسا خلال الأعوام الخمسة الأولى من الحياة . ولـكن هذا غير صحيح ، لأن الوالدين يعاملان أطفالهما في مختلف سنوات العمر بطريقة متشابهة ، وعلى هذا فإن نشأة أي علاقة بين شيئين (كالعقاب الجسمي والعدوان) يمـكن أن تحدث في أي فترة من فترات العمر ، وللحقيقة فإن الدراسات الراهنة المتعددة عن تأثيرات الرضاعة المبـكرة ، والتــدريب على عمليات الإخراج — وهما التأثيران الأثيران لدى زمرة المحللين النفسيين — تُبين أن تأثير هذه الأشياء محدود للغاية . والجانب الوحيد من الخبرة المبـكرة المؤثرة هو الالتصاق الجسمي بالأم ، أو — الأم — البديلة خلال العامين الأولين .

(*) Follow up Studies

وسنعرض فيما يلي للمعطيات الأساسية عن تأثيرات الأساليب المختلفة من التنشئة الطفلية . وقد تأكدت الغالبية العظمى من هذه المعطيات ، وثبت بعضها تماماً . وعلى سبيل المثال تبين دراسة « جلوك » أن ٦٠ ٪ من الجانحين تعرضوا للرفض من جهة الأب في مقابل ١٦ ٪ من المجموعة الضابطة . صحيح أن النسبة لم تبلغ ١٠٠ ٪ ، لكن اتخاذ متغيرات أخرى في الاعتبار سيؤدى إلى تنبؤات جيدة عن شخصية الطفل . ويحدث التفاعل بين المتغيرات في بعض الاحيان بطريقة معقدة ، بحيث لا تستطيع الإرتباطات العادية الكشف عنها بكفاءة . فقد لا تحدث علاقة **السبب بالنتيجة** إلى في ظروف معينة : كالقيم الخاصة ، والاتجاهات وغيرها . وقد تبين على سبيل المثال « لسيرز Sears » وآخرين(٣) أن أسلوب التدريب القائم على التهديد بسحب الحب يؤدى إلى تكوين الضمير بشرط وجود علاقة دافئة بين الوالدين والطفل . وقد قام الكاتب بتصميم بحثين جديدين للكشف عن هذا النوع من النتائج(٥) . إن وجود هذا النوع من العلاقة بين الوالدين والطفل يبين أن الوالدين يستخدمان أساليب متنوعة للحصول على نفس النتيجة ، بالاعتماد على عوامل كترتيب الطفل بين إخوته ، والجنس ، والبناء الجسمي ... وهكذا .

وقد فشلت غالبية البحوث المبكرة التي اهتمت بدور الاسرة على تكوين الاضطراب العقلي في الحصول على مجموعات ضابطة من غير المرضى . لهذا فإن كثيراً من نتائج البحوث المبكرة يجب التخلي عنها . فقد تتشابه أساليب الاسوياء مع غيرهم . وعلى سبيل المثال بينت البحوث أن الفصاميين يولدون لأمهات مفرطات في الرعاية(*) ولكن لم يتبين وجود فروق دالة على هذا الإتجاه بعد استخدام مجموعات ضابطة .

(*) Overprotectiog .

التأثيرات الرئيسية لأساليب تنشئة الأطفال(*)

من المعروف الآن اعتماداً على نتائج التحليل العاملى ونتائج البحث فى تأثير الوالدين على الشخصية أن هناك أبعاداً معينة من شخصية الوالدين ذات أهمية أكبر من غيرها . وسنجمع نتائج البحوث فى هذا المجال فى مجموعات بحسب تلك الأبعاد . وفى داخل إطار كل بعد من أبعاد السلوك الوالدى نستعرض لتأثيره على السمات العامة للشخصية ، ونعقب عليه بتلخيص لتأثيراته على الجناح والصحة العقلية .

١ — العلاقات المبكرة بالأم :

إن العلاقة المبكرة الأولى التى يكونها الطفل تعتمد على أمه . وقد بينت الدراسات أن الأطفال — الذئاب ، والاطفال الذين نشأوا فى مؤسسات مع إناث غير لائقات ، غالباً ما يتكون لديهم إتجاه لا مبالى نحو البالغين . ومن المرجح أن تزداد فاعلية هذه العلاقة فى الفترة الأولى التى تتراوح ما بين ٦ : ١٨ شهراً ، فإذا لم تتكون فى تلك الفترة ، فإنه يصعب تماماً تكوينها فى فترة تالية . وفى هذه الفترة غالباً ما تتكون بذور الكثير من الجوانب السلوكية والتى منها : **دافع الانتماء والحاجة للتقبل ، وتكوين علاقات وثيقة بالآخرين** . وهناك دليل على أن طول فترة الرضاعة من الثدى تؤدى فيما بعد إلى زيادة الميول الاجتماعية ، كما وجد أن الاستجابات الانتمائية تزداد لدى الاطفال البكريين ، والوحيدين فى فترات القلق ، ربما لأن مساعدة الأمهات لهن كانت تتم فى حالات شعورهم بالقلق أو الضيق ، بما يؤدى إلى تكوين رابطة بين المواقف الإجتماعية ، وحالات

(*) يمكن الرجوع أيضاً للمراجع ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ للاشارة إلى هذا الموضوع ، وسنشير هنا إلى المراجع التى لم ترد فى هذه الكتب بشكل منفصل .

تخفيض القلق (الفصل الثانى) . ويتجه الدافع للانتماء أساساً نحو أشخاص آخرين من نفس العمر ، وليس للنساء المسنات ، مما يدل على أن له أصولا أخرى أيضاً .

أما الفرض بأن الحرمان المبكر من رعاية الأم يؤدى إلى الانحراف السيكوباتى ، والجناح ، والتبلد الوجدانى ، أو التأخر العقلى ، فقد لقى كثيراً من البحوث . ولا شك أن الانفصال المؤقت فيما بين ١٥ ، ٣٠ شهراً يؤدى إلى نشأة استجابات المعارضة ، واليأس ، والانفراد ، وإلى انخفاض فى نسبة الذكاء . ولو أن من المشكوك فيه تحديد مدى استمرار هذه التأثيرات ، لأن كثيراً من الأطفال سرعان ما يشفون تماماً بعد العودة للأم .

فضلا عن هذا ، فإن هذه التأثيرات قد لا تحدث فى حالة وجود أم — بديلة فقد وجد لويس Lewis أن الانفصال الطويل الذى يبدأ قبل العامين الأوليين يرتبط بالاضطرابات التالية فى الشخصية ، ولو أن آثار التبلد الوجدانى لم تظهر فى هؤلاء الأشخاص . كما لم يظهر أى نمط من الاضطراب ، وبعض الأنماط التى ظهرت كانت سوية[١٠] . ومن المتفق عليه بين العلماء بأن فرض الحرمان من الأم قد بولغ من شأنه ، وأنه لا يؤدى إلى الانحراف السيكوباتى أو التبليد الوجدانى إلا فى حالات ضئيلة ، وتحت ظروف خاصة .

٢ — أساليب التغذية المبكرة والتدريب على الإخراج :

تفترض نظرية التحليل النفسى بأن خبرات أساليب التغذية المبكرة تؤثر فى تكوين الشخصية . وذلك بالرغم من عدم اتساق النتائج المستخلصة عن تأثيرات طول فترة الرضاعة من الثدى وتنظيم الرضاعة على الشخصية محدود ، باستثناء تأثيرها على دافع الإنتماء كما أشرنا . وهناك بعض الدلائل أيضاً على أن

الأطفال الذين تقل فرصتهم من الرضاعة — إما من الثدى أو من الرضاعات الأخرى الصناعية — غالباً ما يزداد ميلهم فيما بعد لمص الأصابع .

ويقال أن الخبرات الصدمية المبكرة فى عمليات الأخراج — فى ضوء النظرية الفرويدية تؤدى إلى تشكيل الخلق الشرجى الذى يتبدى فى مظاهر الميل إلى البخل والمبالغة فى النظام ، والنظافة ، والدقة ... الخ . وقد بينت بضعة دراسات أن هذه النتائج غير صحيحة ، ولكن هناك دليل على أن القسوة فى التدريب على الإخراج تؤدى إلى النزعة العدوانية ، والميل إلى المبالغة(*) . وتشير البحوث فى هذا المجال إلى أن التدريب على الإخراج يمكن أن يتم بيسر ، ودون ردود فعل سيئة إذا كان الطفل متقدماً فى السن بصورة تسمح له بفهم التعليمات المناسبة .

٣ — الدفء والتقبل(**) :

يبدو أن هذا البعد — المعارض للبرود والرفض — من أكثر الجوانب تأثيراً فى تنشئة الطفل. وتبين البحوث أنه بعد عام من أبعاد سلوك الأم ، ويتضمن فى حالتها الإشارة إلى نزعتها إلى **المشاركة الوجدانية ، وقضاء وقت طويل فى اللعب مع الطفل ، واستخدام التشجيع ، والتفكير الاستنتاجى فى فرض النظام** (٣) . ولعل أول وأهم تأثير للدفء هو اتجاه الطفل للتوحد الأعمق بالوالدين وإتخاذه نماذج يحاكيها فى حياته . ومن أهم مظاهر التعبير عن هذا الجانب فى **حالة الآباء** ، مقدار الوقت الذى يقضيه الأب فى المنزل .

ويرتهن حدوث التوحد باتجاه الطفل إلى تبنى معتقدات والديه واتجاهاتهم فضلا عن أنماطهم الدافعية ، وسلوكهم الاجتماعى . وعندما يحدث التوحد بأحد

(*) Exaggeration

(**) Warmth and acceptance

الوالدين من نفس الجنس — كما هو شائع — فإن الطفــل يتجه لتبنى الدور الجنسى المناسب بما فيه النزعة إلى العدوان كما فى حالة الأطفال الذكور . ويؤدى الدفء والتقبل من جانب الأبوين إلى تكوين عدد من سمات الشخصية المرغوب فيها : كقوة الضمير ، والمشاركة ، والدافع الانتمائى[١١] . أما الرفض فيؤدى إلى النزعة الإعتمادية بين الأطفال الصغار ، وفى حالة الأولاد الذكور لا يؤدى إلى فشل عملية التوحد وحسب ، ولكن إلى زيادة فى نزعات العداوة نحو البالغين بشكل عام .

ويعتبر الرفض من أهم مصادر حدوث الجناح . ويعتبر رفض الأب للطفل من المؤشرات القوية فى حدوث الجناح ، فـ ٦٠ ٪ من الجانحين يعاملهم أباؤهم بهذا الأسلوب[١٤] . والرفض أيضاً من أهم مصادر النزعة العدوانية بين عينات من الأشخاص غير الجانحين . ويؤدى الحرمان المبكر من رعاية الأم إلى حدوث الميول السيكوباثية ، ويحدث هذا غالباً فى العام الخامس . بيد أن مجرد الإهمال البسيط ، وعدم الإهتمام لا يعتبرا السبب الأساسى فى اضطرابات الشخصية ، ولكنهما يتركان الطفل فى بعض المناطق تحت تأثير عصابات الجانحين (الفصل الخامس) .

وتتحسن الصحة العقلية إذا كانت علاقة الأطفال بوالديهم طيبة ، وإذا توحدوا بأحد الوالدين من نفس الجنس . فالأولاد الذين تتوثق علاقتهم بالأم دون الأب ، يتحولون فى كثير من الأحيان إلى مستجنسين(*) . وقد وجد أن العصابيين قد تعرضوا إما لرفض الوالدين ، أو للصراع معهما بصورة أكثر من الأسوياء . وتعتمد المحصلة النهائية للرفض على الاستعدادات الوراثية لدى الطفل وعلى جوانب أخرى من مواقف التنشئة .

(*) Homosexuals

٤ — التزمت فى مقابل التساهل :

بعد آخر من أبعاد السلوك الوالدى ، وله أيضاً تأثيرات ضخمة على الطفل . ويتضمن التزمت الميل إلى فرض الطاعة ، والأدب مع عدم التساهل عن التعبير العدوانى واللعب الجنسى . ويعتبر النظام القائم على الصلابة والاتساق عامل هام من عوامل تكوين الضمير . فإذا زاد التزمت فى فرض هذا الأسلوب فإن الطفل لا يتحول إلى إنسان شديد الطاعة وحسب ، بل إلى شخص تزداد لديه مشاعر الذنب ، والقلق ، والضبط الشديد للنفس . أما الأطفال الذين ينشأون فى جو ليبرالى متسامح فإن احترامهم للسلطة أقل ، لكنهم أميل إلى الانطلاق ، كما أن جاذبيتهم الاجتماعية لدى زملائهم تزداد . وينتشر النمط المتزمت من التنشئة فى الأسر الأوربية من الطبقة المتوسطة ، ويؤدى إلى تكوين النمط المتجه للاخر (١٢) أما الأطفال الذين ينشأون بطريقة مسيطرة ، مبالغة فى الحماية والقوة ، فغالباً ما يتحولون إلى اعتماديين ، ضعيفى التأثير . ويؤدى الأسلوب التسلطى فى التنشئة إلى تعلق مصطنع بالوالدين ، وإلى طاعة السلطة ، غير أن حبهم للقوة أيضا يزداد مما يؤدى إلى ظهور الأنماط التسلطية فى سلوكهم نفسه فيما بعد (الفصل الثانى) .

وتبين دراسات الجانحين أن بعضهم كان يلقى أسلوبا من التنشئة الوالدية شديد الضعف ، أو عديم الاتساق : وهذا البعض من فئة الجناح الاجتماعى الكاذب فيما يبدو (الفصل الخامس) . وهناك مجموعة أخرى من الجانحين تضم الأطفال المشكلين ، والعدوانيين ، والسيكوباتيين ، وهؤلاء كانوا يلقون أسلوباً شديد الصرامة والتزمت . وتزداد النزعة العدوانية ، عندما يسمح الوالدان بالتعبير عن هذا السلوك ثم يعاقبان الطفل جسميا بعد ظهوره . ويتمثل كل النجاح الذى يحرزه هذا العقاب فى تحويل النزعة العدوانية ، ولكن بصورة عنيفة نحو العالم الخارجى بدلا من المنزل (الفصل الرابع) .

ويرتبط الاضطراب العقلى بالتزمت الشديد فى التنشئة ويعتبر القلق العصابى حالة متطرفة من حالات الضبط الشديد المرتبطة بالتنشئة المتزمتة . كذلك ترتبط الهستيريا ، والاضطرابات السيكوسوماتية ، خاصة بين النساء ، بتاريخ طويل من التنشئة القائمة على الرعاية المفرطة من جانب الأم .

٥ — أساليب تنظيم السلوك :

وهى تتضمن الاشارة إلى بعض مظاهر ضبط السلوك مثل إيقاع العقاب الجسمى ، والتهديد بسحب الحب (كعقاب نفسى) ، والتشجيع ، والمكافأة ، وأساليب الاقناع العقلى .

فالعقاب الجسمى يستطيع أن يوقف السلوك فى داخل المنزل ، لكن تأثيره ضعيف فى المواقف الخارجية : فالجزاءات المباشرة قادرة على ضبط السلوك ، لكن تأثيرها فى استمرار التعلم ضعيف . فضلا عن هذا فهى لا توضح للطفل ما يجب أن يفعله ، وما لا يفعله ، وقد وجد أن فاعلية العقاب الجسمى فى ضبط السلوك تزداد عندما يكون مصحوبا بالاقناع العقلى ، وإذا كانت العلاقة بين الوالدين والطفل دافئة[٣] ، ويزداد احتمال التوحد بالوالدين عندما يزداد التوازن بين أساليب الثواب أكثر من العقاب . ويعتبر **الثواب الوجدانى** الشكل الوحيد القادر على تنمية دوافع التحصيل ، أما الثناء والمكافآت المادية فليس لها آثار تذكر على تنمية هذا الدافع ، ويؤدى **العقاب الوجدانى** — أى العقاب بالتهديد بسحب الحب — إلى تكوين أنا أعلى تقليدى يقوم على امتصاص بصمة قواعد سلوكية متصلبة ، مع ميل إلى الشعور بالذنب عند خرق هذه القواعد ، وتحدث هذه النتيجة عندما تكون العلاقة بالوالدين دافئة ، واعتمادية .

وقد وجد أن الجانحين يتعرضون فى طفولتهم للعقاب الجسمى أكثر من الأطفال الآخرين ، خاصة المضطربون منهم ، والمرتفعون فى النزعة العدوانية . كما

أن خبرات الاقناع العقلى فى حياتهم ضئيلة ، وترتبط النزعة العدوانية خارج المنزل إيجابيا باستخدام أساليب العقاب الجسمى خاصة العقاب الجسمى للعدوان . فالآباء الذين يكثرون من العقاب يمنحون الطفل نموذجاً عدوانيا ، ويخلقون إغراء أقوى بالعدوان (الفصل الرابع) ويرتبط الاضطراب العقلى — من جهة أخرى — باستخدام أساليب التنظيم السيكولوجى[١٣] ، ويظهر هذا بشكل خاص فى حالة عصاب القلق .

٦ — توافق الأسرة وتماسكها :

ويتضمن هذا العامل الاشارة إلى روابط الاتفاق ، والتعبير الوجدانى بين الوالدين ، فى مقابل زيادة الصراع ، أو غياب أحد الوالدين ، أو أى اضطراب آخر ، وتؤدى الأسرة المتوافقة ، المتماسكة إلى نمو جيد فى شخصية الطفل فى كل الاتجاهات . وإذا كانت الأم تشجع طفلها على التوحد بأبيه ، فإن من شأن هذا التشجيع أن يسرع بحدوث التوحد .

وتزداد نسبة الجنوح بين الأولاد الذين لم يتمكنوا من التوحد الجيد بالآباء ، وكذلك بين الأولاد الذين يعيشون فى أسر غير متماسكة . وتبين إحدى الدراسات أن انتماء الشخص لأسرة لا تقوم بالنزعات الخارجية من أقوى المؤشرات على حدوث الجناح فى المستقبل[١٤] . أما تأثير الانهيار - الأسرى على حدوث الجناح فأمر مألوف ، ولو أن الدراسات المبكرة قد بالغت من شأنه : فنسبة الجانحين — كما تبين الدراسات الانجليزية المكثفة — الذين قدموا من أسر منهارة تصل إلى ٢٨٪ فى مقابل ١٦٪ من العينات الضابطة[١٥] وهناك بعض الدلائل على أن تأثير الصراع المنزلى أسوأ من تأثير غياب أحد الوالدين[١٣] . فغياب الأب يؤدى فقط إلى مجرد التهاون فى فرض قواعد تنظيم السلوك ، أو يؤدى إلى اختفاء النموذج الذكرى بما يزيد من خطر حدوث النزعات الاستجناسية

أما العصاب فيحدث جزئيا بسبب عدم الاستقرار فى الحياة الأسرية ، خاصة الصراع بين الوالدين ، أو التنقل المستمر للاسرة . ونسبة العصابيين التى تنتمى إلى منازل منهارة تزيد أيضا عن العينات الضابطة . أما الأسر العصابية فهى تتميز بالعزلة ، حيث تؤدى العلاقات فى داخل الأسرة المضطربة إلى مشكلات متعلقة بنمو الذاتية ، وحيث يفشل الأطفال فى اكتساب المهارات الاجتماعية الملائمة (الفصل السادس) . وعندما تنهار الأسرة بسبب أحد الوالدين ، فإن احتمال حدوث بعض الاضطرابات يزداد . وتأثير وفاة الأم فيما بين الثامنة والعاشرة أسوأ من تأثير وفاة الأب ، ويؤدى غالباً إلى حدوث حالات الاكتئاب ، والاضطرابات السيكوسوماتية[١٦] .

٧ — **ترتيب الميلاد وحجم الأسرة :**

وقد أكد أدلر Adler أهمية هذا الجانب ، لكن الدراسات التالية بينت أن أثاره ضئيلة ، وتحدث بطرق تختلف عن التوقعات السابقة . فالطفل الوحيد ، والطفل الأول يتجه إلى الآخرين فى حالات القلق ، وكمثال يؤيد هذا نجاح العلاج النفسى معهم ، واتجاههم إليه[١٠] ، والجانحون عادة هم من بين الأطفال المتأخرين فى ترتيب الميلاد . ولا يوجد ما يدل على أن الأطفال البكريين تزداد نسبة العصاب بينهم — لكن الشكاوى السيكوسوماتية هى من أهم الخصائص التى تميزهم .

وستزداد خصوبة البحث فى هذا المجال إذا ما أخذنا فى الحساب بعض الجوانب التفصيلية فى بناء الأسرة . فقد تبين على سبيل المثال أن فرصة دخول الجامعة ، والتفوق فيها تبلغ الضعف فى حالة الأشخاص الذين لهم إخوة صغار وعلاقتهم بالوالدين وثيقة بالمقارنة بالاخوة الصغار[١٧] . ولعل السبب فى هذا أن الأخوة الصغار غالبا مالا يتجهون إلى المنافسة التحصيلية مع الاخوة الكبار بل يتجهون إلى جوانب أخرى يحصلون منها على النجاح ، وذلك كالألعاب الرياضية أو الجريمة .

تعديل طرق التطبيع

رأينا أن العادات المتعلقة بتنشئة الاطفال تتغير تغيراً سريعاً . فهل يمكن تعديل هذه العادات ، وأن نقلل من نسبة المصابيين ، والجانحين ، والتعساء فى المجتمع ؟ وهناك تجربة كان يحاول فيها المجرب — وهو طبيب فى عيادة للاطفال — أن يقنع خمسين أما بأن يرضعن أطفالهن بطريقة أكثر تساهلا ، وذلك لأن جميع الأطفال كانت لهم مشكلات متعلقة بالرضاعة ، مرجعها التشدد فى الرضاعة . وقد قامت أربعة وعشرون أماً بتنفيذ الطريقة الجديدة ، لكن ثمانية منهن فقط تبنينها تبنياً كاملا . وقد بينت الاستبارات أن الأمهات اللائى عارضن الطريقة الجديدة قد تعرضن لدعاية مضادة ، أو أن أزواجهن كانوا يعارضون هذه الطرق[١٨] .

ومن المرجح أن الدعاية فى المجلات النسائيه ، والتليفزيون يمكن أن تعدل من أساليب التنشئة الطفلية إلى حد ما ، مثلها فى ذلك مثل بعض الاتجاهات وجوانب السلوك (الفصل الثالث عشر) ، ويمكن أن يتجه جزء كبير من الدعاية — فى هذه الحالة — إلى معايير التنشئة التى تتقاسمها جماعة الأمهات من الجيران . فهذا المصدر من أهم مصادر تبادل الحديث والمعلومات ، ويحد من زيادة فاعلية أساليب الدعاية وجود دوافع قوية لدى الأباء لكى ينشئوا أطفالهم بطرق معينة . **فرفض الدور الابوى** على سبيل المثال — يؤدى إلى رفض الطفل[٣] ، **والتسلطية** تدفع إلى التنظيم المتشدد ، **والعدوان** يدفع إلى استخدام العقاب الجسمى وهكذا . ومع ذلك فإن فاعلية التأثير تزداد إذا استطاع الإخصائيون وأطباء الأطفال أن يقدموا للوالدين النصيحة واضحة عن أهمية بعض جوانب أساليب التطبيع الاجتماعى . ويؤدى الجمع بين هذا الأسلوب وأساليب الاتصال الجسمى الأخرى إلى تحسن واضح وأكيد فى معايير التنشئة .

الفصل العاشر

التطبيع الاجتماعي للراشدين

« ثلاثة أنواع من التعلم »

يورث جزء من الشخصية والاتجاهات والمعتقدات ويكتسب جزء آخر من خلال عملية التطبيع الإجتماعي . وببلوغ العشرين تكون أساليب الشخص السلوكية قد ثبتت نسبياً . بيد أن تعديل هذا الأسلوب يتم بعد البلوغ من خلال كثير من الخبرات التدريبية والتي منها مثلا : العلاج النفسي ، وعمليات غسيل المخ ، والدخول في حياة العمل . ولم يمكن لنا حتى الآن أن نفهم آليات(*) التعلم المسئولة عن هذا فهماً كاملا ، بسبب تلك الهوة بين الدراسات العملية للتعلم ، وتلك الخبرات . غير أن هناك ثلاث عمليات للتعلم يتفق السيكولوجيون على تأكيد دورها في تفسير كثير من الوقائع . وسنعرض لتلك العمليات أولا ، مع الإشارة للشروط التي تؤدي إلى زيادة فاعليتها . ويتلو هذا عرض لأنواع خاصة من التطبيع الإجتماعي للبالغين .

١ - التعلم الأدائي :(**)

عرض علماء النفس الحيواني لهذا النوع من التعلم في فترة مبكرة كنتيجة لمبدأ الثواب والعقاب (الفصل الأول) ، وقد بينت عدة تجارب أن مقدار التعلم

(*) Mechanisms

(**) Instrumental Learning.

يتوقف على عوامل منها : التقديم الفورى للثواب (أو العقاب) ، وعدد المحاولات ومقدار الإثابة ، وقوة الدافع[١] . والصعوبة العملية الأساسية فى هذا الأسلوب أن الـكائن الحى قد يقوم بالإجابة الصحيحة ، قبل إثابته وقبل أن تبدأ عملية التعلم. والحل لهذه المعضلة يتم بإثابة الحركات التى تقود إلى الاتجاه الصحيح مهما بدت صغيرة أو تافهة ، على أن توقف الإثابة فى المرات التالية ما لم يتم الـكائن بأداء الفعل المناسب . وبهذه الطريقة أمـكن للحمام فى تجارب « كلارك هل » أن يتعلم أداء سلسلة من السلوك ذات قدر مرتفع من التعقيد[٢] .

وقد طبق هذا النوع من أساليب التدريب فى مجال هام من مجالات التطبيق وهو المجال الذى يتعلق بتطوير « أجهزة التعليم » والمبدأ الأساسى الذى تقوم عليه هـــذه الأجهزة أن الشخص الذى يقوم بالتعلم يتلقى الإثابة المناسبة إذا كانت استجابته صحيحة ، وعليه أن يتجه بعد هذا إلى مواقف من الإختبار ذات صعوبة أشد . وتقوم أحد هذه الأجهزة بعرض بطاقة من إحدى الفتحات ، ويقرأ التلميذ المعلومات المسجلة على هذه البطاقة . وعليه بعد هذا أن يجيب من سؤال بسيط يتعلق بالمـادة المسجلة على البطاقة وتدعم إجابته إذا كانت صحيحة بأن يطلب منه الإتجاه إلى قراءة البطاقة التالية . أما إذا كانت إجابته خاطئة فإنه يعاد إلى الأجزاء الأولى من السلسلة . وتشتمل التجربة على عدد كبير من البطاقات المتدرجة بعناية وفى تسلسل منطقى ، لـكى يتعلمها التلميذ بأقصى سرعته . إلا أن هذا المثال لا يعتبر مثالا نقياً للتعلم الأدائى ، لأن التلميذ يحصل على قدر من **التبصر المعرفى** بالمـادة . وتوجد أجهزة أخرى لتعليم الإيقاع ، وتمييز الأشكال ، والموسيقى ، والتدريب على الإستدلال . كما يمـكن تعلم الموضوعات الأكاديمية ، كعلم النفس ، أو الإحصاء ، باستخدام سلاسل من البطاقات بالشكل السابق ، أو باستخدام « كتب تعليمية » : تتضمن كل صفحة فيها درساً قصيراً يتلوه سؤال ، بترتيب مشابه للبطاقات . وقد وجد أن التعلم بهذه الطريقة يـكون أسرع من الطرق التقليدية

فى التدريس ، وأن الطالب يقوم بجهد أكبر . كما أنهم يعملون بسرعات متفاوتة صحيح أنهم جميعاً يصلون فى النهاية إلى التعلم الصحيح ، لكن بعضهم يصل وينتقل إلى الأعمال التالية أسرع من الآخرين[٢] . ويختلف دور المدرس تماماً ، إذ يتجه إهتمامه إلى توجيه النصيحة ، وتنسيق العمل وكتابة البرامج بالطبع .

وننتقل الآن إلى جانب هام من جوانب تطبيق التعلم الأدائى فى مجال السلوك الإجتماعى ، أى **تشريط السلوك اللفظى** (الفصل الثالث) . فمثلا يوضع الشخص فى موقف بحيث يمكن فى خلال خمس دقائق من تغيير شيوع استخدام الضمير « أنا » . فيها يتم أيضاً إستبدال استجابة باستجابة أخرى دون وعى بعد نمط من التدعيمات . وفى هذه الحالة ، يكون التعلم وقتيا فحسب ، كما يمكن عكس إتجاه التأثير خلال جزء تال من المناقشة . إلا أن التدعيمات إذا كانت متسقة وكثيرة فإنها تؤدى إلى تغييرات ثابتة فى الشخصية ، وتعتبر هذه العملية ، من العمليات الرئيسية فى تشكيل الشخصية .

والمجال الثانى من مجالات تطبيق التعلم الأدائى : **العلاج السلوكى** (الفصل السادس) ، فمثلا يؤدى استخدام العقاب أكثر من الثواب بإصابة المريض بحالة من الغثيان بعد شرب الخمر فى ظروف متكررة يؤدى إلى تناقص رغبته فى تعاطى الخمور فى الظروف التالية . وبالرغم من أن كثيراً من الإكلينيكيين قد عارضوا مثل هذا النوع من التعلم الأعمى ، فإن فاعليته فى بعض الحالات لا شك فيها .

ويعتبر التعلم الأدائى أداة قوية من أدوات تعديل السلوك الإنسانى ، لكنه ليس النوع الوحيد من التعلم ، وقد تتوقف فاعليته على الإطلاق ما لم توضع أنماط معينة من التدعيم بكل عناية ، كما فى الحالات السابقة . لكن التعلم الأدائى من

أحد الأنواع الأساسية للتعلم ، ومن أكثرها فاعلية على الإطلاق، فحتى الكائنات في السلسلة الحيوانية المنخفضة تستطيع التعلم وفق هذا الأسلوب . بيد أنه لا ينجح مع الإنسان ما لم يكن مصحوباً بعمليات معقدة .

٢ — التعلم المعرفي(*) :

يقوم التعلم الأدائي على إثابة الاستجابة الصحيحة ، لكن التعلم المعرفي يقوم على التغيير من طريقة إدراك المواقف ، وتحليلها ، وتفسيرها . وتوحي التجارب على الحيوانات في متاهات التعلم ، أنها — وهي تتفق في ذلك مع الإنسان — تقوم بوضع خريطة عقلية ، بحيث تدرك كل ممر في المتاهة بعلاقته بالممرات الأخرى . فالفئران التي تعبر المتاهة أولا على حامل متحرك ، يمكنها بعد ذلك أن تجد طريقها وهي تسير على أقدامها ، أو وهي تعبرها سباحة . بما يشير إلى أن التعلم لا يقتصر على مجرد سلسلة من الاستجابات[١] . ومن الشائع في مجال حل المشكلات أن اكتشاف مبدأ حل مشكلة ما ، يوجه الشخص إلى الجوانب التي سيبحث عنها ، مما يجعله قادراً على حل مشكلات مشابهة بيسر . ومن أبسط الأمثلة على ذلك الصور « الناقصة » التي يطلب فيها اكتشاف صور مخبئة . فمجرد اكتشاف الصورة المخبئة يجعلنا دائماً قادرين على إدراكها بنفس الطريقة مرة أخرى .

والآن ما هي الشروط الأمبريكية(**) التي تساعد على حدوث التعلم المعرفي ؟ يجب أولا احترام الأستاذ القائم بالتعلم ، وتقبله كخبير . كما يجب اثارة دوافع الطلاب إما من خلال الأهمية الفعلية للمادة ، أو من خلال الحماس الذي يبديه

(*) Cognitive Learning.

(**) Empirical

الأستاذ . لـكن يجب ألا تكون هذه الدوافع قوية جدا ، فتعلم الأعمال المعقدة يتعسر إذا كان الدافع قويا للغاية . ومن المعروف مثلا أن تلاميذ المدارس يحيطون بمعلومات كثيرة عن الطائرات ، وأن آبائهم يحيطون بكثير من المعلومات عن كرة القدم ، بينما لا يتعلمون بقية الاشياء بنفس السهولة . فنهج التدريس مهم . ويمكن الوصول إلى نتائج تبصرية أ كبر إذا كان التلامذة يقومون بدور إيجابى : فيساهمون فى حل المشكلات ، ويكتشفون الاشياء بأنفسهم ويقومون بالمشروعات ، وكتابة البحوث . وتزداد فاعلية التعلم المعرفى لدى المرتفعين فى المرونة المعرفية ، دون المتصلبين ، وكذلك تزداد فاعليته بين الاذكياء[٣] ، وقد ظهرت هذه النتائج من خلال البحوث التربوية والتجريبية ، ولـكنها الآن تتدعم فى مواقف مختلفة سنعرض لها بعد قليل .

كما يساهم التعلم المعرفى كذلك بقدر كبير فى **تغيير الاتجاه والاقناع** ، وقد سبق أن عرضنا المحاولات المختلفة فى تعديل الاتجاهات العنصرية ، والقومية باستخدام المحاضرات ، والأفلام (الفصل السابع) ، وبينما نجد أن هذا الأسلوب قادر على تغيير الاتجاهات فى جانبها اللفظى ، فإن السلوك الظاهرى لا يتأثر أحياناً .

ومن النواحى الهامة التى يطبق فيها التعلم المعرفى : **العلاج النفسى** ، حيث تقوم جهود المعالج بتبصير المريض بالقوى الوجدانية ، والصراعات ، وآليات الشخصية . وقد رأينا — فيما سبق — أن كثيراً من الشكوك تتردد حول فاعلية العلاج النفسى (الفصل السادس) ، بالرغم من فاعليته فى ظروف خاصة . ولم يستطع البحث فى هذا المجال أن يثبت — لسوء الحظ — العناصر الفعالة فى العلاج النفسى ، وتثور الشكوك أيضاً حول أهمية التبصر نفسه ، فـكثير من المرضى يشكون بأنهم يفهمون تماماً الأسباب الأساسية لصعوباتهم ، لـكنهم يعجزون

عن التخلص من الأعراض . ومن ناحية أخرى ، تبين أنه من الممكن التخلص من التعصب العنصرى باستخدام وسائل قصيرة من العلاج بالتبصر[٤] .

ومن أهم أنواع التعلم المعرفى هذا النوع الذى ينتهى بأن يعيد الشخص النظر إلى نفسه بطريقة مختلفة . فيتغير إدراكه للذات ، وتتغير « صورة الأنا » ، ويتم هذا بعده طرق منها : تغيير طريقة اللبس ، والوضع الاجتماعى ، أو التعامل مع الشخص باستمرار بطريقة محددة ، ومن الحالات التى استخدم فيها هذا الأسلوب من العلاج : حالة فتاة ، غير جذابة ، باهتة الشخصية ، أخذ مجموعة من الطلاب يتعاملون معها ، كما لو كانت شديدة الجاذبية والحيوية ، وقبل نهاية العام استطاعت أن تكون أسلوباً سهلا فى التعامل ، كما استطاعت أن تكون أكثر ثقة بجاذبيتها[٥] . وعندما ينجح الشخص فى تكوين أسلوب معين فى إدراك الذات فإن هذا يؤثر فى الأسلوب الكامل من سلوكه — فيتصرف بطريقة تتسق باستمرار مع صورة الذات ، ويستجيب بعنف إذا لم يتبنى الآخرون السلوك المناسب نحوه .

لا شك إذن فى حدوث التعلم المعرفى ، وبأنه يشكل عملية مختلفة تمام الاختلاف عن التعلم الأدائى ، وهناك بعض الدلائل على أن الإدراكات تتغير ، دون أن يقابلها التغيير المناسب فى السلوك ، ويحدث هذا فى مجال تغيير الاتجاهات ، والعلاج النفسى ، ويتحقق حدوث هذا النوع من التعلم — من ناحية أخرى — فى ظروف معينه ، وربما تزداد فاعليته إذا تحققت تماماً هذه الظروف .

ومن العمليات الأخرى التى يمكن تمييزها ، إعتماداً على التعلم المعرفى مايسمى **بلعب الادوار(*)** : فإذا تأتى لأحد الأشخاص أن يعبر — أمام الناس — عن

(*) Role playing

اتجاه أو « سلوك » معين ، فإن من المرجح أن يقبل هذا السلوك أو الاتجاه كخاصية دائمة فى الشخصية . وسنرى أن هذه العملية تبرز كخاصية أساسية فى مواقف التدريب المتعددة التى سنعرض لها فيما يلى . ومن رأينا مع هذا بأن هذه العملية ليست فى حد ذاتها مصدراً أساسياً من مصادر التعلم ، لأن التحليل التجريبى يبين أن تأثيراتها قد ترجع إلى التغير فى معرفة الموقف الذى أدى إليه القيام بالدور. فمثلا تبين أحد التجارب أن الأشخاص الذين قاموا بإلقاء أو تأليف خطبة عن بعض الموضوعات يتغير اتجاههم فى الوجهة التى تعبر عنها الخطبة أكثر من الأشخاص الذين يقومون بإلقاء خطبة معدة : ولم يزد التغير فى المجموعة الأخيرة عن التغير الذى حدث عند الأشخاص الذين قاموا بقراءتها صامتين[٦] . وتشير هذه النتيجة إلى عدم أهمية القيام بالدور ، وإلى أهمية عامل التعرض للحجج العقلية عند الذين كانوا يقومون بتأليف الخطبة .

٣ – التعلم بطريق الاستثارة الانفعالية(*) :

جميع أنواع التعلم التى عرضنا لها كانت تدرس فى المعمل ، وقد أولى علماء النفس — فى السنوات الحديثة — اهتمامهم للتغيرات الحاسمة ، والجوهرية التى تطرأ على المعتقدات ، والاتجاهات ، أو الشخصية فى مواقف خارج المعمل (٧ ، ٨) وتتضمن عمليات غسيل المخ ، والتحول الدينى ، والعلاج النفسى ، وتأثيرات الطقوس الشعائرية . وهناك خاصية تجمع بين هذه المواقف تتبدى فى ظهور تغير مفاجىء فى أنماط مستقرة من السلوك ، وتدخل الاستثارة الانفعالية فى كل حالة ، وتتنوع النظريات السيكولوجية التى صيغت لتفسير هذه الظواهر من نظرية

(*) Emotioual arousal

« التنفيس »(*) لفرويد إلى فكرة بافلوف عن « الحد الأعلى للاستثارة »(**) غير أن كل ما نعرفه حتى الآن عن هـذه الظواهر هو أن « الاستثارة الانفعالية تبدو مطلباً أساسياً لتغيير الاتجاه ، كما أنها تصاحبه » .

وهناك دليل لإثبات هذه القضية . فقد تبين أن فرصة المرضى الذين يخضعون للعلاج النفسى فى الشفاء تزداد إذا زادت قدرتهم على التفاعل الانفعالى[٩] : أى أنهم إما أن يكونوا قادرين على الاستثارة الانفعالية، أو لا علاج على الإطلاق . وسنرى فى صفحة أخرى من هذا الكتاب بأن التحولات الدينية والاقتناع تحدث فى اللقاءات العامة ، المزدحمة ، والمثيرة . فلكى يقوم الشخص بتغيير نمط عميق من المعتقدات أو السلوك ، يجب عليه أولا أن « يذيب » النمط القديم . ويبدو أن الشخص فى حالة الاستثارة الانفعالية يصبح قابلا لإيحاء الأفكار الجديدة ، فيصبح بناؤه المعرفى فى حالة من عدم التنظيم . وفى إحدى التجارب ، وضع مجموعة من الاشخاص تحت ضغط اجتماعى يفرض المجاراة ، فتبين أن أكثر الاشخاص إستجابة للمجاراة هم من أكثرهم قابلية للاستثارة الانفعالية وفق زيادة علامات التغير الفسيولوجى المعبرة عن الانفعال[١٠]. وفى شمال كارولينا بالولايات المتحدة الامريكية ، كانت تشير المشاهدات إلى وجود شاب صغير إعتاد حضور العروض التى تقوم بها طوائف جمع الثعابين، لكى يقوم بإغراء الفتيات الصغيرات لأنهن يصبحن أكثر قابلية للايحاء بسبب الإثارة التى تخلقها مشاهدة الثعابين[٧] . فعندما يبدأ الشخص — نتيجة للضغط الشديد — بتغيير نظرته أو سلوكه ، فإن الصراع المستثار يصبح مصدراً آخراً من مصادر الاستثارة الانفعالية . ولا تستطيع

(*) Catharsis

(**) Over excitation

الاستثارة الانفعالية وحدها تغيير السلوك ، ولـكنها تـكون فعالة إلى أبعد الحدود عند الجمع بينها وبين التأثير الاجتماعى أو المعرفى .

ولم يتنبه علماء النفس لهذه العملية الثالثة إلا فى فترة حديثة . ولـكننا مع ذلك لا نعلم بحقيقة الدور الذى تقوم به مثلا بالنسـبة للتطبيع الاجتماعى . ولـكن فى ضوء الانفعالات الحادة التى تستثار بشـكل متـكرر فى الأسرة فى الطفولة فإننا نتوقع أن تـكون جانباً هاماً من جوانب التطبيع . وفى الأجزاء التالية سنعرض بالمناقشة لدور الطقوس الشمائرية ، وحركة الإصلاح الفـكرى الصينية من خلال هذه النظرة . إنما يبدو أن هناك جماعات متعددة فى مختلف أجزاء العالم قد انتبهت إلى أهمية التعلم بطريق الاستثارة الانفعالية ، وبدأت تتبناها عامدة للقيام بتغيير الاتجاهات .

٤ — التعلم الاجتماعى (*) :

وقد سبق لنا أن أشرنا إلى هذا النوع من التعلم فى الفصل الأول . وهو يشير إلى مجاراة معايير الجماعة ، واسـتدماج هذه المعايير ، ومن أحد عمليات التعلم الاجتماعى : **التوحد** بالوالدين ، أو غيرهما من النماذج . ومن العمليات الأخرى **امتصاص** متطلبات الوالدين ، أو غيرهم من الآخرين الذين تتوثق بهم العلاقة (انظر الفصل الثانى) .

(*) Social Iearning

أمثلة من التطبيع الاجتماعى للبالغين

١ – الدخول فى الأدوار المهنية :

وضعت مجموعة من الدراسات تدور حول تدريب الجنود ، والأطباء ، وغيرهم ولا يشير هذا النوع من التدريب إلى أكثر من مجرد اكتساب المعرفة المادية بالأشياء ، أو المهارات (وهى جوانب لا تهمنا فى هذا السياق) ، بل يشير أيضاً إلى التغيير الجـــذرى الذى يطرأ على السلوك ، أو الاتجاهات ، أو حتى الشخصية . ويستخدم أسلوب **التعلم الاداتى** فى غالبية مؤسسات التدريب العسكرى من حيث توجيه العقاب إذا خالف المجندون مجموعة من القواعد الموضوعة ، وإذا استجابوا للأوامر باستهانة . ويبـــدو أن **التغيرات العرفية** ذات أهمية أكبر . فكثير من المنظمات تقطع علاقات أعضائها بالعالم الخارجى ، ومصادر المعلومات ، وتقدم لهم فى نفس الوقت معلومات ودعايات مكثفة عن عمل المنظمة ، وسرعان ما تتغير إدراكاتهم — للذات . ويقوم الجيش الأمريكى بعزل المجندين للعمل فى الغواصات فى جزيرة نائية ، وتجريدهم من ملابسهم ، وأملاكهم ، وشعرهم ، وتوزيع زى رسمى موحد لهم . وفى خلال عمليات التدريب والتعليم ، ينسى المجندون الجدد « هوياتهم »(*) السابقة ، لـكى يبدأوا فى التفـكير فى أنفسهم كغواصين فقط[١١] . ويتم نفس الأمر تقريباً بالنسبة لنزلاء المستشفيات العقلية ، وأعضاء المنظمات المغلقة المشابهة . حتى أنهم يبدأون فى النظر إلى حياتهم السابقة بشكل مختلف . إن خبرة القيام بدور مهنى تدفع بالشخص لرؤية المشكلات بطريقة جديدة ، لـكى يتبنى مجموعة من الاتجاهات ، ونظرة مطابقة للدور . وفى دراسة على فريقين من العمال المعينين فى مؤسسات البيع التجارية العادية تبين أن الفريق

(*) Identity

الذى عين فى وظائف إشرافية قد تبنى إتجاهات مطابقة لإتجاهات هيئة الإدارة ، أما الأشخاص الذين عينوا كعمال عاديين فقد تبنوا إتجاهات معارضة لاتجاهات هيئة الإدارة[١٣] . فالعمل طول اليوم فى وظائف العمال العاديين مثله فى ذلك مثل العمل الإدارى ، يدفع بالضرورة إلى تبنى إتجاهات مطابقة .

والمؤثرات الاجتماعية ذات قدر مرتفع من الأهمية هنا أيضاً . فالذى يلتحق حديثاً بالعمل تزداد كفاءه ، ويتجه لإرضاء الرؤساء . فضلا عن هذا فهو ينظر إليهم — أو إلى بعضهم — كنماذج جديرة بالاقتداء . ولهذين السببين ، سرعان ما يتجه إلى التشبه بهم .

وتبين إحدى الدراسات على طلاب كلية الطب أن ٨٥ ٪ منهم يتصورون أنفسهم أطباء بعد النهاية السنة الرابعة ، فى مقابل ٣١ ٪ يعتنقون نفس التصور بعد نهاية السنة الأولى . إلا أن ٧٥ ٪ من طلاب السنة الأولى تبنوا هذا التصور مع المرضى ، خاصة المرضى الذين كانوا يعاملونهم كأطباء[١٤] . فالشخص يتبنى صورة — للذات تعكس الطريقة التى ينظر بها الآخرون لهم .

وتلعب الاستثارة الانفعالية هنا أيضاً دورها فى حالتى الخبرات الوجدانية المشتركة أثناء التدريب ، وتأثيرات الطقوص الشعائرية . فغالباً ما عبر الأعضاء الجدد فى المنظمات بسلسلة من الخبرات الانفعالية . فتواجههم مواقف جديدة ، ومحيرة ، أو تستثير قدراً مرتفعاً من القلق . وقد تبين أن الأعضاء الذين يشتركون، فى مواجهة تلك الخبرات تزداد صلتهم ببعضهم وثوقاً ، كذلك تتفق علاقاتهم بالأعضاء القدامى الذين كانوا يساعدونهم فى التغلب على تلك الصعوبات . وتكون النتيجة إقامة روابط قوية من الإخلاص للمنظمة . وللطقوس الشعائرية تأثير مشابه ولهذا تختلق أحياناً هذه الطقوس بطريقة غير ذكية عند الإفتقار إلى

مصادر جديدة من الاستثارة الانفعالية . ومن مظاهر هذه الطقوس الاحتفال العام بتغير الوضع الإجتماعى للعضو الجديد : فقد أصبح الآن مقبولا من الجماعة ، وأصبح باستطاعته أنه ينظر إلى نفسه كعضو فى الجماعة ، ويؤدى هذا إلى مظهر من مظاهر التغير فى صورة — الأنا . ويخضع المراهقون فى بعض القبائل الإفريقية — فى احتفالات مهيبة — لخبرات مخيفة لا تنسى قبل شعيرة التدريب ، وفى نهايته وذلك بهدف الترسيخ العميق لتقاليد الجماعة ، وحكمة الكبار ، واستمرار السلف فى عقول الشباب وقلوبهم[١٥] . كما يتبين تجريبياً أن الأشخاص الذين يتمرسون لشعائر وطقوس غير سارة تزداد جاذبية الجماعة لهم فيما بعد[١٦] . ومعنى هذا أن الطقوس الشعائرية قد تختلط بغيرها من حالات التعلم القائم على الاستثارة الانفعالية : وهى كخبرة تؤدى إلى تيسير التغير فى صورة الذات وعضوية الجماعة . ومن المهم أن نلاحظ بأن مجالات الطب ، والجيش ، والكنيسة كلها تتضمن خبرات جماعية انفعالية أثناء التدريب ، وأن كل مهنة من هذه المهن يسودها شعور قوى بالتقديس ، والشعور بالتميز عن العاديين أو بالمقارنة مثلا برجال الإدارة ، والخدمات المدنية .

٢ – التدريب على القيادة والادارة :

ثار إهتمام ضخم فى كل من الولايات المتحدة ، وبريطانيا منذ الحرب بتدريب المديرين ، وغيرهم من القادة . وقد أدى ذلك إلى وضع أنماط مختلفة من مناهج التدريب دون تفهم واضح لمبادىء التعلم الأساسية الملائمة ، ودون فهم لأهداف التدريب فى واقع الأمر . وتعتمد غالبية تلك الجهود على تحسين المهارات الإجتماعية والعقلية ، وزيادة الحصيلة المعرفيه ، وتغيير إتجاهات الأشخاص . أما عن فاعلية مناهج التدريب المستخدمة حالياً فى تحقيق هذه الأهداف فقد ذكرت فى مكان آخر[١٧] . ولا محل لذكرها هنا ، فسيكون إهتمامنا هنا متجهاً إلى التغيرات التى ترتبط بمبادىء التعلم السابقة .

ويمكن أن يقوم **التعلم الأدائي** بدور هام فى التدريب على المهارة . فيقوم الطلاب مثلا بأداء بعض المواقف التى يواجهونها فى العمل ، ويقوم المدرب ، والطلاب الآخرين بتوجيه النقد للأداء . ومن الممكن الإسراع من هذه العملية عن طريق قيام الخبراء بأداء الدور (تعلم إجتماعى) ، والتدريب على المبادىء الرئيسية سلوك الإجتماعى (تعلم معرفى) . ويستطيع الكثير من الطلاب الإفادة من أسلوب تدريب الحساسية ، الذى يهدف إلى زيادة دقـة إدراك المواقف الإجتماعية ، لكن لا زال الكثير فى مجال طبيعة المهارة الإجتماعية فى حاجة للكشف .

أما **التعلم المعرفى** فتقوم فائدته على التعلم من المحاضرات والكتب . وتقوم المحاولات الآن لاستبدال أساليب التعليم التقليدية بالمناقشة الجمعية وكتابة التقارير المشتركة ، ودراسات الحالة ، والقيام بلعب الأدوار ، لكن فاعلية هذه الأساليب تزداد فى حالة تعديل الاتجاهات المتمركزة ، أما تأثيرها فضئيل فى حالات زيادة الحصيلة المعرفية ، أو الفهم ، ما لم تجمع إليها أساليب التعليم العادية .

وللمؤثرات الاجتماعية كذلك دور هام فى هذا المجال : فقد تبين أن تأثير الأساتذة فى هذه المواقف ضئيل ما لم يكن الطلاب مستعدين لقبولهم كأساتذة ناجحين إدارياً . وفى الحقيقة ، فإن من أهم الصعوبات التى تواجهها برامج الإدارة تتمثل فى الحصول على هيئة تدريس ناجحة . صحيح أن الإداريين الناجحين يمكن قبولهم ، لكن تمرسهم الأكاديمى ، والتعليمى ضئيل ، أما الأكاديميين فهم غير خبراء فى الصناعة ، فى مجال القيام بالتدريب . ولعل الحل هو تكوين أساتذة مهنيين للادارة لهم خبرات بكلا الجانبين ، يساعدهم مهنيون زائرون من كل نوع .

ويتم هذا التدريب عادة على مجـــوعات ، ويرتهن نجاحه بالتأييد

الجمعى للأفكار الجديدة والذى يعتبر جانباً هاماً من عملية التدريب خاصة عندما يعقد البرنامج فى مكان منعزل ، كما هو المتبع. غيرأن الأفكار الجديدة والتدريبات — فيما تبين — لا تنفذ فى الموقف الفعلى للعمل ما لم يشجعها الرؤساء المباشرون للمدربين[١٨] . ويشكل هذا الجانب معضلة أساسية من معضلات التدريب على القيادة — فمن الضرورى إبعاد الشخص من بيئة العمل العادية ، لإتاحة الفرصة للتفتح للأفكار الجديدة ، ولكن القيام بهذا لا يتيح للتدريبات الجديدة أن تمارس على مجال العمل . ويكمن الحل لهذه المعضلة فى القيام ببرامج « مختلطة » وبرامج يساهم فيها أيضاً الإداريون القدامى .

كما يستخدم التعلم القائم على **الاستثارة الانفعالية** فى كل مواقف التدريب الفعلى على القيادة تقريباً . ومن المعروف تماماً أن كل البرامج الملائمة تتم من خلال الإندماج الفعلى فى مشاعر الجماعة والحماس الشديد لها ، وتساعد هذه الاستثارة — فى مواقف العزلة الجسمية — على إحداث تغييرات فى الإتجاهات أو السلوك المقصود .

والآن ما مدى نجاح برامج التدريب الراهنة ؟ قامت الدراسات التتبعية على أشخاص خضعوا للتدريب ، وقورن بين أدائهم قبل التدريب وبعده . فتبين بما لا يدع مجالا للشك بأن الحصيلة المعرفية ، والإتجاهات ، والمهارات العقلية والإجتماعية تتحسن جميعها بفعل التدريب ، فى حالة الرؤساء ، والمديرين ، الضباط وغيرهم . ولو أن بعض البرامج فشلت — بسبب عدم التأييد — وبعضها لم ينجح تماماً . ويبدو أن الشروط الأساسية فى نجاحها — كما أشرنا من قبل — يكمن أساساً فى مدى مساهمة الجماعة فى برامج التدريب مع تقديم حصيلة من المعلومات والخبرة ، وباختيار خبراء مدربين ومقبولين إجتماعياً ، مع خلق ظروف تسمح بالتطبيق على مجال العمل نفسه .

٣ – حركة الأصلاح الفكرى فى الصين :

ثار إهتمام أكبر بحركات الإصلاح الفكرى فى الصين ، لانتشار إستخدامها ونجاحها ، ولجدة الأساليب المستخدمة فيها . وقد أمكن القيام باستبعاد عدد كبير من الأشخاص الذين خضعوا لتلك الأساليب . لهذا أصبحت الآن الإجراءات المستخدمة فيها معروفة تماماً (١٥). ويستخدم هذا الأسلوب أساساً مع المثقفين الصينيين والمنحرفين عن الحزب ، وقد أمكن جمع أربعة آلاف منهم فى وقت واحد فى مدارس الإصلاح الفكرى ، بالرغم من خضوع الجنود الأمريكيين والمبشرين الإنجليز (٢١) وغيرهم لنفس المعاملة . ويوزع الطلاب فى مدارس الإصلاح الفكرى إلى مجموعات صغيرة من ٦ : ١٠ عضواً ، ومع كل مجموعة منهم مشرف . ويشجع المشرف الأشخاص على التعبير عن ذنوبهم ، وأن يكتب كل منهم اعترافات تفصيلية بخطاياه التى ارتكبها من وجهة النظر الشيوعية . وهذا الأسلوب فيما هو واضح يجمع بين الاستثارة الانفعالية ، والتعلم المعرفى والتأثير الاجتماعى . ومن الصعب حقيقة تقييم هذه العمليات ، ومن المستحيل تحديد الأسلوب ذى الفاعلية الأقوى . ويختلف هذا الأسلوب عن الأساليب الروسية المبكرة ، من حيث عدد الساعات الموجهة للأفراد لكى يقوموا باعترافاتهم . فالإصلاح الفكرى الصينى يهدف إلى التغيير الجذرى من الاتجاهات .

أهمية التطبيع الاجتماعى للراشدين

رأينا أن قوة التطبيع يمكن أن تشكل القيم الأساسية وأن تغير منها – كما فى حالة مدارس الإصلاح الفكرى فى الصين – فهناك ظروف يكون من الضرورى فيها أن نعمل على تقوية قيم الناس ومعاييرهم . وتظهر تلك الأهمية

فى الحالات التى يجب فيها على الفرد أن يعمل منعزلا . فن الضرورى أن يمر أولا ببعض أساليب التطبيع الإجتماعى قبل أن يطلب منه التمثل بمعايير المهنة وخلقياتها . وقد تبين فى بعض المستعمرات الخارجية أن معايير السلوك المهنى تظهر بين المواطنين الذين تلقوا تعليمهم بالخارج لمدة سنوات . وعندما يكون قدر التعليم كافياً فن الممكن إقامة التقاليد المناسبة ، بعبارة أخرى يستطيع أعضاء جدد أن يتقبلوا أسلوب التطبيع المناسب .

ويمكن النظر إلى أساليب التطبيع الإجتماعى للراشدين على أنها نوع آخر من التعليم والتطوير — بعد نهاية الفترة الرسمية من التعليم . ويقوم جزء كبير من هذا التعليم فى مجال تعليم **المهارات الاجتماعية** ، وقد رأينا أن برامج التدريب تنجح فى هذا النوع من المهارات . ولو أن من المشكوك فيه تحديد التأثير الذى تتركه التقاليد التى تتشكل بهذه الطريقة ، كما أن من الضرورى الإهتمام ببعض الخبرات التعليمية الخاصة . وإذا أمكن تحقيق ذلك فن المرجح بالفعل زيادة كفائتنا فى مجال التفاعل الإجتماعى الإنسانى ، فتصبح أكثر فاعلية ، وقدرة على البناء وإثارة السعادة .

ومن الجدير بالإهتمام — أخيراً — ضرورة دراسة أساليب التطبيع الإجتماعى الحالية فى بعض التنظيمات الخاصة لتحديد قدرتها على تغيير الأشخاص فى الإتجاه المطلوب . فهل من الضرورى حقيقة أن تنتشر الاتجاهات اليمينية بين رجال الإدارة ، وأن يتضائل حماس الأطباء للبحث بهذا الشكل ، وأن تنقطع الصلات العامة لمديرى المدارس بالمجتمع ؟ .

إن كل تلك الأشياء من الممكن تغييرها تماماً بخلق أساليب التطبيع القادرة على إثارة التدريب والقادرة بدورها على إثارة التغييرات المناسبة .

الفصل الحادى عشر

الاختيار المهنى(*) والتعليمى

تتأثر المنظات الاجتماعية — والمجتمع ككل — تأثراً بالغاً بالطريقة المتبعة فى اختيار الأشخاص للقيام بالأعمال المختلفة . فإذا بدأت المؤسسات العامة فى التخطيط لاختيار أنواع مختلفة من الأشخاص للقيام بالوظائف الرياسية ، فإن المناخ الاجتماعى العام للمؤسسة ، وطابعها سيتغيران فى خلال عدد من السنين وسنرى — فيما بعد — أن من المستحيل تغيير المناخ الاجتماعى فى السجون ، أو المستشفيات فى الاتجاه التحررى المتسامح دون العمل على اختيار مسئولين أقل تسلطية على كل المستويات (الفصل الرابع عشر) . ويكتسب طابع النظام الطبقى فاعليته أساساً من خلال إمكانية الحراك الاجتماعى ، وقدرته على دفع الأشخاص القادرين على الصعود .

وتعتبر أساليب الاختيار ذات أثر فعال فى كل الأوقات ، بالرغم من عدم الوضوح فى صياغتها أو فهمها ، وبالرغم من أن نجاحها لا زال محدوداً حتى الآن . ويقع على عاتق العلوم الاجتماعية أن تقدم مناهج فعالة فى الاختيار ، وأن تكشف عن آثار أساليب الاختيار المختلفة على كفاءة التنظيم ، وحياة المقبولين ، أو المرفوضين على السواء .

(*) Selection

الإجراءات المتعلقة بالاختيار

لنفرض أن إحدى المؤسسات (أو الشركات) تقوم بعملية الاختيار الشخصى من خلال القيام باستبار المتقدمين ، فإن قدرتنا على تقدير نجاح هذا الاختيار تقوم على مقارنة ترتيب المستبر المتقدمين بنجاحهم بعد ذلك فى العمل . وتكشف البحوث عن وجود معامل ارتباط مرتفع بين الدرجات على اختيار الاختبار (وهو فى هذه الحالة الاستبار) والمقاييس التالية للنجاح . ولأن هناك مجموعة قد رفضناها ، فإننا لا نستطيع إلا أن ندرس الذين قبلوا فقط . لهـذا يفضل السماح لكل مجموعة من المتقدمين بالقيام بالعمل بعد استبارهم حتى مرحلة معينة بحيث يمكن دراسة الضعاف أيضاً على اختيار الاختبار ، بالرغم من الصعوبات العملية التى تواجه القيام بهذا الأسلوب . وقد يكون محك النجاح **السرعة فى العمل ، أو الدرجات فى الامتحانات** أو غيرها من المقاييس الموضوعة المشابهة . ومن الصعب — مع هذا — اكتشاف محك مقبول للنجاح فى أداء أعمال معقدة غير يدوية .

ويعتمد الاختيار غالباً على الاستبار ، مع سجلات النجاح فى الأعمال السابقة . إلا أن هذه الطرق لا تنجح كثيراً ، فقد نبين أن اختيار الرؤساء ، والضباط بهذه الطريقة ، لا يؤدى إلا إلى معامل ارتباط ضـعيف مقداره ٠,٢ بين تقديرات الاختيار والنجاح فيما بعـد فى العمل[٢] . لأن كل ما تؤديه هذه الطرق هى أنها تؤكد وحسب رغبة المؤسسة فى اختيار « النمط اليمينى المناسب » ، فى الوقت الذى تسيطر فيه الأفكار الخاطئة على مفاهيم المؤسسة ، وتصوراتها عن هذا النمط ، فتشير أحياناً إلى أشخاص ذوى إطار إجتماعى ، أو بناء شخصى خاص . ومن الواضح — بما لا يقبل الشك — أن التركيز على الإطار الاجتماعى للأشخاص أو طبقتهم مع إهمال القدرة ، يعتبر سبب من أسباب عدم الكفاءة .

ويقع على عاتق علم النفس وضع مختلف الاختبارات الموضوعية والمقاييس التى تمكن من الاختيار الأفضل للناجحين فى العمل ، وتتضمن اختبارات للذكاء ، والشخصية ، والأداء فى المناقشات الجمعية ، وغيرها من نواحى النشاط الجماعى ، فضلا عن الاستبارات المضبوطة والموضوعة بعناية . وسنشير بعد قليل بالتفصيل إلى خصائص هذه الاختبارات ، وأهميتها كما تمثلت فى ثلاث مواقف من الاختيار هى : الالتحاق بمدرسة ثانوية ، وبالجامعة ، وبعدد من الوظائف القيادية والإدارية . وتبين النتائج باختصار شديد أن استخدام الاختبارات الموضوعية يؤدى إلى زيادة فى نسبة التنبؤ بالنجاح يتراوح بين ٠,٦ إلى ٠,٨ بالمقارنة بنسبة ٠,٢ فى حالة استخدام الأساليب التقليدية[٢] . ونحتاج عند وضعنا خطة محكمة من الاختيار إلى اكتشاف ارتباط عدد كبير من الاختبارات بالنجاح التالى للملتحقين بالعمل ، وقد نجد أن كثيراً من هذه الاختبارات غير صالحة ، وفى هذه الحالة يجب إهمالها ، وقد نجد أن كثيراً منها يرتبط بالمحك ارتباطا معتدلا يتراوح بين ٠,٢ و ٠,٦ ، وعندئذ نعمل على اختيار أفضل ثلاثة أو أربعة اختبارات منها ، وعند اختيار هذه الاختبارات يحسن أن نضم إليها عدداً آخر من الاختبارات التى ترتبط ارتباطاً منخفضاً بالمحك إذا كانت مستقلة عن المقاييس المستخدمة . ومن شأن هذا الإجراء أن يزيد من الفاعلية العامة للاختيار ، وأن يؤدى إلى ارتباط مرتفع بين مجموع الدرجات على الاختبارات والمحك . وتلقى التطورات الحديثة « لنظرية القرار » ضوءاً جديداً على العملية الكلية للاختيار الشخصى ، فبدلا من مجرد البحث عن صدق الاختيار ، يمكن أن نولى اهتمامنا للنتائج العامة الاجتماعية لقرارات الاختيار ، لأن نسبة من هذه القرارات صحيحة ، ونسبة منها خاطئة[٣]. **ولعل اهم الجوانب** فى تطبيق هذه النظرية أنه يجب أن لا نولى اهتمامنا فقط للذين وقع عليهم الاختيار، بل

وأن نولى اهتمامنا أيضاً للمهن المناسبة للمرفوضين فلنفرض مثلا أن المطلوب من خريجى إحدى المدارس الثانوية العمل فى مهنة كتابية ، أو يدوية فنية ؛ فإن استخدام اختبارات الذكاء العام ستساعد على اختيار الصالحين للعمل الكتابى . غير أن من الممكن فضلا عن هذا اختيار الصالحين للعمل اليدوى باستخدام اختبارات المهارة ، ومن المعروف أن معامل الارتباط بين هاتين المجموعتين من الاختبارات ضعيف . ومن خلال القيام بعمليتى الاختيار (للأعمال الكتابية واليدوية الفنية) معاً ، وباستخدام كلا النوعين من الاختبارات ، نستطيع أن نختار للعمل الكتابى المتفوقين على اختبارات القدرة اللفظية والضعاف على اختبارات المهارة ، بينما نختار المتفوقين على اختبارات المهارة ، والضعاف على الاختبارات اللفظية للقيام بالأعمال اليدوية . ومثل هذا الاجراء يستخدم ـ غالباً ـ عندما يكون معامل الارتباط بين مجموعتين من اختبارات القدرة منخفضاً أو صفرياً. ويسيطر على مناقشات الاختيار الشخصى دائما الافتراض المتعلق بعمومية القدرات وأن الشخص الذى يتفوق فى قدرة يتفوق فى غيرها . والحقيقة أن كثيراً من علماء القياس النفسى — داخل مجال الذكاء فقط — يفضلون استخدام سلسلة من الاختبارات لقياس قدرة خاصة مستقلة جزئيا ، بدلا من الاختبارات المشبعة بالعامل العام للذكاء . ومن أهم جوانب التطبيق الأخرى لنظرية القرار الاهتمام بتكاليف الاختيار نفسه ومقدار الاستفادة منه . خاصة وأن هناك نسبة من المتقدمين يقعون فى مركز وسط ، ويستحقون اهتماماً أكثر ، ومزيداً من الاختبارات ، أى يحتاجون إلى ما يسمى بالإختيار التوجيهى(*) .

(*) Sequential Selection

نماذج من الاختيار

١ – نموذج من الاختيار للمدارس الثانوية الانجليزية :

يستخدم إختبار + 11 فى الاختيار للمدارس الثانوية الإنجليزية . وسنعرض إلى كيفية الاستفادة من هذا الاختبار بالرغم من عيوبه . ولعل أهم مشكلة تواجه اتخاذ القرار مسألة المحك . ولما كان الهدف هو اختيار الأشخاص الصالحين للدراسة فى المداوس الثانوية ، فإن المحك الواضح لهذا هو النجاح فى الشهادة الثانوية . ومن هذه الزاوية أمكن دراسة صدق اختبار + 11 بالتركيز . وتبين النتائج مما لا يدع مجالا للشك أنه من أهم أساليب الاختيار الشخصى على الإطلاق فى ضوء التنبؤ بالنجاح فى الشهادة الثانوية العامة . فقد وصل معامل الارتباط بين هذا الاختبار والنجاح فى الثانوية العامة ٠,٨٠٤ ، ٠,٨٣١ ، ٠,٨٦٣ ، ٠,٨٢٩ فى دراسات مختلفة (٥) ، (٦) ومن أهم أجزاء هذا الاختبار قدرة على التنبؤ تقدير المدرسين فى السنوات السابقة ، وفى نتائج اختبارات الذكاء بالنسبة للمدارس المختلفة : وتصل نسبة الصدق بهذه الطريقة ٠,٩٠ ، ومن أهم الأجزاء الأخرى كفاءة اختبار الذكاء اللفظى نفسه ، وتتلوه مباشرة اختبارات اللغة الإنجليزية ، والرياضة . وترتفع نسبة الصدق قليلا عندما تجمع نتائج هذه المقاييس جميعها . أما مستوى كفاءة الاختبارات التقليدية ، غير المقننة ، فى الرياضة واللغة الإنجليزية ومقاييس الذكاء غير اللفظية والمتصلة بالعلاقات المكانية ، فهى أقل من ذلك ، وتبلغ نسبة صدقها ٠,٦٠ ، وقد وجد أن قدرة اختبارات اللغة الإنجليزية والرياضة على التنبؤ أفضل فى المراحل الدراسية المتقدمة ، بمقارنة الدرجات على تلك الاختبارات بنتائج الثانوية العامة فى تلك المواد . ولا تعطى اختبارات الذكاء غير اللفظية والمكانية تنبؤات طيبة بالنجاح فى المدارس الثانوية العامة ، لكن قدرتها على التنبؤ ترتفع فى الكليات الفنية . وقد تبين فى الحقيقة أن طلاب المدارس

والـكليات الفنية لا يحصلون على درجات مرتفعة في نسبة الذكاء اللفظى لـكنهم يتفوقون فى اختبارات القدرات غير اللفظية[٧] . وتولى غالبية السلطات المحلية اهتماماً خاصا للمتقدمين الواقعين على الحدود بين النجاح والفشل ، كذلك الحاصلين على درجات متباعدة ، ونسبتهم ١٠٪ تقريبا . فتجمع معلومات إضافية عن هؤلاء الطلاب ؛ إما من خلال القيام باستبارهم ، أو من خلال الاطلاع على سجلاتهم السابقة فى المدرسة الابتدائية[٨] .

والآن إلى أى مدى ينجح هذا الأسلوب من الاختيار فى إتاحة فرص متكافئة لجميع المتقدمين ؟ قام « فلاود » و « هالسى » Floud and Halsey بالمقارنة بين أشخاص ينتمون إلى طبقات اجتماعية مختلفة ، ممن تم لهم الالتحاق بالمدرسة إعتماداً على درجاتهم التى تؤهلهم للالتحاق ، وهى نسبة ذكاء ١١٤ أو أعلى[٩] . ودرسا الموقف فى مدينة « هيرتفوردشير » Hertfordshire قبل استبعاد مقياس الذكاء من بطارية + 11 وبعد استبعاده ، فتبين أن أفراد الطبقة المتوسطة يتفوقون قليلا عند ضم نسبة الذكاء ، لـكنهم يتفوقون بصورة ملموسة عندما لا تضم . والسبب فى هذا دون شك يـكمن فى ارتفاع دافع التحصيل لدى أطفال الطبقات المتوسطة ، وفى إتاحة الفرص التعليمية التقليدية أمامهم فـكل هذا يمكنهم من الأداء الجيد على اختبارات التحصيل فى اللغات والرياضيات . ولهذا فاستخدام البطارية السابقة يعتبر متحيزاً لأفراد الطبقة المتوسطة ، خاصة عندما لا تحتوى البطارية على اختبار للذكاء العام ، لـكن فيما عدا هذا فإن استخدامها ينجح فى عملية الاختيار ، وفى تحقيق الحراك الاجتماعى الملائم للاطفال القادرين على ذلك أكاديمياً . وهناك اعتراض على هذا الأسلوب المتبع فى الاختيار للمدارس الثانوية ، فهو أولا : لا يصل للدقة المطلوبة فى بعض الحالات الضرورية ، ويسبب إحساساً بالتعاسة لدى تلك الحالات المرفوضة فى ضوء نظرية القرار . وهذا الاعتراض له بالفعل وجاهته فى ضوء الأعباء الاجتماعية

التى يؤدى إليها عدم الاهتمام بالأشخاص الذين لم يقبلوا . وبالرغم من أن صدق هذه البطارية يصل إلى ٠,٨٥ ، فإن بعض الأطفال — دون شك — لا يوضعون فى مكانهم المناسب ، خاصة المتوسطين منهم .

أما عن تأثيرات أساليب إختيار الأطفال فقد أثارت عديداً من التعليقات ، ففى مسح أجرى فى مدينة « بلفاست » تبين أن أكثر من ثلث المتقدمين الذين يقعون فى موقع وسط على البطارية السابقة تسودهم أعراض عصبية ، كاضطراب النوم أو الهضم[١٠] . فهل يؤدى الفشل فى الأداء إلى إثارة مشاعر الاضطراب والنقص ؟ تبين البحوث أن هذا صحيح وأن هناك قدراً مرتفعاً من القلق يسود المقبولين فى تلك المدارس . وأن من المرجح أن يكون تلاميذ المدارس الثانوية الحديثة التى تقل ضغوطها ، وتأكيداتها على الجانب الأكاديمى أكثر إحساساً بالسعادة . ومن المرجح أيضاً أنهم ينظرون إلى أنفسهم ببعض مشاعر النقص ، وبأنهم ينتمون لطبقة اجتماعية دنيا .

٢ — الاختيار للجامعة :

ويقوم هذا الاختيار أساساً بالاعتماد على الامتحانات والاستبار . والمحك المستخدم هنا لتقدير الصدق هو أيضاً الامتحانات النهائية ، ولو أن القبول بها وحدها أمر يستثير التساؤل ، فكل مدرس فى الجامعة تقريباً تزداد معرفته بالطلاب الأوائل فقط ، والذين قد يفشلون فى إثبات مهاراتهم فيما بعد ، بسبب جوانب القصور فى شخصياتهم .

لكن هناك بعض الأشخاص من ذوى النجاح الجامعى المحدود يحصلون بعد تخرجهم على مراكز اجتماعية أكثر قوة ، وتأثيراً ، إما بسبب انتمائهم لعائلات قوية ، أو بسبب امتلاكهم لقدرات خاصة لا تصلح الامتحانات الجامعية لتقديرها غير أن اكتشاف صدق أسلوب الاختبار من خلال النجاح فى الحياة أو من خلال المساهمات الاجتماعية أمر تكتنفه صعوبات متعددة . وهناك صعوبة أخرى تتمثل

فى أن صدق الاختبار كما يستنتج من خلال معاملات الارتباط عادة ما يكون منخفضاً بسبب صغر مدى اتساع القدرة فى مجتمع انتقائى كمجتمع الجامعة .

لهذا فإن التنبؤ وفق مبدأ الكل أولا شىء ، أى على أساس تقدير الفاشلين أو الناجحين يكون أكثر نجاحاً . ويستخدم الاستبار فى كثير من الجامعات ، بالرغم من انخفاض معاملات ثباته . وهى تتراوح بين ٠,٤ : ٠,٥ ، أما معاملات صدقه فهى ايضاً أقل من ذلك . والاستبار ينجح فى تقدير الجوانب الشخصية بكفاءة أكثر من تقدير الجوانب العقلية . وبعض المستبرين أفضل من البعض الآخر ، ومن الممكن بالطبع اختيار المستبرين الذين نجحوا فى تنبؤاتهم سابقاً . وهناك دليل يجعلنا نفضل أن يكون هناك تشابه فى الوضع الإجتماعى بين القائم بالأستبار والمستبرين . كما أن هناك دليل على أن نجاح استخدام الطلاب القدامى فى كليـــة الطب كقائمين بالاستبار . وتزداد احتمالات النجاح فى استخدام الاستبارات ، إذا ما قام الفاحص بتوجيه سلسلة من الأسئلة الصعبة للمفحوص فى أوقات مختلفة ، وإذا كانت الصفات المطلوب الكشف عنها وتقديرها واضحة فى أذهان الفاحصين(٤) . ومن عيوب الاستبارات تحيز الفاحصين غالباً للأشخاص المرتفعين فى الطلاقة ، واللباقة الإجتماعية ، خاصة عند المتقدمين من الطبقات المتوسطة .

وتستخدم فى الإختيار للجامعة الإمتحانات المدرسية . وهذه يتراوح صدقها بين ٠,٥ : ٠,٦ خاصة الامتحانات فى الموضوعات التى سيدرسها الطالب فيما بعد إلا إذا درس تلك الموضوعات بطريقة مختلفة فى الجامعة . وتقل قدرة تلك الامتحانات على التنبؤ بالنسبة للدراسات الفنية ربما بسبب انخفاض ثبات تصحيح تلك الموضوعات . ويتراوح صدق امتحانات المدارس الأمريكية التى تخضع لأسلوب إنتقاء الإجابة الصحيحة من عدد من الإجابات من ٠,٥ : ٠,٧٥ ويبلغ صدق التقرير الذى يضعه الناظر حوالى ٠,٣ أما تقارير القائمين بتدريس بعض

الموضوعات فترتبط بالنجاح فى الجامعة بمقدار ٠,٥ . أما التقديرات العامة فهى أقل نجاحاً فى تقدير خصائص معينة بطريقة مقننة[١٣] .

وتشيع اختبارات الذكاء كذلك فى اختيار المتقدمين للدراسات العليا فى الولايات المتحـــدة الأمريـــكية ولعل أهم تلك الاختبارات الـ MAT (*) . وتستخدم بعض الجامعات الإنجليزية اختبارات الذكاء اللفظى — وبالرغم من نجاح استخدام تلك الاختبارات فإنها لا تتفوق على استخدام الامتحانات ، ويمـكن أن نصل لتقدير أدق إذا ما استخدمنا الأسلوبين معاً . ويحسن كثيراً استخدام الخبرات التى تتنبأ بالنجاح فى مختلف التخصصات الأكاديمية . فقد تبين مثلا إن استخدام الاختبارات الأدائية ينجح فى التنبؤ بالنجاح فى التخصص العلوم الطبيعية ، وتنجح اختبارات المهارة اليدوية فى التنبؤ بالنجاح فى طب الأسنان .

وتوجد جوانب متعددة من الشخصية ترتبط بالنجاح فى كل من الجامعة ، والمهن التى يمثلها الأشخاص بعد تخرجهم ، وفيما يلى الاختبارات التى تصلح للاختيار للجامعة فى هذا الإطار :

١ — **الابداع**(**) : وقد أمـكن عزله وقياسه فى عـــدد من الدراسات الحديثة[١٤] . وقد تبين أن الأطفال المرتفعين فى هذا المتغير يتشابهون مع الأطفال المرتفعين فى الذكاء ، والمنخفضين على السواء . بيد أن المرتفعين فى الجانبين يحتمل نجاحهم فى البحث العلمى وكذلك الأعمال

(*) Miller Analogies Test.

(**) Creativity

الأدبية ، وغيرها من الأعمال التى تحتاج لقدر مرتفع من الاصالة .
وهناك اختبارات متعددة لقياس الإبداع تعتمد غالباً على القدرة على التفكير فى تداعيات غير معتادة ، أو استعمالات لأشياء بطريقة غير شائعة ... الخ .

٢ — **الدافع للتحصيل** : وقد سبق لنا أن ناقشنا الدافع للتحصيل (الفصل الثانى) وبينا أنه يرتبط بالنجاح فى الجامعة مستقلا عن الذكاء ، وفضلا عن هذا فقد تبين أن المرتفعين على هـذا المتغير يتفوقون فى التحصيل فى مجالات أخرى حتى بعد تخرجهم من الجامعة . كذلك تبين أن الأشخاص الذين يتفوقون فى اختبارات المثابرة يتفوقون أيضاً فى الامتحانات الجامعية .

٣ — **الثبات الانفعالى** (*) : وتتبدى أهمية هذا المتغير فى الحياة العملية بعد الجامعة أكثر من الحياة الجامعية نفسها . وقد تبين مثلا أن العصابيين يستطيعون أن ينهوا حياتهم الجامعية بنجاح . لكن انهيارهم يظهر فى الحياة العملية تحت ضغط متطلبات العمل (الفصل السادس) . وفى دراسة بكلية الهندسة تبين أن نسبة الفشل بين الانطوائيين العصابيين هى أقل نسبة ، لكن هؤلاء الأشخاص أنفسهم تجتاحهم الاضطرابات العصبية فيسوء أداؤهم فى الرسم الهندسى بسبب تدخل القلق عند قيامهم بتفاصيل العمل . ونكتفى بهذين المثالين عن تأثير مختلف أنواع أبعاد الشخصية على الأداء فى مجالات مختلفة(١٦)

(*) Emotional Stability

٤ — **الاختيار فى مجال الادارة والقيادة :** ويتم الاختيار فى هذا المجال عادة باستخدام الاستبار ، مع دراسة الخبرة السابقة . بيد أن كثيراً من الهيئات التقدمية تستبدل هذا الأسلوب ، بأساليب أكثر موضوعية مما يؤدى إلى زيادة الصدق بمقدار ٠,٦ أو أكثر . أما محك النجاح االمستخدم هنا فهو عادة يقوم على وضع تقدير متدرج لأنواع الأداء التى يتطلبها العمل ، ويقوم بهذا التقدير خبراء مقيمون غير أن كثيراً من الأشخاص يختلفون فى تقييمهم لأداء نفس الشخص إختلافاً بيناً مما يرجح أن تلك الترتيبات ما هى إلا مجرد مجاراة للقصور الشائع عن العمل . إنما يمكن فى بعض الأحوال أن نعثر على محكات مباشرة ذات فاعلية أقوى ، كالحصيلة الإنتاجية فى القسم الذى يشرف عليه الشخص الذى وقع عليه الاختيار ، أو عدد البحوث التى تنشر فى الحوليات باسم الباحثين الذين وقع عليهم الاختيار .

أما الآن فننتقل إلى موضوع آخر يتعلق بصدق مختلف إجراءات الاختيار ، وعلاقتها بترتيب النجاح فى أداء العمل . تبين البحوث أن **اختبارات الذكاء** تعطى دائماً تنبؤاً جيداً بالأداء فى الأعمال ذات الطابع الإدارى ، ويصل معامل الإرتباط الفعلى إلى ٠,٦ ولكنه يقل عن هذا إذا كان المتقدمون لشغل العمل متشابهون فى نسب ذكائهم . وينطبق هذا أيضاً على الملحقين بالأعمال الإدارية فى الخدمة المدنية ، ولو أن الذكاء يرتبط بمقدار ٢٢, فقط بالنجاح(١٧). أما الأداء فى المواقف الجماعية فيعطى مقياساً طيباً لبعض المهارات الإجتماعيـــة التى تتطلبها الأعمال التنفيذية ، ويتراوح ارتباطه بالنجاح التـالى بين ٠,٤ : ٠,٦ أما **اختبارات الشخصية** فمن النادر استخدامها فى بريطانيا ، ولو أنها تشيع فى الولايات المتحدة وفى هذا الصدد يوجه « وايت » Whyte (١٨) نقداً عنيفاً لاستخدام الشركات

الأمريكية للاستخبارات التى لا تقيس أكثر من « الميول الإنبساطية » ، و « فقدان الإهتمام بالجوانب الفنية » ، و « التقبل للعمل » . وقد بين أن رؤساء المؤسسات لا يحصلون على درجات منخفضة على هذه الاختبارات . ولعل من الأفضل تطبيق مقاييس العصابية لأنها أحسن فى هذا المجال . ويقرر بعض المختصين بالإختيار الإدارى ، أن نسبة ذكاء المديرين الناجحين أقل من غيرهم ، لكنهم يتفوقون فى الدافعية ، والمهارات الإجتماعية . لهذا فمن الأفضل وضع إختبارات لهذه المتغيرات .

الآثار الإجتماعية للاختيار

لعل من أهم ، وأقوى نتائج الإختيار الجيد وضع الشخص المناسب فى المكان المناسب . ولا شك فى أن الشركات التى تقوم باختيار هيئتها التنفيذية بعناية ، ستكون أيضاً قادرة على اختيار العاملين بها بعناية ، ومن ثم يرتفع معدل الرخاء فيها . فضلا عن هـــذا فإن طابع المؤسسة سيتغير تماماً إذا اتجه الميل لاختيار التسلطيين ، أو غير التسلطيين ، المتحررين أو المحافظين . وستتأثر أنماط السلوك العلاقات الاجتماعية بانتهاج تلك السياسة تأثراً يفوق كل النتائج الأخرى .

وننتقل الآن إلى بعض آثار أساليب الاختيار على المجتمع عموماً . فلقد شاع إستخدام الطرق السابقة من الاختيار فى السنوات الحديثة وفق المثل لديمقراطية فى إتاحة تكافؤ الفرص ، ووفق المبادىء العلمية فى استغلال المواهب الإنسانية إلى أبعد الحدود . وقد يؤدى هذا إلى نشأة مجتمع « الميرتوكراسى »(*) أى المجتمع الذى تعتمد فيه مواقع العمل والقيمه ، على القدرة ، وليس على مجرد الحظ السعيد ، أو مركز الأسرة وتأثيرها الإجتماعى(١٩) . ولكن العيب فى هذا أن المنخفضين

(*) Meritocracy Society

فى الذكاء فى الطبقات غير العاملة سيخضعون لنفس المصير الذى كان يخضع له أفراد الطبقة العاملة فى الفترات السابقة . فضلا عن هـــــذا ، فإن الموهوبين ، والماهرين فى الطبقات العاملة سينقلون إلى طبقة أخرى بدلا من البقاء فى طبقتهم ليقوموا بدور القيادة والقوة السياسية .

وهناك حل جزئى يتمثل فى استخدام نظرية القرار جنباً إلى جنب عند القيام بالاختيار . فمهما تبلغ الزيادة فى صدق أساليب الاختيار للمدارس أو الجامعات ، فإنها ستنتهى ببعض المضاعفات الإجتماعية والتى منها الشعور بالنقص لدى الذين رفضوا ، وشعورهم بالفشل فى استخدام مهاراتهم الأخرى أفضل استخدام . أما إذا كان هناك توجيه إيجابى للأعمال التى تتطلب قدرة على القيادة أو على المهارة الإجتماعية . والتكنيكية الميكانيكية والفنية ، فإن الأشخاص سيستطيعون دون شك استخدام مهاراتهم أفضل استخدام ، وسيتضاءل حجم الاستهانة بالكثير من الأعمال الشائعة . ولا شك فى أن نشأة « الميريتوكراسية » تعتمد أساساً على التركيز المبالغ فيه على عمومية القدرات مع إعطاء قيمة مبالغ فيها للذكاء العام بمقارنته بالقدرات الأخرى .

ومن الضرورى أن نلتفت هنا إلى هذه الحقيقة وهى : أن الأشخاص الذين يتشابهون فى قدراتهم يختلفون فى سماتهم ، وأمزجتهم ، وميولهم نحو الاعمال التى تناسب تلك القدرات . فكثير من عملية الاختيار يقوم على عمليـــــة **الاختيار الذاتى**(*) : فالأشخاص عادة ما يتقدمون للأعمال التى يحبون أداءها . ولكن كثيراً من المهن تقوم — لسوء الحظ — بوضع جداول مرتبات مختلفة ومتباينة تبايناً ضخماً مما يجعل التقدم للالتحاق بعمل ما لا يعتمد على الرغبة أساساً ... ويؤدى هذا فيما بعد إلى انخفاض فى مستوى الإشباع من العمل . وفى مسح

(*) Self — Selection

إجتماعى على طلبة جامعة أوكسفورد تبين أن كثيراً منهم يفضلون الاتجاه للأعمال الإدارية بالرغم من أن أدائهم كان يؤهلهم للقيام بأعمال التدريس[٢٠] . ومع أن ذلك كذلك فإن كثيراً من الناس يقومون بأداء الأعمال التى تدر عائداً مالياً قليلا لأنهم ببساطة لا يجدون غيرها .

أما الأفراد الذين لا يتأكدون من حقيقة الأعمال التى تناسبهم فإنهم يتجهون أحياناً للتوجيه المهنى . فتطبق عليهم مقاييس القدرات ، التى ترسم صورة واضحة للأعمال التى يمكنهم القيام بها فضلا عن اختبارات للشخصية كاختبار سترونج للميول(*) . ويمكن استخدام هذا الإجراء أيضاً فى حالة الاختيار بحيث يقع الاختيار أيضا على الصالحين مزاجيا للعمل .

ولا يؤدى نظام الاختيار فى بريطانيا إلى خلق مجمع « الميروتوكراسية » فحسب بل إنه يعمل على استمرار النظام الإجتماعى الطبقى . ويؤكد البعد الإجتماعى بين الأفراد فى الطبقات المختلفة ، بالمقارنة بالدول الحديثة. ويلاحظ كثير من الناس بدهشة أن الرخاء يخلق مجتمعا طبقيا. ولكن للحقيقة فإن الطبقة أيضاً تتأكد دون شك فى نظام الاختيار للتعليم . فتقسيم المدارس إلى مدارس عامة ، وثانوية حديثة ونموذجية يؤدى إلى العزل ما بين الأطفال فى سن مبكرة ، وهذا العزل يتم بسبب ظروف طبقية لا شك فيها . إن الخطوة الأولى الفعالة التى يجب اتباعها للتقليل من حدة النظام الطبقى فى المجتمع هو العمل على إزالة تلك الأنواع الثلاثة فى المدارس ، واستبدالها بنظام المدرسة العامة أو الشاملة . وهناك بديل آخر هو القيام باختيار الأنماط المختلفة من القدرة فى نفس الوقت وفق الخطوط التى أشرنا إليها ، ويؤدى هذا إلى نشأة مدارس مختلفة ، ولكنها متشابهة فيما تمثله من قيمة إجتماعية .

(*) Strong Vocational Interest blank.

الفصل الثانى عشر

أساليب القيادة

تعتبر طريقة تعامل القادة مع معاونيهم من أهم الخصائص فى أى مجموعة ، أو تنظيم ، أو مجتمع ، ومن أكثرها تأثيراً فى سلوك الجماعة على الإطلاق . وسنولى فى هذا الصدد إهتماماً خاصا لدور جماعات المدرسين ، والمشرفين الصناعيين ، والمسئولين عن اللجان وغيرها من جماعات حل المشكلات . ويبين البحث أن الأساليب المختلفة من القيادة تؤثر فى المتغيرات المتعلقة بكمية الجهد المبذول ، وإشباع أعضاء الجماعة ، وقدرة القائد على التأثير . وإذا كان أعضاء الجماعة أنفسهم يتولون الوظائف القيادية فى جماعات أخرى كما فى حالة التنظيمات ذات التدريج الوظيفى . فإنهم غالباً ما يميلون إلى اتباع نفس أسلوب القيادة المتبع معهم . فأساليب القيادة تسود من خلال هذا التدريج[1] . وقد نجحت البحوث فى هذا المجال فى تحديد الاتجاهات أو المهارات القيادية ذات الأثر الفعال ، بالرغم من أن الظروف تقوم بالدور الحاسم أحياناً .

تأثير الأساليب القيادية المختلفة

يختلف القادة فيما بينهم اختلافاً بيناً على كثير من الأبعاد ، لكن الدراسات الإحصائية ، والتجريبية بينت أن بعاداً دون غيرها تلعب دوراً شديد الأهمية ، وتبين البحوث المتجمعة من مواقع مختلفة أن أساليب معينة من سلوك القائد تؤدى إلى نتائج أفضل بالمقارنة بكل أساليبه الأخرى ... وفيما يلى بعض هذه الأساليب :

١ – القيادة الديمقراطية :

وهى ذات فاعلية أشد من القيادة الأتوقراطية (التسلطية) ، والقائد الديمقراطى هو القائد الذى يسمح للجماعة بالمساهمة فى اتخاذ القرارات ، ويستشير أعضاءها قبل القيام بالعمل ، وهو بشكل عام القائد الذى يسمح للجماعة بالتدخل فى صنع سياستها . أما القائد الأتوقراطى (التسلطى) فهو الذى يعطى الأوامر دون استشارة أحد من أعضاء الجماعة ودون تفسير أو توضيح لمغزى تلك القرارات : بعبارة أخرى هو القائد الذى تتركز كل القوة فى يديه ، ويتظاهر بعض القادة بالديمقراطية فيلجأون لاستشارة أعضاء الجماعة ، لكنهم لا يسمحون بنصيحة الجماعة أن تؤثر فى القرارات التى اتخذوها . ومن غير المعروف حتى الآن الآثار التى يتركها هذا الأسلوب . لكن الأساليب الديمقراطية لا تخلو من بعض العيوب . فمن ناحية نجد أن كثيراً من الجماعات لا تستطيع أن تشارك فى اتخاذ القرارات فى كثير من المشكلات . كما فى الجماعات الصناعية ، والتعليمية . ومن ناحية أخرى نجد أن التأكيد على أهمية استشارة الجماعة دفع بالكثير من الكتاب إلى فقدان التبصر بضرورة أن يكون القائد — عادة — قادراً على قيادة الجماعة إما من خلال القرارات التى تصله من رؤسائه ، أو من خلال أفكاره الخاصة . وتزداد الحاجة إلى قدرة القادة على التوجيه ، فى المجموعات الكبيرة ، ومن غير هذا فإن الفوضى قد تسود جو الجماعة[٢] . وعندما يكون هناك اتجاه لاتخاذ قرارات سريعة ، كما فى المواقف العسكرية . فإن القيادة الأتوقراطية تكون ضرورة . وقد كشفت إحدى التجارب أن القادة المعينين فى مواقف المجازفة وعدم اليقين يتصرفون بطريقة أكثر تسلطية ، دون أدنى اعتبار لآراء أعضاء الجماعة[٣] . وفى أحيان كثيرة يكون أعضاء الجماعة غير معتادين على القيادة الديمقراطية ، بل ويقاومونها فى الحقيقة ، ويظهر هذا فى سؤالهم للقائد لكى يوضح لهم أسلوب العمل . وتبين أنه يمكن تدريجياً تحويل العلاج الجمعى من النمط التوجيهى إلى النمط الديمقراطى ، وأن هذا التحويل يجعل العلاج أكثر فاعلية[٤] .

٢ — على القائد أن يقود :

أى أن يكون مصدرا للتأثير ، وأن لا يكون مجرد تابع لرأى الأغلبية . وقد كشفت الدراسات فى المجالين الصناعى والعسكرى عن وجود عامل يطلق عليه « بناء التلقائية »(*) وهو يشير إلى قدرة القائد على توضيح ما يتوقع كل عضو من أعضاء الجماعة القيام به . وقدرته على أن يضع طرق الاتصال والعمل فى الجماعة(٥). والقائد فى بعض المجالات الأخرى . يجب أن يكون قادرا على المساهمة فى حل المشكلات التى تواجه الجماعه .

٣ — على القائد أن يكون متمركزا على العاملين أو شديد الاهتمام بالجماعة:

فهو يجب أن يهتم بصالح جماعته ، وأن تكون له بهم علاقات دافئة(٦). وفى أمور التنظيمات يجب أن يكون قادراً على الأقناع والتفهم ، ولكن دون ميل للعقاب . وفى الوقت الذى يجب فيه أن يكون القائد على علاقات طيبة ، ودافئة بالمجموعة ، عليه أن لا يتحول إلى مجرد شخص عادى ؛ ناسيا موضعه القيادى فى المجموعة . وتبين دراسات متعددة أن فاعلية الجماعة تزداد إذا استطاع القائد أن يبقى نفسه على مسافة إجتماعية معينة من الجماعة(٧) . فإذا ذاب تماماً فى المجموعة ، فإنه سرعان ما يتحول إلى تابع لأراء المجموعة ، وعاجز عن التأثير فيها . وتبين دراسات جماعات المناقشة أن من الصعب على الشخص أن يكون إجتماعياً محبوباً وأن يكون قادرا على التأثير فى الجماعة فى نفس الوقت(٨) .

٤ — ويجب على القائد أن يكون على قدر من الحساسية الاجتماعية (**) :

ومن خلال تلك الحساسية يستطيع أن يشكل وعيه بما يدور حوله ، وما يدور فى أدهان الأشخاص الأخرين ، والتوترات والصراعات التى تسود الجماعة

(*) Spontaneity Structure .

(**) Social Sensetivity .

وغير ذلك . وقد تبين أن الأشخاص القادرين على هذا يسهل اختيارهم كقادة ، كما تزداد فاعليتهم عندما يعينون قادة فى المجموعة (٨) . وتعتمد هذه القدرة إلى حد ما على بعض الصفات الشخصية ، فمثلا تنخفض القدرة على أدراك الشخص الآخر فى حالات التسلطية ، والذهان ، وإصابات المخ . ولكن بالطبع تحسين المهارات الإجتماعية من خلال برامج تدريبية خاصة ، كما أشرنا من قبل . ويمكن التعامل مع الجماعة بكفاءة أكثر إذا كان القائمون بقيادتها يفهمون المبادىء الأساسية التى تحكم فاعلية الجماعات الصغيرة . . وسنناقش هـــذه النقطة بعد قليل .

أنماط العلاقة بين القائد والتابعين

هناك تفاعل كامل بين **القائد و التابع و العمل** ، لـكن من الممكن مع هذا تحديد بعض الأنماط الخاصة المتميزة . من أحد هذه الأنماط إعتماد القائد وحده على **سلطته الرسمية** الخاصة فى عقاب ، وإثابة أعضاء الجماعة . ويشيع استخدام هذا **النمط** فى السجون ، كذلك المنظمات العسكرية ولـكن بدرجة أقل . ونتيجته أن أعضاء الجماعة قد يضطرون لتنفيذ الأوامر ، وقد تـكون غير كافية تماما . غير أن أعضاء الجماعة لا يقومون بالعمل فى هذه الحالة إلا فى وجود القائد ، فيحتاج الأمر إلى عناية فائقة للتأكد من أن العمل يتم إنجازه بنجاح . وتتولد فى ظل هذه الظروف ضروب مختلفة من التوتر ، والسخط ، مما يؤدى إلى ارتفاع نسبة الغياب والمرض ، والابتعاد عن الجماعة ، والعداء نحو القائد (١٠) غير أن تلك القيادة الإكراهية الأتوقراطية تمقتها الغالبية ، ولـكن يفضلها الأعضاء أصحاب الشخصيات التسلطية — فهم يجـــدون أن القادة الأقوياء أفضل لهم ، وأنهم يستطيعون الاعتماد عليهم (١١) .

ومن الدروس التى يجب الإلمام بها أن القائد المعين حديثا لا يستطيع أن يعتمد على سلطته الرسمية وحدها . ولهذا يتمثل النمط الثانى من القيادة فى قدرة القائد على اكتساب **القوة الشخصية** ، كأن تكون هيبته الاجتماعية مرتفعة ، أو أن يكون شخصا مرموقا استطاع الصعود لمركز القيادة بدون مركز رسمى له . وعندئذ ينظر له الاتباع على أنه يجسد مثالياتهم فيتوحدون به . وعندئذ يصبح فى موقف قوى يجعله قادرا على التأثير والاقناع ويسود هذا النمط أحيانا لدى بعض جماعات البحث العلمى التى يقودها قائد ممتاز . ويمكن أيضا أن تكتسب القوة الشخصية بطرق تحتية فإذا نجح الشخص فى العناية بمصالح المجموعة ، فإن قوته تزداد بينهم — وإذا كشف عن قدرته على المساهمة فى نشاط الجماعة بطريقة طيبة فإن درجة تقبل الجماعة لأفكاره فى المستقبل ستزداد . أما إذا كان القائد يتصرف وفق أسلوب التمركز على العاملين دون أن يكون فى موقع يمكنه من تقديم الكثير لمجموعته ، فإن استجابات الأعضاء لا تحمد عقباها (١٣) .

والنمط الثالث هو النمط **الخضوعى** (*) المتمركز على الجماعة ، والديمقراطى ، حيث لا يزيد دور القائد عن دور الرئيس اللبق الكيس ، هذا النمط كان يوصى به علماء النفس الاجتماعى فى وقت ما لأنه كان المقابل للأسلوب القيادى الأتوقراطى — إنما الحقيقة أن هذا الأسلوب لا يمكن اعتباره قيادة على الاطلاق ، صحيح أن القائد يحافظ على السلام فى داخل المجموعة ، ولكنه لا يستطيع أن يفرض أى تأثير . ففى ظل هذا النمط تكون المجموعة سعيدة لكنها لا تكون فعالة .

(*) Submissive .

فهم العمليات الجماعية

تزداد فاعلية القائد القادر على فهم سيكولوجية السلوك فى الجماعة . ومن المهم أولا أن ننظر إلى أعضاء الجماعة لا بصفتهم أفراد ولكن بصفتهم أعضاء فى فريق، يستجيب كوحدة . وعندما يسود الجماعة معيار قوى ، فمن الأفضل للقائد أن لا يحاول التأثير فى أعضاء الجماعة فى اتجاه يختلف لهذا المعيار . لأن تأثير الجماعة فى هذه الحالة يكون أقوى . وحل هذا يكون فى توجيه القرارات الجماعية فالمعيار الأساسى للجماعة يتغير بالمناقشة وقوة القائد على الإقناع تغير المعيار ويؤدى القرار الذى تتخذه الجماعة إلى تجميد المعيار على النقطة الجديدة . وبينما ينجح هذا الأسلوب فى التغيير من الإنتاج أو العادات فإن طريقة قيامه بهذا التغيير لم تتضح بعد . فقد تكون بسبب فاعلية عوامل الاقناع التى يقدمها القائد . وقد تتاح له الفرصة لتحديد المزايا الحقيقية من النمط السلوكى الجديد . وقد تؤدى المناقشة إلى زيادة فى وضوح إدراك الأهداف الجديدة كما تكشف عن ضعف التأييد للمعيار السابق . ويساعد القرار على توجيه ضغوط الجماعة فى اتجاه تحقيق المعيار الجديد بدلا من القديم(١٣) .

ويحتاج القائد إلى الإلمام بجانب آخر من جوانب العمليات التى تحدث فى الجماعة الصغيرة **وهو البناء الداخلى** للتأثير ، والصداقة ، والمركز ، والاتصال . فمن الممكن التأثير فى الجماعة بنجاح أكثر بدراسة بنائها غير الرسمى . ومن الممكن للقائد أن يولى الأهمية الأساسية للتأثير فى الأشخاص الإجتماعيين وذوى الهيبة الاجتماعية فى داخل المجموعة ، لأن هؤلاء يستطيعون التأثير فى الجماعة ، كما أنهم لا يعتمدون كلية على تقبل الجماعة لهم . ولا شك أن جزءاً كبيراً من التوترات ، والصعوبات داخل الجماعات الصغيرة تنشأ بسبب تنظيم

الأبنية غير الرسمية ، ومن المستحيل أن نفهم ما يدور فى الجماعة دون صورة واضحة لتلك الأبنية .

وهناك جانب ثالث يتمثل فى التنبه لمختلف **الحاجات التى يحاول الاعضاء اشباعها فى الجماعة** . صحيح أن الأهداف الرسمية للجماعة ، والتى يحاول القائد أن يحققها للجماعة تتضمن حلولا لمشكلات أو طلباً للمعلومات ، أو تنفيذا لعمل ، غير أن أعضاء الجماعة قد يهتمون مباشرة إلى حد ما بتلك الأهداف ، لكن من المرجح أن تكون أكثر الأشياء أهمية فى نظرهم : علاقاتهم بالأعضاء الآخرين، وتختلف هذه الحاجات فيما بينها اختلافاً بيناً : فبعض الأشخاص يسعى إلى تكوين علاقات اجتماعية دافئة . وبعضهم يسعى للقوة والتأثير . والبعض الآخر يسعى إلى الحماية فى كنف قائد قوى . وقد ينضم الأشخاص للجماعة أصلا بهدف العمل على تحقيق أهداف الجماعة الرسمية ، لكنهم يتحولون إلى الاهتمام بجوانب التفاعل الاجتماعى فى الجماعة فيتجه سلوك المهتمين بالقوة مثلا إلى اتخاذ طريق مختلف عن سلوك المهتمين بالدفء والتقبل . وبالمثل ، فإن سلوك الأعضاء سيختلف من حيث استجاباتهم للقائد ، وتتراوح تلك الاستجابات من العداء نحو كل نماذج السلطة ، إلى التوحد الكامل ، والتبعية العمياء للقائد . ولا شك أن القائد يكون تأثيره كبيراً على الاعتماديين ، والمتوحدين به : ويمكنه أيضاً أن يؤثر على الأعضاء الآخرين من خلالهم

وننتقل **اخيرا** إلى مشكلة هامة تواجه القائد وهى تتمثل فى أسلوب تعامله مع مختلف أنواع الأعضاء السخفاء فى الجماعة . ولعل الدرس الأساسى الذى يمنحنا إياه البحث الاجتماعى ، أن من الأفضل دائماً التعامل عموماً مع الأعضاء بطريقة أخرى غير مجرد فرض القوة . ومن أحد أنماط الأعضاء الشاذة ، الشخص الذى يتحدث كثيراً فى المناقشات الجماعية ، أو الشخص الذى لايقوم بواجبه على نحو

أفضل . ويمكن التعامل مع هذين النوعين باستخدام القواعد غير الشخصية ، والتوقيع الآلى للعقوبات . ويكشف بعض الأعضاء عن عداء شديد نحو القائد ، ويكون من العسير على القائد أن يضبطهم . هذا النوع من الأشخاص عادة ما يكون معتمداً على تأثير الجماعة ، وعلى ذلك فالحل الذى يجب أن يلجأ إليه القائد هو أن يترك للجماعة فرض التأثير الضرورى . ولعل من أهم المشاكل التى تواجه القائد هى وجود الأشخاص السيكوباتيين الذين لا يهتمون بتأثير القائد أو الجماعة ، ويكون لهم تأثير مدمر هدام على نشاط الجماعة . هذا النمط لا يستجيب إلا إلى فرض العقاب المادى ، فإذا تعذر ذلك فيجب عزلهم بقدر الإمكان بحيث لا تنتشر عدواهم على الأعضاء الآخرين .

بعض المواقف القيادية

١ — التدريس :

بالرغم من حاجتنا إلى معرفة واسعة بالآثار التى تتركها أساليب السلوك المختلفة للمدرس ، فإن هناك قدرا كافياً من نتائج البحوث تبين أن المبادىء السابقة تنطبق هنا أيضا بشكل عام . فالقيادة الديمقراطية تتكافأ مع أساليب التدريس التى تسمح بمشاركة التلاميذ ، والتى تركز على اهتماماتهم أكثر من العادة . وقد بينت المقارنات التجريبية بين أسلوبين من التدريس . إن الأساليب التقليدية تؤدى إلى نتائج أكاديمية أفضل ، وفى بعض الأحيان يؤدى الأسلوب المتمركز على الطالب إلى نتائج أفضل[١٤] . غير أنه لا توجد بادرة شك فى أن الأسلوب المتمركز على الطالب يؤدى إلى قدر مرتفع من الثقة بالموقف ، كما يحول الطلاب إلى أكثر وداً ، ويؤدى إلى التحسين من مستوى مهاراتهم الاجتماعية ، وتوافقهم الانفعالى أيضاً كما يجب على المدرس أن يكون مصدرا للتأثير . إذ يمكن تعلم الكثير من المدرس الذى تقبله

الجماعة وتنظر إليه كخبير ، بحيث تثق فيما يقوله . كذلك تزداد فاعليته إذا كان قادرا على شرح الموضوع بوضوح ، وبطريقة منهجية منظمة ، وبعدد من الأمثلة الماهرة . ويجب على المدرس أن يحترم طلابه . وأن يكون قادرا على تكوين علاقات طيبة مع عدد كبير منهم . وتبين إحدى الدراسات التى أجريت فى كندا أن الطلاب الجامعيين — فى تقريرهم للمواقف الطيبة والسيئة — قد أوضحوا أن جو الفصل يكون أفضل ، ويزداد الاهتمام بالمحاضرة ، والقدرة على التعلم إذا كان المحاضر دافئا وودودا ، وإذا كان يولى اهتمامه لأسئلتهم . ويحدث العكس إذا كان المحاضر يحاول أن يظهرهم بمظهر الأغبياء(١٥) . وتبين دراسة أخرى فى أستراليا أن التلاميذ(١٩) إذا أحبوا المدرس فإنهم يحبون مادته . ولكن يجب من ناحية أخرى أن لا يسرف المدرس فى تصيد حب التلاميذ وإعجابهم ، لأن هناك فروقاً حقيقية وقوية بين قيم الأساتذة واتجاهاتهم وبين قيم التلاميذ واتجاهاتهم ، ويؤيد هذا ما تبينه بعض البحوث من أن (عدم الإكتراث) يلعب دورا إيجابيا فى بعض المواقف الاجتماعية الأخرى .

وهناك مشكلة خاصة تتمثل فى حاجة المدرس لاثارة الدافع لدى طلابه ، فى وقت لا توجد فيه حوافز مادية للعمل المدرسى ، وفى وقت لا يمثل فيه نظام المنافسة إلا حلا جزئيا . وترتبط إثارة الدافع للتعلم بنجاح بقدرة المدرس على خلق اهتمام فعلى بمادته . ويمكن تحقيق هذا من خلال حماسه الشخصى ، أو بربط المادة باهتمامات الطلاب ، أو بالعروض البصرية وبتشجيع الطلاب على المشاركة . وإذا كان المدرس على قدر لا بأس به من الجاذبية ، والتأثير ، فسرعان ما سيتوحد به طلابه ، وسرعان ما يتبنون حماسه بسهولة . وتكشف دراسات متعددة عن أهمية شخصية المدرس خاصة فى مواقف التدريس الجامعى ، للراشدين .

وقد صمم الباحثون تجارب متعددة المقارنة بين تأثيرات **الأساليب اللفظية** المدرسين . وبينت هذه التجارب أن المديح ، خاصة أمام الآخرين يؤدى إلى زيادة فى كفاءة الأداء لدى ٨٧,٥٪ من التلاميذ ، أما التأنيب الخاص فيؤثر فى ٦٦,٣٪ ، بينما يؤدى التأنيب أمام الآخرين ، وكل أنواع التهكم ، والسخرية إلى نتائج سيئة[١٧] .

والسؤال التالى لذلك هل يستجيب مختلف الطلاب بنفس القدر لمختلف تلك الحوافز ؟ تبين دراستان إحداهما انجليزية والأخرى أمريكية أن الانطوائيين يستجيبون استجابة أفضل للمديح وغيره من المكافئات المماثلة ، أما الانبساطيين فيستجيبون استجابة أفضل للتأنيب (١٩ ، ١٨) . كما تبين أن كفاءة التأنيب اللفظى تزداد بزيادة العمر[١٩] .

وقد أصبح موضوع كيفية إفادة المدرسين من **العمليات الجماعية** من الموضوعات الهامة . فاستخدام جماعات العمل معاً يؤدى إلى مساهمة كل منهم فى العمل بكل طاقته . ومن الضرورى أيضا أن يشعر التلاميذ بالتقبل وأن يتخلصوا من القلق الجمعى ، وإلا فإن هذا يؤدى إلى تشتيت قدرتهم على التعلم . ويمكن تحسين العلاقات الاجتماعية فى الفصل من خلال إثارة النشاط الذى يتطلب مشاركة جماعية وبإعادة تجمع الجماعة سوسيومترياً بطريقة تمنع الانقسامات . أما الأطفال المنعزلين فيمكن وضعهم بمهارة فى جماعات ودودة ، وإعطائهم أعمالا تجعلهم يحتكون بالآخرين ويتصلون بهم[٢٠] .

٢ — الصناعة :

ناقشنا فى الفصل الثامن المشكلات المتعلقة بالمشرفين ، والمديرين ، لهذا فسنعرض هنا لأساليب القيادة فى هذا المجال باختصار . فقد تبين أن أساليب **المشاركة الديمقراطية** تكون فائدتها كبيرة فى أوقات التغيرات الطارئة فى الأقسام،

فترتفع الحصيلة الانتاجية كما تقل نسبة الانتقال من العمل[٢١]. غـــير أن هناك قدرا محدودا من المشاركة يستطيع العاملون فى المحـــلات التجارية أن يقوموا به فعلا ، خاصة فى حالات الميـكنة المركبة لـكن يمـكن استشارتهم عن تفاصيل تنفيذ الأوامر ، كما يمـكن إعطاؤهم التفسيرات الحقيقية والأسباب وراء هذه الأوامر . وتبين الدراسات القائمة على المقارنة بين المشرفين الذين يقومون بأعمال التخطيط والتنظيم والذين لا يقومون تبين حاجتنا الشديد إلى قيادة إيجابية من المشرفين على غيرهم .

فعندما لا يقومون بوظائفهم تسودهم مشاعر عدم الرضا ، وعدم الـكفاءة ، وقد يتصدى عاملون آخرون للقيام بوظائف التنظيم . هؤلاء الأشخاص عادة ما يطلق عليهم مرءوسوهم مصطلح « رؤساء من القش » . وقد بينا فى موضع آخر أهمية الاشراف المتمركز على العامل فى زياة الحصيلة الانتاجية ، وفى زيادة الإحساس بالرضا عن العمل . وقد تبـــين أن المشرفين المشغولين بالانتاج عادة ما يحصلون على نتائج أسوأ من المشرفين المشغولين برفاهية العاملين ، كذلك تبين وجود أبعاد اخرى من القيادة فى هذا المجال الصناعى ، فالإشراف العام فى مقابل الإشراف على التفاصيل عادة ما يفضـــله العمال ، ويؤدى إلى زيادة فى الحصيلة الإنتاجية ، ولـكن ليس فى كل المواقف ، كذلك يجب فرض النظام بالاقنـــاع القائم على المشاركة الوجدانية ، وتفهم الأسباب العميقة للغياب مثلا ، فذلك أسلوب أفضل من أسلوب فرض العقاب .

وتختلف العلاقات بين القاده وجماعاتهم باختـــلاف طبيعة الاستعدادات الاجتماعية ـ التـكتيكية ، وباختلاف نظام الحوافز ، وباختلاف الخصائص البنائية العامة للتنظيم كدرجة ممارسة المشاركة . ومن أهم جوانب الموقف الصناعى على الاطلاق هوصراع المصالح أو تعارض الاهتمامات بين العمال والادارة . هذا الصراع

يضع المشرف في موقف حرج . ويتطلب هذا منه العمل على ازالة عناصر العداوة ، والمقاومة في الجماعة ، ويمكنه استخدام الطرق التي أشرنا إليها من قبل . ولما كان العمل الصناعي يحتاج إلى مواقع وثيقة من العمل ، وانماط خاصه من التفاعلات الاجتماعية ، فإن هذا قد يؤدى أحيانا إلى إثارة الصراع والتفكك في الجماعة ، ويمكن رؤية هذا من خلال مشرف قادر على الادراك الاجتماعي ، ويمكن معالجته من خلال إعادة توزيع جماعات العمل بطرق أخرى .

٣ - اللجان وجماعات حل - المشكلات :

تتمثل أهداف جماعات حل المشكلات واللجان في الوصول إلى أحسن الحلول للمشكلة ، أو إلى تحقيق أفضل اتفاق ممكن عن الحل ، ويكون هدفها أحيانا متجها إلى اكتشاف الحل ، وأحيانا أخرى إلى تحقيق الانسجام في هذه الجماعة . وعندما يسمح القائد **بالمشاركة الكاملة** في المناقشة من قبل جميع الأعضاء ويشجعها فسيكون هناك اتفاق أكثر في الرأى بين الجماعة ، وستكون حلول أفضل للمشكلات . أما القائد التسلطي فغالبا ما يجعل الأعضاء يعزفون عن تقديم أفكارهم . غير أن على القائد دائما أن يحقق الضبط الكامل في الجماعة . من خلال تأكيده على عدم سيطرة أعضاء قليلين على سير المناقشات ، ومن خلال التصويت على آراء الأقلية . وتبين إحدى التجارب أن الجماعات تصل إلى أفضل الحلول إذا كان يقودها قادة ديمقراطيون متمرسون ، وعادة ما يكون السبب في هذا راجعاً إلى الاستماع لرأى الأقلية(٢٣) . وتبين تجارب أخرى أن أعضاء الجماعة يفضلون المناقشات الموجهة ، والمضبوطة ، لكن بعض اللجان تواجهها أحياناً مشكلات جديدة ، في هذه الحالات فإن الأعضاء لا يجدون بأساً من التخلص عن هذا الضبط في تلك الأحوال(١٣) . وعندما تواجه الجماعات مشكلات تحتاج إلى حلول جديدة حقيقية ، فإنه يجب التخلي مؤقتاً عن توجيه النقد وذلك كما هو الحال

فى جلسات « التوليد الفكرى »(*) وقد تبين أن هذا التخلى يكون عادة مصدراً ثرياً للأفكار الجديدة

أما إذا انتقلنا إلى **دفء القائد** ، فمن الصحيح أنه على جانب كبير من الأهمية فى تلك الأحوال ، لكن العلاقات الدافئة ، والتعاونية بين أعاء المجموعة لا تقل أهمية . وتبين لخوص متعددة أن الجماعات المتعاونة والمتصادقة تصل إلى اتفاق أسرع فى الآراء ، وتحقق قدراً أكبر من الإنتاج ، كما تحقق قدرا أكبر من الجاذبية لأعضائها[٢٤] . هذا التعاون قد يتعذر الوصول إليه إذا كانت آراء الجماعة متباينة تبايناً ضخما ، لكن يمكن إثارة التعاون بالعمل على زيادة التفاعل السار خارج حجرة المناقشة . فأداء تلك الجماعات عادة ما يكون أفضل إذا قامت علاقات طيبة بينها مثل محاولة القيام بالعمل .

وتبين الدراسات على **جماعات البحث** أن الحافز ، والقدرة العلمية للقائد أكثر أهمية من مهارته الإدارية[٢٥] . ويتفق هذا مع نمط التوحد بالقائد . كذلك تبين أن إنتاجية العلماء الصغار تزداد بشكل ملحوظ ، إذا تحقق لهم الاستقلال عن رؤسائهم ، على شرط أن يكونوا على اتصال دائم بهم ، وفى حالة غياب هذا الاتصال يكون تأثير الاستقلال قليلا[٢٦] .

ولما كانت **الجماعات الكبيرة** تتيح فرصة أقل للمشاركة ، فإن جاذبيتها للأعضاء تكون أقل ، كما تقل أيضا فاعليتها فى حل المشكلة ، وعندما يتحقق التماسك فى الجماعة ، فإن نسبة حضور أعضاء الجماعة وعدم تغيبهم يزداد ، لكن يزداد النقاش فيما بينهم عندما تتحدد المشكلات التى تحتاج للحل ، بما تتطلبه من تقسيم للعمل بين لجان فرعية صغيرة .

(*) brain-Storming .

سلوك القائد : أصوله وإمكانية تعديله

لماذا تختلف أساليب القيادة بين القادة ؟ يرجع هـذا الاختلاف جزئيا إلى **العوامل الشخصية** ، فالتسلطيين يتجهون للقيادة الأتوقراطية مثلا ، ويرجع جزئيا أيضا إلى **الخبرة السابقة** بقيادة القائد من قبل والديه وأساتذته ورؤساءه ... الخ ... حيث يتجه عادة إلى محاكاة أساليبهم . وعلى هذا فإن الأسلوب القيادى للشخص يعكس الإطار الحضارى الذى ينمو فيه ، كما يعكس خبراته التنظيمية السابقة .

كيف يمكن تغيير أساليب القيادة ؟

(ا) **الاختيار** : فاختيار الشخص المناسب يمنح التنظيم القائم أو المجتمع القادة المناسبين . وقد بينا فى الفصل الحادى عشر أن أساليب الاختيار الشخصى الحديثة ، تمكن من اختيار القادة المناسبين بدرجة عاليه من الكفاءة ، ومن الممكن أيضا أن نختار الأشخاص الذين يرجح تبنيهم لأساليب معينة : مثلا الأسلوب الديمقراطى ، أو أسـلوب عدم الاكتراث . والفروق بين سلوك القادة فى التنظيمات القائمة والتى تعود إلى الفروق الفردية فى الشخصية يمكن استثمارها فى الاتجاه السليم من خلال الاختيار الصحيح .

(ب) **التدريب** : يمكن أن يغير التدريب سلوك القائد إذا كان يتم وفق خطوط محددة ، وإذا كان رؤساء القادة يؤيدون الأفكار الجديده ، كما بينا فى الفصل العاشر . غير أن هناك عيوب فى تدريب القادة ، فبعضهم يثبت على طريقة واحدة ولا ينجح معه التدريب . وسيتضح لنا فى الفصل الرابع عشر أن أفضـل طريقة لتحقيق التغيرات المناسبة فى التنظيم لا تكون إلا باستبدال القادة . أى تغيير أساليب الاختيار .

(ح) **البناء الاجتماعى** : وهو من المحددات الهامة لأسلوب القيادة ، فبعض المنظمات تتجه إلى الأتوقراطية ، وبعضها الآخر يتمركز — على — العامل ، وهذه الأنماط من السلوك الاجتماعى تعبر جزئيا عن استمرار تقليد معين ، يترك آثاره من خلال الاعتبارات التى يتم على أساسها الاختيار أو التدريب . فضلا عن هذا تؤكد بعض القواعد التنظيمية ، والإجراءات على أشياء مثل درجة السلطة فى المستويات المختلفة ، ومقدار المشاركة أو التمثيل فى الإدارة وهكذا . وسنناقش فى الفصل ١٤ كيف يمكن تغيير البناء الاجتماعى من خلال تغيير البناء الرسمى .

(ى) **سلوك القادة من الصف الثانى** : وهو يتأثر بسلوك القادة من الصف الأول ، الذين يتجهون لمحاكاة رؤسائهم[١] . وتفقد برامج التدريب قدرتها على التأثير ما لم يؤيد تعاليمها القادة فى المراكز العليا ، ويكفى أحيانا أن نقوم بالتأثير فى سلوك ذوى المراكز العليا ، حتى يمكن التغيير فى القادة من الصف الثانى .

الفصل الثالث عشر

تأثير أساليب الاتصال الجمعى

اللقاءات الشعبية ووسائل الاعلام

سنعرض فى هـذا القسم . **اولا** : لتأثير اللقاءات الشعبية . **وثانيا** : لتأثير وسائل الإعلام كالتليفزيون ، والراديو ، والصحافة ، والملصقات الإعلاميـة على السلوك ، والاتجاهات ، والرأى العام . **فاللقاءات الرسمية** بالجماهير كانت من الأساليب التقليدية فى إذاعة الأخبار ونشرها فى كل من المجالين الدينى والسياسى . وقد استخدمت جميع الحركات الايديولوجية فى السابق هذا الأسلوب . ولا تزال اللقاءات الشعبية تستخدم حتى الآن : وقد تبين مثلا فى سنة ١٩٦٠ أن المرشحين للرئاسة فى الولايات المتحدة الأمريكية قام كل واحد منهم على حدة بإلقاء ما لا يقل عن مائة وخمسين خطابا ، حضرها ما لا يقل عن عشرة ملايين شخص[1] .

كما لا تزال الجميات الدينية الإجتماعية تلجأ أساساً إلى استخدام اللقاءات الشعبية **اما اجهزة الاعلام** فتستطيع أن تصل إلى أعداد أكبر وبجهد جسمانى أقل . أما لماذا تستخدم اللقاءات الشعبية حتى الآن ؟ فلأن الـكثيرين يعتقدون أنها أكثر فاعلية فى الجماهير من أجهزة الإعلام . وتبين التجارب بالفعل أن هناك تحسنا أفضل فى تغيير الاتجاهات إذا أعطيت نفس الرسالة بطريق المحاضرة بالمقارنة باستماعها عن طريق الراديو ، أو عن طريق القراءة ، ومن المرجح أن التليفزيون أكثر فاعلية من الراديو ، ولـكنه أقل فاعلية من المحاضرة ، غير أن هذه التصورات تحتاج جميعها للبحث(*) .

(*) أمـكن بالفعل عرض مفصل لأساليب الاتصال الجمعى (٣ ، ٤ ، ٥) وسنشير إلى المواقع الخاصة التى وردت فيها بعض الدراسات والتى لم يتضمنها هذا العرض المفصل .

ولعل من أهم جوانب النقد التى توجه للقاءات الشعبية ، والاجهزة الإعلامية على السواء أن الذين يتلقون الرسالة عادة ما يكونون خاضعين لمبدأ **الانتخاب الذاتى** ، وأنهم يتبنون اتجاهات مؤيدة بادىء ذى بدء . ويصدق هذا بشكل خاص على اللقاءات الشعبية ، بسبب ما تحتاج إليه من جهد أكبر لحضورها . وتبين البحوث أن نسبة الذين يحضرون الاجتماعات السياسية أثناء الانتخابات فى بريطانيا تتراوح بين ١٢ : ١٥٪ ، وأن جميعهم تقريباً ممن انتهوا من تحديد إتجاهم(٦) . ويختلف الحال بالنسبة للجمعيات الدينية الاجتماعية ، حيث تحضر دائماً نسبة جديدة بسبب الضغط الاجتماعى . وتنجح مثل هذه الجمعيات فى تحويل نسبة ٥٪ من الحاضرين ، ولو أن تأثيرها كان أكبر من ذلك بكثير فى القرن التاسع عشر فى ظل الاساليب العنيفة والمثيرة التى كانت تلجأ إليها(٢)

أما **ضمان استمرار التغير** فى الإتجاه عن طريق اللقاء الشعبى فيعتمد على عوامل عدة . فبينما تعمل اللقاءات ذات الإثارة الشديدة على اكتساب عدد كبير من المؤيدين ، فإن تأثيرها لا يدوم طويلا . غير أنه يبقى لتلك الاجتماعات دورها فى تقوية العقيدة ، وإذكاء الحماس لها ، وإعطاء القدرة على المحاجاة العقلية التى تؤثر فى الآخرين حتى وإن كان الحاضرون من المؤيدين أساساً .

وقد نما استخدام **طرق الاعلام** كما نما التفنن فى استخدامها ، واستغلالها فى التأثير . لقد تبين مثلا أن ٧٠ مليون شخص قد شاهدوا مناقشات التليفزيون بين كيندى — ونيكسون(١) . وتبين الإحصائيات أنه فى عام ١٩٦٠ كانت نسبة من يمتلكون جهازاً للتليفزيون فى أمريكا ٨٨٪ فى مقابل ٨٠٪ من العائلات الإنجليزية سنة ١٩٦٢ . بمتوسط مشاهدة التليفزيون بما لا يقل عن ساعتين يومياً . صحيح أن الإذاعة والصحافة تغطيان أعداداً أكبر ، لكن الوقت الذى يقضى فيها أقل من ذلك بكثير . أما الملصقات والمنشورات الورقية فهى تستخدم أيضاً

بكثرة : فنى خلال الانتخابات البريطانية سنة ١٩٥٩ وقبلها تبين أن **الملصقات** ، **والمنشورات** التى وزعت من قبل الأحزاب تجاوزت الملايين[٧] . وتعتبر هذه أول محاولة انجليزية تستخدم فيها الأساليب الحديثة من الاقناع الشعبي على أوسع مدى فى الانتخابات العامة .

وتكمن القيمة الأساسية لهذا الطريق فى أن عامل الاختيار الذاتى لا يلعب دوراً كبيراً فيها كالذى يلعبه فى حالة اللقاءات الشعبية . **فالراديو والتليفزيون** بشكل خاص يصلان إلى كل الأطراف ، على فرض أن الأشخاص لا يقطعون الإرسال عندما يصدر من الطرف المعارض . أما **الصحف** فهى على درجة متوسطة من الانتشار ، ويتوقف توزيعها على الاهتمام السياسى ، لأن الكثيرين لا يشترون الصحف التى يتفقون مع نظرتها . **الملصقات والاعلانات** فتصل إلى أعداد أكبر حتى من بين غير الراغبين فيها أو المعارضين لها . فأجهزة الإعلام بالمقارنة باللقاءات الشعبية تغطى نسبة أكبر لكن تأثيرها أقل .

وهى نادراً ما تنجح فى تحويل الأشخاص إلى وجهة نظر معارضة ونادراً ما تنجح فى خلق أفكار جديدة أو فى إقناع الجمهور فى التغير فى الاتجاه من جانب إلى جانب آخر[٤]. غير أن التعرض للاختبار من جانب صحيفة واحدة فترة طويلة من الزمن قد يساعد على تشكيل الاتجاهات ، طالما لا توجد محاولة للتحقق من الطريقة التى تنتق بها تلك الصحيفة الحقائق وتفسرها. كذلك تؤدى مشاهدة التليفزيون فترة طويلة من الوقت إلى تغيرات خفية فى اتجاه تبنى قيم الطبقة المتوسطة ، وطموحها المادى[٨] وأصبح من الواضح تماماً فى المجال السياسى أن نتائج الانتخابات تتوقف على المهارة فى استخدام أجهزة الإعلام . ومن المعروف أن العنصر الحاسم فى المنافسة الأولية بين كيندى وهمفرى فى فرجينيا تمثل فى قدرة كيندى على الظهور فى كثير من البرامج التلفزيونية[١] . وقد تأثر نجاح « المحافظين » فى بريطانيا دون شك بالحملات الدعائية بين سنتى ١٩٥٧و١٩٥٩ والتى كلفت حوالى نصف مليون جنيه استرليني ، وربما كانت تلك الحملات هى السبب الرئيسى فى تغير نسبة ١٥٪

على الأقل من المقترعين . ومن الصعب تحديد مدى فاعلية الدعاية التجارية ، لكن من المعروف أن أى شركة تتوقف عن الدعاية تنتهى إلى تخفيض الأجور . وتنتهى الشركات التى تستخدم الدعاية بطريقة فعالة إلى زيادة هائلة .

ويتناقص تأثير أساليب الإعلام بمرور الوقت . وعادة ما يصل الهبوط إلى معدل نصف من أمكن تغيير اتجاهاتهم مباشرة . غير أن بعض الأشخاص سرعان ما يغيرون من آرائهم بعد لحظة وجيزة من غياب المؤثر . وتعرف هذه الحالة باسم تأثير « النائم »(*) وتحدث عندما يكون المستمع أساساً من المعادين للمصدر[٣] .

وفى بعض الأحيان لا تؤدى أساليب الإعلام إلى أى تغيير على الإطلاق . فبالرغم من ملايين الدولارات التى صرفت فى الدعاية لعربات فورد المسماة بعربات « ادزل Edsel » فى أمريكا سنة ١٩٥٧ ، فقد سحبت من السوق[٩] . ولا يزال السخط على الحكومات فى بعض البلدان قائماً بالرغم من سيطرتها سيطرة كاملة على كل أجهزة الإعلام. وكذلك سبق أن رأينا أن تربية الصحة العقلية ، واستخدام الدعاية فى مكافحة التعصب العنصرى لا يؤديان إلا إلى تغييرات طفيفة فما هى الشروط العملية التى تعمل على إنجاح أساليب الاتصال الجمعى ، أو فشلها ؟ سنجيب على هذا السؤال بالإشارة إلى التجارب الكثيرة التى وضعت بعناية ، ودقة فى هذا المجال .

(*) Sleep effect .

٢ — هيبة المصدر :

تبين مجموعة من التجارب أن الرسالة الواحدة يكون لها تأثير أكبر على اتجاهات المستمع وسلوكه ، إذا كانت آتية من مصدر له هيبته . وعلى هذا فإن نفس المقال عندما ينشر فى صحف متنوعة ذات سمعة مختلفة ، ونفس الخطاب عندما يلقيه مجموعة من المتكلمين ، يكون لكل منهما تأثير مختلف . وتزداد التأثيرات إذا كان المتحدث خبيراً ، أو مخلصاً ، أو ذا سمعة طيبة ، أو إذا كان ينتمى لنفس مجموعة المستمع ، أو محلا للثقة لأى سبب من الأسباب ، وإذا كان محبوباً ومحترما .

وليس من الضرورى دائما أن يكون المتكلم خبيراً ، بل يكفى أن « يتصور » المستمع هذا . ومما يساعد على تشكيل صورة طيبة للمتكلم ماضيه الصادق غير الزائف . وقد يساعد المظهر والأسلوب الجذاب للمصدر على هـذا : كما فى حالة القادة الدينيين الناجحين . كذلك الطريقة التى يقدمه بها المجرب (فى التجارب العملية) ، أو الرئيس للمستمع ؛ والظروف التى يظهر فيها ، بما فيها طريقة عرض المصدر : مطبوعاً أو معروضاً فى الراديو أو التليفزيون . فبمجرد ظهوره فى إحدى تلك الوسائل الإعلامية يساعد على الهيبة ، ويضفى عليه مزيدا من السلطة . كما نجد أخيرا أن طرق العلاقات الإجتماعية تساعد على خلق صورة مناسبة للمتكلم قبل أن يبدأ فى إلقاء خطابه أو حديثه . لقد ظل « بيلى جراهام Billy Graham(*) » سنة كاملة ، دون أن يسمعه أحد فى بريطانيا إلا من خلال الحملات الدعائية ، وعندما بدأ يتكلم هرع الملايين لمشاهدته والاستماع إليه . وسنعرض فيما بعد للأساليب المتصلة فى تشكيل تصورات الجمهور للمصدر .

(*) أحد علماء الاصلاح الدينى .

٢ – شخصية المتكلم :

يلعب هذا العامل دوراً خطيرا فى حالة وجود اتصال مباشر بالمستمع ، كما فى حالة اللقاءات الشعبية (وبدرجة أقل فى التليفزيون) . ولعل من أهم جوانب الشخصية تأثيراً : مهارة المتكلم الاجتماعية فى الحكم على استجابة المستمع ، وقدرته على ضبط الحالة المزاجية لمستمعيه ، وقدرته بشكل خاص على استثارة درجة ما من الإثارة الانفعالية . ولا يستطيع القيام بهـذا الدور شخص هادئ خجول ، انطوائى قلق . فعادة ما يكون المتحدث الناجح ذا شخصية متوهجة ، واثقة بالنفس ، منبسطة ، وربما على قدر من الهوس . ونحن نعرف ما هى متطلبات النجاح فى فى الإقناع ، ولكن يجب أن يكون الشخص القادر على هذا قادرا أيضا على إشاعة السحر والجاذبية من حوله . وفضلا عن تلك المهارات الاجتماعية ، ينبغى أن يقـدم المتكلم الدليل دائما على إخلاصه ، وإيمانه . وبعض القادة الدينيين كانوا دون شك من ذوى الأنماط العصابية أو الذهانية ، وقد أضفى هذا دون شك الكثير على انطباعاتهم وعن إيمانهم أو إلهامهم . كما يلعب الشكل الظاهرى المحض دورا هاما ، وعلى سبيل المثال أدت مشاهدة نيكسون فى الانتخابات الأولى إلى نتائج سيئة بسبب انطباع الخسة الذى أثارته لحيته السوداء ، والظلال أسفل عينيه[1] .

٣ – استثارة الدافع :

ويؤدى هذا العامل إلى تأثير أكبر . وقد قامت بضعة تجارب بدراسة تأثير استثارة القلق . وتبين تلك الدراسات أن التغير فى السلوك أو الاتجاهات يحدث إذا أثير القلق قبل إعطاء الرسالة المقنعة لا بعدها . وإذا زادت استثارة القلق كثيرا قل التأثير . ويختفى التأثير تماما إذا كان الأشخاص أنفسهم من المرتفعين فى القلق(١٠) ، لأنهم ببساطة ينحون الرسالة « المزعجة » بعيدا عن بؤرة تفكيرهم

بسبب عدم قدرتهم على التحكم فى قلقهم . وهم فى ذلك أشبه بالشخص الذى قرأ عن مضار التدخين فى الإصابة بسرطان الرئة فتوقف عن قراءة الجرائد . وتقوم الجمعيات الدينية فى اجتماعاتها باستثارة قلق الموت ، والجحيم، ثم تبين للحاضرين طريق الخلاص ويمكن استثارة بعض الحالات الدافعية الأخرى بطريقة مماثلة : فإذا أمكن استثارة الدافع للعدوان قبل إذاعة الرسالة كان من اليسير على الأشخاص تقبلها . وتشير بعض الدراسات الميدانية على الحملات السياسية إلى أن تأثير الجانب الوجدانى فى الإقناع أكبر من تأثير الجوانب العقلية(١١). وتصدق نفس النتيجة فى حالة الإقناع الدينى ، وقد تبين للكاتب أن تأثير «جراهام بيل» كان يزداد فى اللقاءات المزدحمة(٢) . غير أن تفوق تأثير الإثارة الوجدانية عن الجوانب العقلية لم يتأكد فى التجارب المعملية .

٤ — تنظيم الرسالة :

قامت مجموعة من الدراسات بالمقارنة بين الرسائل البسيطة ذات الجانب الواحد والرسائل التى تقوم على تأييد أو دحض حجج معارضة . فتبين أن تأثير الرسائل يختفى تماما إذا أثيرت الحجج المعارضة بنفس المقدار ، أو أعطى لها نفس الوزن . أما إذا كانت الحجة الرئيسية واضحة فإن الرسائل ذات الجانبين تكون أبلغ أثراً ، خاصة إذا كان الجمهور من النوع المعارض ، وإذا كان متعلماً . فضلا عن هذا ، فإن التأثيرات التى تتركها الرسائل ذات الجانبين تكون أكثر قدرة على مقاومة التغير عند التعرض لدعاية مضادة .

أما هل من الأفضل للمصدر أن يضع الاستنتاجات بنفسه ، أم أن يتركها للجمهور ، فهذا ما لم تتأكد الإجابة عليه بالدليل القاطع . ولكن يبدو أن الموضوع إذا كان واضحاً وبسيطا نسبيا فمن الأفضل أن نتركه للجمهور. أما إذا كان على درجة من التعقيد فمن الأفضل أن يقوم المصدر بالاستنتاج . ويتأثر السلوك الظاهر تأثرا كبيرا بطرق الاتصال التى توحى بالقيام بأعمال نوعية .

ومن المقرر منذ فترة طويلة أن الأجزاء الأولى فى سلسلة من الحجج يكون لها التأثير الأكبر ، لهذا يجب باستمرار تقديم الحجج الجذابة المقنعة فى البداية . ويصدق هذا الأمر بشكل خاص إذا كانت المادة أو الموضوع المروض ، غير مألوف . وإذا كان الجمهور ضعيف الاهتمام به .

٥ — كيف نغير صورة المصدر فى ذهن الجمهور :

تحاول أجهزة الإعلام التأثير فى سلوك الجمهور فيما يختص بالتسويق ، أو الانتخابات باستخدام طريقتين أساسيتين . فهى تحاول أولا أن تبين أن الفعل المطلوب يوصل إلى أهداف معينة . ولا شك أن من السهل توجيه السلوك وفق الحاجات القائمة بالفعل بدلا من خلق حاجات جديدة . وتبين بضعة تجارب أن طرق الاتصال التى تركز على العلاقات القائمة بين الأفعال والأهداف القائمة تؤدى إلى تغير أكثر فى الاتجاه ، خاصة بين المعتدلين فى المعارضة . فقد تغيرت الاتجاهات نحو التدريس فى إحدى الدراسات بعد حديث أبرز أمام الطلاب الفرص فى إشباع الحاجات للتحصيل(١٣). وتستفيد الأساليب الإعلامية من هذا المبدأ ، وذلك من خلال تركيزها على خلق صلة بين شراء السلعة ، وإرضاء الحاجات الرئيسية كالجنس ، والانتماء ، والمركز الاجتماعى . ولو أنها تلتجىء لوسائل مفتعلة ومتعسفة . وتتجه تلك الأساليب أحيانا نحو الاستفادة من الدوافع اللاشعورية باستخدام الرموز الفرويدية . وقد يتخذ البحث عن الدافع — أحيانا — شكل اكتشاف الدوافع ذات القدر المرتفع من الجاذبية بالنسبة للمستهلك . [مثلا قد يتبين أن النساء يشترين الصابون ، ويتكون تفضيلهن لهذا النوع أو ذاك وهن صغار ، وأن إهتمامهن الأساسى به ينصب على التجميل أكثر من النظافة ، ومن ثم يمكن تصميم الخطة الإعلانية عن الصابون وفق هذا التصور] .

أما الهدف الثانى من تكوين أساليب اتصال مقنعة ، فيقوم على التغيير من

صورة الإنتاج ، سواء كان الإنتاج سياسيا أم نوعاً من القهوة . ويقوم وكلاء الإعلام بدور بارز فى الانتخابات الحديثة. وتبين الدراسات التقييمية أنهم ينجحون كذلك فى تعديل صورة السلعة فى عين المستهلك . وقد اتجه الهدف الأساسى لأسلوب الدعاية فى حزب المحافظين الإنجليزى حتى سنة ١٩٥٩ إلى زيادة تأييد الطبقات العاملة بتغيير صورة الحزب فى أذهانهم ولعل هذا ما يفسر هبوط نسبة المؤيدين للحزب من الطبقة الراقية الإنجليزية فى تلك الفترة من ٢٧ ٪ إلى ١٧ ٪(٧). قد أمكن للحزب النجاح فى هذا الاسلوب من خلال مجموعة من الملصقات تمثل صوراً لأشخاص من الطبقة العاملة تبدو عليهم السعادة وعبارات مثل : « أنت تنظر إلى شخص من حزب المحافظين » . وقد اكتشفت إحدى الدراسات الموسومة فى بحوث التسويق أن الإعلان عن القهوة بالربط بينها وبين التعب والإجهاد يترك صورة سيئة لها فى ذهن الشخص ، لهذا تتجه الإعلانات فى الغرب إلى ربطها بالبهجة والنشاط بدلا من ربطها بصور عمال المكاتب المجهدين كما كان سائدا من قبل(١٤) .

ويستطيع السياسيون أو غيرهم من الشخصيات العامة أن يحسنوا من صورتهم فى أذهان الناس باستخدام أساليب ماهرة فى العلاقات العامة ، والاستعانة بأخصائيى الدعاية والصحافة . وعلى سبيل المثال فقد نجح « ايفى لى Ivy Lee » فى تغيير الصورة المنمطة الجامدة عن روكفلر من « امبراطور » للمطاط ، إلى صورة سيد عجوز محب للخير ، ويعشق لعب الجولف ويناصر الشباب . ويمكن تحقيق هذا بعدة طرق منها : الجمعيات الخيرية ، توثيق علاقة الفرد بالشخصيات أو المنظمات الاجتماعية ذات السمعة المحترمة ، والتخطيط بعناية للظهور بمظهر شعبى محترم ... وغير ذلك .

متى تؤثر أساليب الاتصال فى السلوك

١ – شخصية المتقبل :

يتأثر بعض الاشخاص دون غيرهم بالأساليب الإعلامية الاخرى ، بغض النظر عن موضوع الاعلام ، ففى سلسلة من التجارب قام بها كل من « جانيس وفيلد Janis and Field » تبين أن نفس الاشخاص قد أظهروا تأثرهم بعشرة موضوعات مختلفة منشورة فى شكل مقالات صحفية وليس من المعروف حتى الآن ما إذا كان الشخص الذى يتأثر بطريقة إعلاميـة يتأثر أيضاً بالطرق الإعلامية الأخرى أم لا يتأثر ؟ ولو أننا نرجح أن هناك سمة شخصية عامة من « **القابلية للاقناع**(*) » . وتبين تجربة « فيلد وجانيس » ، وغيرها من التجارب التالية أن الاشخاص المرتفعين فى **الاحساس بالنقص** ، وعدم الثقة فى النفس يزيد ميلهم للاقتناع عن غيرهم . كذلك تبين أن الأشخاص **المتسلطين** يقتنعون بسهولة بما يصدر إليهم من الاشخاص المرتفعين فى القوة أو المراكز فى مواقف المواجهة . ويزيد تأثرهم أيضاً بأساليب الاعلام . كذلك نجد أن المنخفضين **فى الذكاء** يزيد تأثرهم بالإعلانات ، وغيرها من الاشـــياء المماثلة من أمثال البرامج التمثيلية « لأورسون ويلز » عن وجود أشخاص يعيشون فى كوكب « مارس » لـكن تأثرهم بالـكلمة المطبوعة أقل . أما الأذكياء فيتأثرون بالحجج العقلية الصادقة ، لـكن على أن تـكون من النوع المركب . كذلك يتأثرون بأساليب الاتصال التى تدور حول موضوعات عميقة . وفى دراسات حديثة تبين أن بعض الاشخاص تزداد حاجتهم « **للوضوح المعرفى** »(**) ، وقد تبين أن هذا النوع تزداد قابليته لتقبل الموضوعات والأفـكار الجديدة . أما الأشخاص المنخفضين فى هذه الحاجة فيميلون إلى تجنب الرسائل التى تتعرض لتلك الموضوعات المسببة للارتباك .

(*) Persuability .

(**) Cogritive Clarity .

أما الاناث فهن أكثر قابلية للتأثر من الذكور . وهناك بعض الدلائل على أن الفروق التي عرضنا لها في الفقرات السابقة تنطبق على الرجال أكثر من النساء وأن قابلية النساء للاقتناع ما هي إلا جزء من دورها الحضارى العام . كذلك تبين أن الأفراد فى الطبقات العاملة أكثر تأثراً بما يرد إليهم من الاجهزة الاعلامية من أفراد الطبقة المتوسطة ، ربما بسبب الهيبة التى تضفيها الطبقة العاملة على تلك الاجهزة .

٢ — طبيعة الاتجاه أو السلوك موضوع التأثير :

يترك نفس المصدر نتائج مختلفة بين الأشخاص المتماثلين فى درجة قابليتهم للاقتناع ويتوقف هذا الاختلاف على نوع الاتجاه أو السلوك المطلوب تغييره . فمن الصعب تغيير الاتجاهات العميقة فى الشخصية ، أى الاتجاهات التى ترضى دوافع قوية . أما الاتجاهات الوقتية المصطنعة بسبب بعض الضغوط الاجتماعية ، فمن السهل تعديلها ، وعلى سبيل المثال فإن الاتجاهات العنصرية إذا كانت عميقة الجذور ، فإن من الصعب التأثير فيها ولو بالعلاج النفسى . كذلك من الصعب تغيير الاتجاهات أو جوانب السلوك التى تعتبر جزءاً من نظام متسق من الاتجاهات الشديدة التماسك . ولو أن من السهل نسبياً تغيير السلوك فى اتجاه أكثر تماسكا من الناحية الوجدانية والمنطقية ، إذا كان هذا السلوك يتعلق بوجود اتجاهات لدى الفرد لا تتسق مع اتجاهاته الأخرى . أما الأشخاص الذى تتعارض اتجاهاتهم تعارضاً متطرفاً مع موضوع الرسالة ، فمن الصعب تغيير اتجاهاتهم ، لأنهم ببساطة يتبعون إتجاهات أقوى من الاتجاهات المطلوب إبدالها بها .

٣ — معايير الجماعة :

وهى تساعد على مقاومة تأثير أجهزة الإعلام ، لأن الأشخاص يتمسكون بمعايير جماعتهم ، ويجعل هذا من اتجاهاتهم صعبة التعديل ، وتبين التجارب أن

موضوعات الاتصال إذا كانت **تختلف** عن معايير الجماعة ، فإن **الأشخاص الذين** يقدرون جماعتهم نادرا ما يتغير اتجاههم ، بل ويزداد تمسكهم بالاتجاهات المعارضة لموضوعات الاتصال . وتبين التجارب كذلك أنه إذا كان غالبية أعضاء الجماعة **معارضين** لموضوع الاتصال ، فإنه حتى السماح بالمناقشة لا يعدل من السلوك تعديلا جذرياً ، غير أن الغالبية إذا كانت **تناصر** موضوع الاتصال ، فإن سماع الأعضاء بالاتفاق أو بالاستحسان كفيل بنجاح تأثير الاتصال . وشبيه بهذا ظاهرة **«مسايرة القطيع»**(*) والتى بمقتضاها يميل بعض الأشخاص إلى الاقتراع على الموضوعات طبقاً لما يتصورون أنه رأى الأغلبية . وتبين الاستبارات المسحية أن هناك أشخاص يميلون ببساطة إلى **الاقتراع مع الأغلبية** ، أو يميلون إلى أن يكونوا مع الجناح الفائز. ولكنه تبين أن جماعات الأقلية التى تتمسك بأفكارها بقوة لا تخضع لهذا التأييد . ومن ناحية أخرى ، فإن نجاح الكثرة فى التأثير فى مقابل القلة يتوقف على رؤية الشخص لمئات الأشخاص وهم متجهين لاتخاذ القرار[٢] . وتنجح بعض الحملات أيضاً فى الإفادة من تأثيرات الجماعة فى تكوين تنظيمات جماعية من المتعصبين عقائدياً لتدعيم وتأكيد التغييرات التى حدثت فى الاتجاهات .

٤ — قادة الرأى :

ويمثلون مجموعة الأشخاص الذين ينقلون التأثير ، أو الذين يستخدمون فى عرض موضوعات الاتصال ، والذين يتقبلهم أصدقاؤهم بصفتهم موضوعاً للثقة فى بعض مجالات السلوك أو الاتجاهات . وقد تبين أن تغيير الاتجاهات يتوقف على الاحتكاك الشخصى ويتأثر به أكثر من التعرض المباشر للاجهزة الاعلامية . ويوجد قادة مختلفين فى المجالات المختلفة ، فالفتيات الصغيرات يعتبرن حجة فى أنواع الأفلام السينمائية ، أما الرجال فتأثيرهم كبير فى مجال السياسة مثلا ..

(*) band waggon .

وهكذا . ويمضى التأثير من قادة الرأى عموماً خلال العدد الكبير من أصدقائهم ، والاهتمامات العامة بموضوعات الرأى . ومن خلال هذين العاملين ينتشر التأثير فى الأفراد الآخرين . فقد تبين على سبيل المثال أن أحداً من الأطباء لم يوصى باستخدام عقار جديد ، دون احتكاك بأحد أصدقائه ممن مارسوا العلاج به(١٦) .

وتبين دراسات « بانيل Panel » أثناء الحملات الانتخابيـة أن هناك بعض الأشخاص أميل إلى تغيير سلوكهم فى الانتخابات دون غيرهم . وهم عادة الاشخاص الذين يتعرضون لضغوط أكثر ، والذين تختلف آراؤهم عن أقرانهم من نفس الطبقة ، أو الاسرة ، أو الاصدقاء ، أو جماعة المهنة(٦) . وفى أثناء الحملات الانتخابية تزداد أهمية تأثير الجوانب السياسية ، لهذا يقوى تأثير أساليب الاتصال الجمعى على آراء الآخرين ، ومن ثم يزداد الضغط على الذين ينحرفون بآرائهم ، مما يرجح استسلامهم . وهناك من الادلة ما يشير إلى عودة « المذبذبين » فى تبنى نفس الاتجاهات التى أعرضوا عنها من قبل ، ولكن هذا يتوقف على مدى تعلقهم بالجماعة وجاذبيتها لهم .

٥ — **الشروط الاجتماعية الاقتصادية :**

تزداد فاعلية تأثير رسالة معينة أو موضوع فى ظروف خاصة . ففى فترات الهبوط الاقتصادى ، يزداد التقبل للأفكار السياسية اليسارية ، وتستغرق بعض المناطق التى تتعرض تعرضا عنيفا للبطالة سنوات عديدة لكى تنسى تلك الخبرة . ونجد من ناحية أخرى ، أن الأشخاص الذين ينظرون إلى أنفسهم على أنهم من من الطبقة المتوسطة ، نادراً ما يقترعون للأحزاب اليسارية لأنها لا تتسق مع وضعهم الاجتماعى ، وذلك بالرغم من أنهم يقومون مثلا بأعمال يدوية . ومن المرجح أيضاً أن يزداد تقبل الأشخاص فى نهاية السلم الاجتماعى للأفكار الدينية وغيرها من الجماعات الدينية الإحيائية . ربما لأن تلك الجماعات تحقق لهم قدراً

مباشراً من التحرر الانفعالى . فضلا عن هذا فإن عقائد تلك الجماعات تشبع لديهم بعض الدوافع . فالاعتقاد بأن هذا العالم سريع الفناء ، وأن العالم الآخر آت لاريب فيه ، وأن طائفة المؤمنين هى التى ستسعد بالحياة الآخرة : كلها أفكار من هذا القبيل[٢] . والحقيقة أن المنخفضين فى السلم الاجتماعى والفقراء يستجيبون سياسيا بإحدى استجابتين : إما للاحزاب السياسية التى تنادى بالتغيير الجذرى (الراديكالية) ، أو للافكار الدينية . أما متى يستجيب الشخص منهم لهذا الاتجاه أو ذاك فهذا يتوقف جزئيا على بناء وسمات الشخص المستجيب ، كما يتوقف على فاعلية طرق الاتصال والإقناع . كذلك يميل الناس لتقبل بعض أنواع معينة من أساليب الاتصال دون غيرها فى فترات الاختلال الاجتماعى . فقد تبين على سبيل المثال أن المذاهب الدينية الجديدة تزدهر بين الريفيين المتوسطين فى العمر الذين ينتقلون إلى المناطق الصناعية سواء فى أمريكا أو فى أفريقيا ، ويقوم نجاح هتلر فى ألمانيا أساساً على الجاذبية التى أحاط نفسه بها بالنسبة للعاطلين والساخطين من مجتمعه ، الذين قدم لهم الزى والمكانة الاجتماعية .

ضبط طرق الإعلام

تعتبر الطرق الإعلامية من أهم مصادر التغيير الاجتماعى . وقد اعتمد ازدهار النازية فى ألمانيا على المهارة فى استخدام اللقاءات الشعبية . أما اليوم فتعتبر إمكانيات التلفزيون أكثر من ذلك بكثير . وتعتبر الإذاعة نموذجاً طيباً لأسلوب الضبط الناجح للبيئة خاصة عندما تراعى العدالة الكاملة فى الوقت المسموح به للاتجاهات السياسية ، وعندما تراعى الاهتمام بأذواق الأقلية واتجاهاتها ، كذلك عندما تستخدم كل الامكانيات التربوية والحضارية السائدة ، غير أن غالبية أساليب الاعلام الدورية الأخرى ليست فى نفس المستوى من الضبط الجيد . فالتلفزيون التجارى ، مع المجلات الدورية ، والصحف توقف كل مجهوداتها على

اجتذاب الجمهور . ولعل هذا هو السبب فى اتجـاهها نحو التبسيط ، وتجنبها لـكل ما من شأنه أن ينفر أى أقلية(١٧) . وعلى هذا فإنها تتجنب كل الأفـكار أو الاتجاهات المعقدة التى لا تمثل أذواق الأغلبية ، لـكى تحافظ على جو يخلو من الصراع ، ولـكى تضمن الانتشار بين الأغلبية . فضلا عن هذا فإن القائمين بأمور الدعاية فى تلك الأجهزة يميلون إلى التركيز على المحتويات ، ويتجنبون المعلومات التى قد تزعج العملاء(٤) .

وهناك دليل أكبر(٨) على أن أجهزة الاعلام تترك آثاراً تراكمية على اتجاهات الأشخاص وسلوكهم ، وعندما يكون الجهاز تحت الإشراف الشعبى كما فى حالة الإذاعة البريطانية ، فإن من الممكن تعديل هذا التأثير فى الاتجاه الذى يتقرر على المستوى السياسى . وعندما لا يكون الجهاز خاضعاً للضغط الشعبى ، فإن محتويات تلك الأجهزة يفرضها الـكسب المادى من ناحية ، والذوق العام فى صورته البدائية .

ويعتبر توظيف أساليب الاتصال الجماهيرى سياسيا ، من بعض المشكلات الخاصة . إذ يجب أن يسـمح بالتساوى للجانبين باستخدام الأجهزة الاعلامية ، كما فى حالة الانتخابات البريطانية سنة ١٩٥٩ ، لأن النتيجة تنتهى دائماً بزيادة فى المعلومات السياسية للجمهور ، ولـكن دون أن يصحب هذه الزيادة تغيير فى الاتجاه السياسى نحو الحزب(١٨) . غير أن قدرة الحزب على الاستفادة من هذه الأجهزة تتوقف فى هذه الحالة على مقـدار ما يملك من ثروة . فالحزب الذى يكون فى موقع مالى أفضل بالنسبة لغيره من الأحزاب يـكون فى موقع أفضل من حيث القوة ، ويتعارض هذا مع المبادىء الديمقراطية .

والخلاصة أن أجهزة الاعلام ذات قدر مرتفع من الأهمية والتأثير بحيث يحتاج الأمر إلى المزيد من الضبط الشعبى لها . ولا يمـكن أن تتم كل التغيرات الاجتماعية والسياسية بالأسلوب الديمقراطى الصحى إلا عن هذا الطريق وحده .

الفصل الرابع عشر

السلوك فى المنظمات الإجتماعية(*)

تعمل كل جماعة اجتماعية صغيرة على تطوير أنماطها السلوكية الخاصة ، وتعتمد المحصلة النهائية ، والعلاقات بين الاعضاء كلية على بناء شخصيات الاعضاء . وعندما ترتبط الاشخاص معاً فى أعداد كبيرة لتحقيق أهداف معينة ، ينشأ عندئذ ما يسمى بالمنظمة الاجتماعية . ففى المصانع ، والوحدات العسكرية والمستشفيات والسجون ، ودور العبادة يشغل الاعضاء مراكز محددة ، أو رتباً ، أو وظائف ، تحكم القواعد الإدارية أو إجراءاتها سلوكهم إلى حد بعيد . وللجماعات غير غير الرسمية قادتها أيضاً . وهم عادة الاشخاص الذين اكتسبوا قدرتهم على التأثير فى الجماعة بفعل قوة الشخصية ، أو القدرة على معالجة مشكلات الجماعة . أما القائد فى المنظمات الرسمية فله سلطته وقوته التى يفرضها على معاونيه من خلال قدرته على ضبط جوانب الثواب والعقاب ، وهى التى تحكم ظهوره ، ومركزه فى الجماعة . وتبتكر الجماعات غير الرسمية خطوطها فى الاتصال : أما فى المنظمات الاجتماعية فإن طرق الاتصال تتقرر دائماً على المستوى الرسمى .

وسنبدأ القسم الاول من هذا الفصل بفحص المبادىء التى تحكم الاتصال فى المنظمات ، أما فى النصف الثانى فسنولى اهتمامنا لمدى قوة تأثير الانواع المختلفة من البناء الاجتماعى ، وإلى أى مدى يمكن تغييرها .

(*) Behaviour in Social organizations .

بعض المبادىء الأساسية التى تحكم السلوك في المنظمات الاجتماعية

١ – الدور الاجتماعى :

تبين أن الاشخاص الذين يشغلون مركزا أو وظيفة متشابهة ، يتشابهون فى سماتهم الشخصية . وفى كثير من المواقف الموحدة — كما فى صفوف التدريب العسكرى والخدمات الدينية ، يمكن التنبؤ بكل دقة بشكل السلوك من مجرد الإلمام ببناء المنظمة الاجتماعية وقواعدها ، بينما لا يؤدى الإلمام بسمات الشخصية المميزة للأفراد إلى فائدة تذكر فى هذا المجال . فضلا عن هذا ، فإن طريقة الشخص فى التصرف لا يمليها أساسا سلوكه الشخصى فى التعامل مع بقية أعضاء الجماعة بقدر ما تمليها مختلف التأثيرات التى تساعد على تشكيل سلوك الاشخاص وفق توقعات الدور الذى تمثله الوظيفة .

والآن ما الذى يؤدى إلى الاختلاف فى سلوك المشرفين العماليين ، واتجاهاتهم وشخصياتهم بالمقارنة مثلا بالاخصائيين النفسيين ، أو رجال الدين ، أو الثوار ، أو متعهدى دفن الموتى ؟ إن **العامل الأول** الذى يحكم هذا الاختلاف هو الاختيار : الاختيار الذاتى وفق الانجذاب الشخصى نحو أداء بعض الاعمال ، والاختيار كما تقوم به المنظمة وفق الاسلوب الذى تحدثنا عنه فى الفصل الحادى عشر . أما **العامل الثانى** الذى يحكم الاختلاف فى الادوار فيقوم على البرامج التدريبية الموضوعة بعناية ، وعلى القوالب الشكلية التى تفرضها طبيعة العمل . أما **العامل الثالث** فيتمثل فى تعرض الاعضاء الجدد للمتطلبات الفعلية للعمل ، فضلا عن الضغوط الاجتماعية فى العمل بصورة معينة ، وقد سبق أن ناقشنا فى الفصل العاشر تلك العمليات المتعلقة بفرض القيام بالدور .

وعندما يقوم شخص ما بالعمل فى وظيفة جديدة ، فإنه عادة ما يتجه إلى القيام بالدور المناسب. بعبارة أخرى يستطيع هذا الشخص أن يدرك ماهو السلوك الملائم ، ويقوم بأداء دوره متعمداً . ويبين «جوفمان Joffman[١]» أن السلوك المهنى يتضمن جانبا تمثيليا أشبه بالدور الذى يلبسه « الجرسون » عند تعامله مع العملاء وهو سلوك يختلف تماما عن سلوكه مع عمال المطعم بالداخل ، ويصبح السلوك المهنى بعد فترة وجيزة سلوكا تلقائيا ، وليس محاولة لأداء دور .

ويتعرض الناس غالبا لما يسمى **بصراع الادوار** ، أى الصراع بين متطلبات الأدوار المختلفة التى يجب أن يقوم بها الشخص ، وذلك كالموازنة بين الوقت الذى ينبغى أن يقضـيه الشخص فى عمله أو مع أسرته ، ويتمثل الصراع أحياناً فى **التعقيدات التى تفرضها الوظيفة** ، كما فى حالة رجال الدين فى الجيش . وهناك دراسة عن صراع الأدوار بين مديرى المدارس التعليمية ، تُبين أن اختيار الحل المناسب يعتمد على مدى اعتبار مجموعة معينة من المتطلبات عرفية ، أو على مقدار ما يتـــلوها من تغييرات قانونية . فبعضهم يولى أهمية أكبر للعرف ، وبعضهم الآخر للقانون[٢] .

٢ — السلوك التفاعلى والاتصال :

تتوقف فاعلية هذا العامل على البناء الرسمى إلى حد كبير . فالشخص ا مثلا الذى يتفوق على ب ، ويكون فى موقع أكبر من القوة . يستطيع أن يفرض عدداً من الجزاءات كضبط الدخل ، أو الترقية ، وربما الفصل : ويزداد فرض هذه الجزاءات من قبل المشرفين على حراسة المسجونين . وفى هذا المناخ نجد أن ب يزداد قلقه لإرضاء ا ، فيمنع عنه الأخبار السيئة ، ويهتم برأى ا فيه ، وقد يشعر أيضا بعداء كامن نحو ا . فإذا كان ا ذا مركز مرتفع عن ب ، ولـكن ليس فى موقع الرئاسة المباشرة ، أو فرض القوة ، فإن جاذبيته لـ ا تزداد ، كذلك تزداد رغبة ا

فى تقوية الاتصال به ، والتأدب معه واحترامه . وإذا تساوى المركز الرسمى لشخصين فإن من المرجح أن تسودهم علاقات التنافس والريبة ، وغالباً ما يفشلان فى التعاون الفعال . ويغلب الصراع أيضاً بين الأشخاص الذين تتيح لهم مواقعهم إختلافات ضخمة فى الاهتمامات ووجهات النظر . وخير مثال على ذلك العلاقة بين المشرفين العماليين القدامى ، وهيئة الإشراف الفنى ، الأصغر سنا ، والأفضل ثقافة مهنية ، بما يفرضه هذا من نظرة مختلفة للاشياء[٣] . وتغلب علاقات الوئام على الأشخاص المتساوين فى المركز ويستقل كل منهما عن الآخر فى نوع العملية التى يقوم بها ، أو يكون كل منهما فى موقع يستطيع أن يفيد منه الشخص الآخر ويساعده . وباختصار فإن معرفة البناء الرسمى ضرورة وبدون تلك المعرفة يستحيل فهم ما يدور فى المنظمة .

٣ — الفروق الفردية فى الدور الاجتماعى :

أكدنا حتى الآن أن الطريقة التى يسلك بها الأشخاص فى المنظمات الاجتماعية بطريقة متسقة ، إنما تعتمد على البناء الرسمى من حيث توزيع القوى والاتصال . إلا أن العاملين فى وظيفة واحدة غالباً ما يختلفون فى سماتهم الشخصية ، وخبراتهم السابقة ، ويقومون بالدور بطرق مختلفة . وأبسط مثال على هذا أن الوقت الذى سيصل فيه الشخص إلى العمل يمكن التنبؤ به من خلال الوقت الذى ستصل فيه الغالبية العظمة من العاملين ، فضلا عن ميل الشخص للتأخر أو تبكيره فى الوصول إلى عمله . وهناك قدر أكبر من التسلط فى فرض الدور فى المنظمات العسكرية ، وكذلك بين عمال المصانع . وعلى هذا فإن التنبؤ بسلوك المجندين أو العاملين يتطلب دراسة مواقعهم على بعد القوة التسلطية ، أو حاجاتهم للقوة والتأثير . فالفرد المرتفع فى هذه الميول غالبا ما يميل باستمرار إلى فرض حاجاته وخلق نمط خاص من العلاقات بأتباعه[٤] ، وقد أشرنا فى موقع آخر إلى نتائج هذا النمط من العلاقات التسلطية .

ومن الممكن المقارنة بين مدى خضوع السلوك لسمات الشخصية ، أو المركز الرسمي . وتبين في دراسة مقارنة لسلوك ضباط البحرية الجدد بعد التعيين، وسلوكهم السابق للتعيين في الوظائف الأخرى ، وفي الاماكن السابقة ؛ تبين أن بعض جوانب السلوك قد يتحدد ظهورها بالاماكن أو الوظائف التي شغلوها . أي أنها تنشأ بسبب المركز الوظيفي . بينما وجدت جوانب أخرى ساهمت في تحديدها سمات الشخصية . أي أنها تحددت شخصيا(٥) . وتتباين علاقات القوة بين الاشخاص — كما افترضنا من قبل — بحسب فاعلية القوة ، وحاجات الاعتماد لدى الاشخاص، كما قد تتأثر بالخبرة في المنظمات الاخرى : كما في الحالات التي ينتقل فيها ضباط الجيش للعمل في المصانع ، أو المرضات إلى الدير . وقد تنحرف طرق الاتصال أيضا نحو أنماط تختلف تماما عما ترسمه المنظمة .

فالعلاقات داخل المنظمات الاجتماعية نادراً ما تسير وفق ما ترسمه المنظمة ، أو وفق ما نتوقعه بحسب تنظيماتها القاطعة لعلاقات السلطة والاتصال . فقد يجد الأشخاص لكل الأسباب التي ذكرناها أن من العسير عليهم أن يعملوا بوئام مع الأشخاص الذين يفترض لهم العمل معهم ، بل قد يجدوا من الأيسر لهم أن يقيموا علاقاتهم بأشخاص لا يرتبطون معهم بعلاقات منافسة أو قوة ، وهناك طريقة لدراسة نمط الاتصال الواقعي ، في مقابل النمط الرسمي تقوم على الاحتفاظ بسجلات الأشخاص في كل فترة من فترات الاتصال، حيث يتم تحليلها فيما بعد(٦). وتبين مثل هذه الطرق أن القنوات الرسمية يمكن تجنبها أحياناً ، أو أن الأوامر الواردة من أعلى قد تتأجل أو تتشوه . وهناك دراسة في الجيش الأمريكي تكشف عن الفشل في الاتصال بين مستويات التدريج الوظيفي . وقد تبين أن الضباط يرتفع لديهم الإحساس بالإشباع من العمل ، كما يرتفع تأييدهم للظروف والتدريبات العسكرية . ولو أنهم ، كانوا أيضاً يعتقدون أن الآخرين يشاركونهم في نفس تلك المشاكل الإيجابية(٧) .

فاعلية الأبنية التنظيمية

١ – أمراض المنظمة :

أى انخفاض قدرة المنظمات على الفاعلية فى التأثير وتتخذ هذه الأمراض مظاهر عدة . لعل أهمها وأكثرها شيوعا **الاجراءات المبالغ فيها** فى تنفيذ القواعد الرسمية وهى مايطلق عليها عادة اسم اللائحة التنفيذية . صحيح أن هذه القواعد والإجراءات تؤدى إلى سرعة وكفاية فى التنفيذ ، لكنها قد تعطل التقدم عندما تتحول إلى غاية فى حد ذاتها . فيضع النظام تركيزا وثقلا أساسيا على مجرد المجـاراة للاشكال المعيارية من السلوك ، بينما تعتمد الترقية على تعضيد الرؤساء فقط ، فيندفع الأشخاص للتملق بالقواعد الموضوعة ويتناولونها على أنها أشكال مقدسة لا تقبل التعديل . ويؤدى هذا بدوره إلى ضياع الوقت ، والشعور بالإحباط عندما يحدث أى عارض جديد ، كما تزداد المقاومة للتغيير فى مواجهة الظروف الجديدة . وقد بين «وايت» Whyte فى كتابه « رجل المنظمة[٨] » أن الشركات الأمريكية الضخمة قد خلقت بدون حصافة نمطا من الإدارة والمديرين الذين يتماثلون مع غيرهم من المديرين الآخرين فى الأدب والكياسة ، ولكنهم افتقدوا القدرة على التلقائية ، وابتكار الجديد من الأفكار . ويؤدى هذا الاتجاه مع زيادة اللوائح التنفيذية والإجراءات التفصيلية التى سبق الإشارة إليها إلى التعامل مع الأعضاء دون النظر إلى مشاعرهم الشخصية ، وبالنظر إليهم كمجرد أعضاء فى قطيع العاملين ، لا كأشخاص متفردين ، ويؤدى هذا بدوره إلى إثارة الشعور بالاضطراب لدى العملاء الخارجين الذين تتعامل معهم المنظمة ، كما يؤدى إلى نقص الإشباع النفسى فى التعامل مع التنظيم .

وقد بين باركينسون Parkinson أن ممثلى الإدارة يميلون إلى التوسيع من دائرة نفوذهم ، بغض النظر عن كمية العمل التى يتم إنجازها فعلا[٩] . غير أن

الدراسات على المصانع ، والمستشفيات ، والمدارس المتفاوتة الأحجام بينت أن المؤسسات الضخمة منها تديرها نسبة ضئيلة من الموظفين الإداريين ، مما يبين أن قانون باركينسون صحيح بشكل عام(٦٠) .

ولعل من أخطر الاستجابات للمنظمة الاجتماعية شعور الأشخاص في المراتب أو الوظائف الدنيا بالاغتراب ، فهم كما بينا من قبل يميلون غالباً إلى الشعور بعدم الرضا على النظام . ولا يشاركونه نفس الأهداف ، ويترتب على هذا أنهم يتورطون في عدد من الحركات المعارضة لسياسة المنظمة كالإضرابات غير الرسمية ، والاعتصامات ، والحد من الطاقة الانتاجية . وقد حدث في إحدى الوحدات البحرية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية ، أن الاجراءات المستخدمة في تلك الوحدة لمهاجمة الغواصات المعادية كانت على درجة من التعقيد ، بحيث كان البحارة يتعرضون للتأنيب القاسي إذا ما فشل أحدهم في تحقيق إحدى تلك الاجراءات المفصلة : وكانت النتيجة أنهم بدأوا يتغافلون عن مهاجمة الغواصات المعادية تجنباً للتوبيخ(١١) . فإذا كان أحد الرؤساء يتصرف بامتعاض دائم واستياء فإن معاونيه غالباً ما يفشلون في تحقيق الصالح ، ويحولونه إلى شخص مضحك من خلال عدم تعاونهم الفعلي دون أن يخرجوا عن القواعد والقوانين الرسمية .

وتوجد أحياناً طرق متعارفة في خرق القواعد القانونية ، يسمح بها الرؤساء لكي يجعلوا الحياة في المؤسسة محتملة . وكمثال على هذا الفهم غير الرسمي للامور ما يحدث في الجيش عندما يقوم أحد الضباط بالتفتيش عن عهدات المجندين ، فيتوجه للمظهر الخارجي في طي البطاطين دون أن يفتش عما بداخلها(١٢) .

٢ — التنظيم الاجتماعي وحاجات الفرد :

تتوقف درجة إحساس الأعضاء بالرضا على التنظيم على **مدى التطابق** بين بين أهداف البناء وحاجات الأفراد . ويمكن النظر إلى المجتمعات ككل وفق

هذا التصور ، فقد تبين على سبيل المثال أن المجتمعات البدائية التى تتبنى إتجاها عدوانيا نحو الحياة تنشىء أطفالها لـكى يكونوا عدوانين فيما بعد ، وعلى هذا فإن الشخص المسالم لايصلح لتلك المجتمعات(١٣) . وتلائم المؤسسات التسلطية كالجيش ، أو السجن الشخصية التسلطية ، أى الشخص الذى يميل للخضوع والاعتماد على من هم أقوى ، والتحفز على من هم أقل . وتبـــدو نفس تلك المنظمات محبطة للاشخاص غير التسلطيين . وتبين تجارب القيادة أن التسلطيين يميلون للقيادة الأوتوقراطية (التى يوجهها فرد واحد) ويفضلونها عن غيرها ، بينما العكس صحيح بالنسبة لغير التسلطيين(١٤) . وفى الحرب العالمية الأخيرة إستاء كثير من الأمريكيين من الفصل بين الضباط والمجندين ، فقد وجد أن هـذا الفصل غالبا ما يتحطم فى الحالات الواقعية ، خاصة فى الوحدات المنعزلة . ويصدق نفس الأمر على الوحدات البحرية ، حيث يعمل الضباط جنباً إلى جنب مع غير الضباط أثناء العمل .

ويبين كثير من الباحثين فى علم النفس الصناعى أن هناك تعارض أساسى بين حاجات الشخصية الناجحة ومتطلبات المنظمات الصناعية(١٥) . فالتوقعات عن العاملين أن يكونوا سلبيين واعتماديين ، وأن تـكون قدرتهم على التحكم فى عملهم أقل ، وأن تـكون لديهم مهارات بسيطة وقليلة . هذه التوقعات تعتبر فى الحقيقة من خصائص الأفراد غير الناجحين ، المتخلفين ، والذين يستطيعون فى الحقيقة القيام بمتطلبات تلك الأعمال الصناعية . ومن الحاجات التى لا يستطيع فى الغالب النظام الرسمى للمنظمات أن يشبعها : الحاجة للانتماء . فالعلاقات غالبا ما تـكون باردة ، وغير شخصية ، بل ويجب أحيانا الحد من تلقائيتها أو العمل على تضييقها لعدم إزعاج الزملاء . ويعتبر هذا بلا شك سبباً فى نمو العلاقات غير الرسمية بين الأفراد الذين لا يرتبطون بعلاقات رسمية . وتقوم تلك الصداقات على عوامل مثل الاهتمامات العامة ، والميول ، والاتصال المستمر .

٣ – أنماط الاتصال :

وهى التى يتم وضعها فى كل منظمة من المنظمات الاجتماعية . وقد أجريت سبعة من الدراسات للمقارنة بين جماعات العمل من حيث أساليب الاتصال المختلفة بينهم ، وفى إحدى هذه الدراسات تمت المقارنة بين مجموعة من خمسة أشخاص انتظمت فى نمط اتصال «مركزى»(*) ، بحيث يتصل أربعة بشخص مركزى واحد ، وذلك فى مقابل مجموعة أخرى انتظمت فى نمط «دائرى»(**) بحيث يتصل كل فرد بمن يجاوره فقط . فتبين أن الأشخاص المركزيين فى هذه الأنماط ، أى الشخص المركزى فى المجموعة « المركزية » الأولى قد أصبح فى موقع قوة من حيث القدرة على ضبط سلوك الجماعة . وقد زادت درجة إشباع العمل لدى الأشخاص الذين احتلوا مواقع مركزية ، وانخفضت لدى الأعضاء الهامشيين فى المجموعة ذات التنظيم « المركزى » . أما الجماعات ذات الاتصال « الدائرى » فلم تتكون فيها قيادات ، كما قلت فاعليتها فى حل المشكلات(١٦) . وفى تجربة قام بها المؤلف بالاشتراك مع موهانا Mohanna تم التغيير المنظم لمدى جاذبية القادة المركزيين فى الجماعات « المركزية » . فوجد أن كفاءة الجماعات المركزية ذات القادة المركزيين غير الجذابين كانت أقل بكثير من الجماعات الدائرية ، لكن الكفاءة تحسنت بعد فترة من الزمن فتفوقت على الجماعات « الدائرية » من جديد ، ولو أن الكفاءة ظلت باستمرار أقل من كفاءة الجماعات « المركزية » ذات القادة المركز بين الجذابين اجتماعيا(١٧) . صحيح أن هذه النتائج قد تمت فى مجال المواقف المعملية التجريبية ، لكن الملاحظات العامة تبين أيضاً أن الأشخاص الذين يحتلون المواقع الأساسية فى أنماط الاتصال ، أو الذين لهم علاقات بمراكز القوى يتحولون أيضاً إلى موقع القوة والسيطرة بالمقارنة بالأشخاص الطرفيين أو الهامشيين وتتخذ المحاولات لزيادة التوظيف الفعال للمنظمة – غالباً – شكل اختلاق قنوات جديدة للاتصال ، كتكوين هيئات استشارية أو غير ذلك .

(*) Spokes pattern . (**) Circular pattern .

ولما كان من المهم تماما العمل على تحسين مختلف أنواع الاتصال ، فقد رؤى أحياناً أن زيادة الاتصال وانفتاحه أفضل فى كل الأحوال . فالأخبار السيئة نادراً ماتصل إلى المراكز العليا ، والرؤساء غالبا مايجهلون حقيقة وضع المستويات الدنيا وحقيقة سلوكهم وآرائهم . غير أن هناك — من ناحية أخرى — بعض الأشياء التى يحسن باستمرار أن لا يتم بشأنها أى نوع من الاتصال . فإذا كان على شخصين أن يعملا معاً فى عمل مشترك ، وكان أحد هذين الشخصين يعتقد أن الشخص الآخر على قدر كبير من الغباء ، فمن الأفضل أن يحتفظ بهذا الرأى لنفسه . وهناك طريق أخرى يؤدى إلى انهيار نظم الاتصال ويظهر عندما تواجه المنظمة مشكلة جديدة ، بحيث لا تصلح لمواجهتها الإجراءات التقليدية التى رسخت من قبل . وقد درس « بيرنز Burns » عدداً من الشركات الكهربائية الاسكتلندية فى حالة : لمورها ونموها السريع[١٨] . وهو يرى أن نمط الاتصال التقليدى المتصلب ضعيف الكفاءة إذا قورن بالنمط المرن الذى يسمح لكل الأعضاء بالمساهمة فى إنجاز العمل المشترك . فى هذا النمط يتجه الاهتمام بصورة أفضل نحو الأفراد أصحاب الآراء والخبرة ، والمعرفة ، بالمقارنة بأصحاب المركز الرسمى . وعندما يتم الاتصال بين أفراد من مراكز مختلفة ، فإن اتصالهم يتخذ شكل الاستشارات الخالصة وليس شكل « إعطاء الأوامر » .

٤ — قيمة البناء الهرمى :

وقد ناقش كثير من الكتاب هذا العامل فى ضوء عدد من البحوث الحديثة . ويتخذ النمط التقليدى للتنظيم الاجتماعى شكل عدد من المستويات المتدرجة ، بحيث لا يسمح للشخص بضبط أكثر من أربعة أو ستة أشخاص أو معاونين ، بتولى الإشراف والتنسيق بين أعمالهم . ولهذا النظام ميزته من حيث أنه يقضى على الصراع بين الأشخاص المختلفين فى القـــدرة أو الأقدمية بحيث يمكن لهم أن يتعاونوا معاً ، غير أنهم قد يفشلون أيضاً فى ظروف خاصة فى التعاون ، فيعزف

العاملون عن تقييم رؤسائهم ، أو عن طلب النصيحة منهم ، خوفا من أن يظهروا بمظهر الجاهل بالأمور ، وبهذا يتعطل الاتصال ، وبدلا من الاتصال يتجه العاملون لتكوين علاقات فيما بينهم فقط ، إلا إذا كانت بينهم صراعات أو مناقشات تمنعهم عن ذلك(١٠) . وهناك شك دائم فى أهمية حاجتنا للرئاسات البيروقراطية فى تنسيق العمل بين المرءوسين . وقد وجد أن من الممكن تحقيق هذا الطريق من خلال الاستشارة بين الأشخاص فى المراكز المتعادلة فى الأقسام المختلفة(١٩) . وفى حالات أخرى يتخذ العمل فى الأقسام شكلا متوازياً وليس شكلا اعتماديا ، بحيث لاتوجد ضرورة للتنسيق بينها .

ولما كان هناك استياء عام من **التنظيمات الهرمية** المتصلبة ، فهل هناك بديل لها ، أو هل يمكن تعديلها ؟ . من الممكن **أولا** التقليل من المسافة الإجتماعية بين مختلف المراكز بتغيير أنماط القيادة ، وأساليب التعامل مع المرءوسين . وكان هذا هو الهدف الجزئى من نشأة « حركة العلاقات الإنسانيــة » التى اكتسبت سمعة سيئة فى بعض الأوساط للنظر إليها على أنها طريق آخر من طرق التلاعب بالبشر . وتقوم كثير من فلسفة العلاقات الإنسانية على ابتكار مختلف الحيل لجعل العاملين سعداء دون القيام بأى تغييرات جوهرية فى الموقف ، ويبين البرهان الذى عرضنا له فى الفصل الثانى عشر — من ناحية أخرى — أن التغييرات الفعلية فى العلاقات مع المشرفين تكون لها آثار كبيرة . ومن أحد هــذه التغييرات العمل على زيادة إختيار السلطة . فقد تبين أنه كلما كان أصحاب المراكز العليا من بين المنتخبين ، كلما كان الأسلوب الإشرافى نشــيطا فى المراكز الدنيا من التدريج(٢٠) . ومن الممكن **أيضا** زيادة القوة الفعلية للمرءوسين من خلال العمل على مزيد من الاستشارة ومزيد من المشاركة الديمقراطية. وتتمثل فى هذه الأساليب التغييرات الجذرية التى يمكن تحقيقها فى البناء الهرمى ، وهى أفضل من محاولة الرؤساء بمعالجة الأمور برسم علامات اللطف واللباقة .

كيفية تغيير البناء الاجتماعى

يتغير البناء الاجتماعى غالبا نتيجة لعوامل غير اجتماعية فى الموقف ، بعض هذه العوامل تكنيكى أو اقتصادى أو غير ذلك ، وسنعرض هنا للمحاولات المتعمدة فى تغيير خاصية البناء الاجتماعى، والتى تقوم على الاعتقاد بأن التعديلات الجديدة ، أفضل باستمرار وأكثر فاعليه . ولعل من أهم التغييرات الاجتماعية ، فى السنوات الراهنة تحويل السجون والمستشفيات العقلية إلى دور علاجيــة ؛ وخلق طرق جديدة من الاستشارة فى مجال الصناعة . وبينما نجد أن هذه التغييرات تلقى تحبيذ غالبية أفراد المجتمع ، بما يعكسه هذا التحبيذ من تغيير فى الاتجاهات نحو السلطة ، فإنها تلقى المعارضة فى داخل المنظمات ذاتها ، وهناك محاولات قليـلة لتغيير بناء المجتمعات ككل ، بالرغم من محاولات تغيير بناء مناطق الجناح فى الولايات المتحدة . ومن عوامل التغيير فى البناء الاجتماعى ما يأتى :

١ — التغييرات المباشرة فى المنظمة :

وتتضمن التعديل المباشر فى خطوط الاتصال والسلطة ، والتغييرات فى مراكز القوى الرسمية للأعضاء ، والتغييرات فى مناهج العمل ، أو فى نظام المكافآت المكفولة . وهناك دليل قوى على أن مجرد التغيير فى هذه الأشياء الرسمية لا يكفى فى التغلب على القوى المعارضة للتغير الاجتماعى ومن الأمثلة الشيقة على هذا ما قام به مأمور أحد السجون من العمل على تغيير البناء التقليدى التسلطى للمنظمة إلى بناء أكثر تحرراً وانفتاحاً بالتركيز على العمل ، والتعليم ، والعلاج[٢١] . فلقد كان يبدو من المستحيل لمدة ثلاثة أعوام متتالية النجاح فى هذا التغيير ، لا لأن الضباط كانوا من المؤيدين للنظام القديم فحسب ، بل إن المسجونين أنفسهم رفضوا التفاعل مع نظام يتطلب منهم التعاون ، والتفاعل مع هيئة السجن ، وتبين

دراسات علم النفس الصــناعى أن إحداث تغييرات فى العمل يصحبها انخفاض فى الكفاية الإنتاجية للمصنع ، وزيادة فى نسبة الاستقالات(٢٢) .

فلماذا تلك المقاومة للتغير ؟ ينتاب الناس أحياناً خوف من التهديد المباشر فالتغيير فى العمل قد يعنى اكتساب مهارات جديدة ، وبطئا فى معدل الآداء ، وانخفاضا فى الكسب المادى فى فترة التغيير . وقد تضع التغيرات فى المنظمة بعض الأشخاص فى موقع يزيد من بعدهم الاجتماعى عن موقع القوة ، أو تعطى بعضهم مسئوليات رئاسية غير متقبلين لها . فالحالة السابقة للمنظمة قد أدت إلى وضع نظام إجتماعى على درجة مرتفعة أو منخفضة من الاستقرار ، أو على درجة مرتفعة أو منخفضة من الرضا ، لكن الأشخاص يترددون كثيراً فى التخلى عنها طالما أن فكرتهم عن النظام الجديد وفاعليته يحوطها الغموض .

٢ — التغير عن طريق الاختيار المهنى :

بينا فى الفصل الحادى عشر أن السمة الأساسية للمنظمة يمكن التعديل منها ببساطة عن طريق الاختيارات الشخصية المختلفة . ولقد أمكن النجاح فى تحويل المستشفيات العقلية إلى منظمات علاجية عن طريق اختيار جماعة جديدة تماما من المرضين ممن ليس لهم أى خبرة سابقة بالعمل بالمستشفيات وتعتبر حالة السجن السابقة نموذجا طيبا للنجاح بفضل مساعدة خمسة ضباط جدد ممن ليس لهم خبرة سابقة بالعمل بالسجون. وبينما نجد أن من الصحيح أن أنماط القيادة تساعد تأثيراتها على الوصول إلى المواضـــع الدنيا فى التدريج ، فإن تأثير تلك العملية يكون محدوداً ، إذا كان السلوك المراد تغييره على قدر كبير الرسوخ فى الشخصية والنظام الاجتماعى .

٣ — التغير عن طريق التدريب :

يمكن التغيير من سلوك المشرفين الصناعيين من خلال المناهج التدريبية خاصة إذا كان الرؤساء يقصدون هذه التغييرات . ومن الممكن التغيير من النظام الشامل المنظمة من خلال هذا الدمج بين مناهج التدريب والتغييرات الرسمية . وقد أمكن بفضل هذا الطريق أن تزداد قدرة المراكز الدنيا على الضبط ، وأن تقل قدرة ذوى المراكز المرتفعة فى أحد المصانع ، وفى أحد المصانع الأخرى أمكن إحداث تغييرات عكسية(٢٣) .

٤ — التغيير بطريق الاقناع :

يمكن تحقيق التغيير فى داخل المنظمة بفضل الأنواع المختلفة من الإقناع ، والتى تتضمن استخدام أساليب الاتصال الجمعى . وفى حالة تحويل نظام السجن السابق إلى نظام جديد ، تم التمكن من ذلك بفضل سلسلة من المناقشات المفتوحة بين الضباط والنزلاء وكان المأمور خلالها يقوم بتوضيح تفاصيل الطريقة الجديدة ، وإجراءاتها . ومن الممكن التقليل من حجم مقاومة العمال الصناعيين للتغير إذا كانوا يشتركون فى وضع القرارات والمناقشات(٢٢) . ولا يؤدى هذا إلى تجنب الشعور بالعزلة عن المشاركة فحسب ، بل ويجعل أيضا من الأشخاص قادرين على تحقيق قدر من الرضا والإشباع من إقامة النظام الجديد .

الجزء الرابع

دراسة التغير الاجتماعي وضبطه



الفصل الخامس عشر

تحليل التيارات الإجتماعية السائدة

طرق التحليل ومصادرها

يعتبر تحليل التغيير الإجتماعى من أهم أنواع البحث الاجتماعى. وتقوم المحاولة المنظمة الوحيدة لجمع البيانات الضرورية لتحليل التغير الإجتماعى — فى انجلترا — بالإستناد إلى الإحصائيات الرسمية ، ومن أهمها : الإحصاء الرسمى العشرى (الذى يتم كل عشرة أعـــوام) . أما فى الولايات المتحدة الأمريـكية فتوجد محاولة تتمثل فى شكل تقرير باسم« التيارات الإجتماعية » ، وضع بتـكليف من الرئيس « هوفر » Hoover سنة ١٩١٢ . ويقع هذا التقرير فى الف وخمسمائة وثمان وستين صفحة . وقد اشتمل على كمية كبيرة من المعلومات ، إعتمدت على البحوث الرسمية والدراسات الميدانية الواسعة .

وهناك — مع ذلك — طرق أخرى لتحليل التغير الإجتماعى وسنشير فيما يأتى إلى أهمها .

طرق الاحصاء الرسمى وهى تعتبر من أهم الطرق لجمع المعلومات عن التيارات الإجتماعية . وتعتمد تلك الإحصاءات على ما يجمع من معلومات عن كل شخص فى الدولة فى فترة زمنية معينة ، ثم نقارن تلك المعلومات بما تجمع من معلومات سابقة من الإحصائيات المبـكرة . وتوضع المعلومات المطلوب جمعها فى شـكل مجموعة أسئلة — يتضمنها استخبار صغير — تدور حول حجم السكان ، وتوزيعهم بحسب السن ، والجنس ، ومنطقة السكن ، وحجم الأسرة ، بحيث يمـكن التـكهن بالزيادات السـكانية فى المستقبل ، وبتوزيعها الجغرافى .

كذلك تتضمن أسئلة عن تركيب الأسرة ، ونوع السكن ، وحالته مع بيانات بعدد المهن التى يشغلها الشخص ، ودخله .

وقد ازدادت الأسئلة فأصبحت تغطى مجالات أوسع خاصة بعد نمو اهتمامات الباحثين الإجتماعيين ، والتنفيذيين بمسائل الإسكان والفقر . ويعتبر الإحصاء البريطانى ١٩٥١ هو أول احصاء رسمى يتضمن أسئلة عن نوع التعليم ، والمسافة من محل الاقامة إلى العمل . وقد تضمن كذلك اقتراحات بامكانية جمع المعلومات من مجموعة كبيرة من الأمور بحسب أهميتها فى أعطاء معرفة احصائية تساعد على التحقق من الحالة المدنية أو الإجتماعية للسكان .

ومن المعروف أن هناك بعض الأخطاء التى تحدث فى الإحصائيات خاصة فى الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بوصف نوع العمل ، إذ يميل الأشخاص إلى إعطاء صورة غير واقعية لكى تبين أنهم على قدر كبير من المهارة والخبرة(٣) .

أما المصدر الثانى للمعلومات فيتمثل فى التقارير والإحصائيات الإجتماعية التى تصدرها المنظمات الإجتماعية فغالبا ماتحتفظ الأقسام الحكومية والمنظمات الصناعية ، والديلنة وغيرها بتقارير ، وإحصائيات تنشرها أحيانا ، وتوضح فيها مقدار الأشخاص الذين يقومون أحيانا بنشاطات معينة ، أو ينتمون لمؤسسة ما فى فترة زمنية محددة .

لكن الخطر فى هذا المصدر هو الاختلاف الذى قد يحدث فى تعريف الفئات أو أنواعها . وعلى سبيل المثال فإن الزيادة التى حدثت فى نسبة الذكور المترددين على الكنائس فى الولايات المتحدة والتى تراوحت بين ٣٦ : ٦٠٪ خلال الأعوام من ١٩٠٠ . ١٩٥٥ كانت بسبب تضمين الإناث والأطفال . فلقد كانت الضريبة الفيدرالية على الكنائس قبل هذا التاريخ تلجىء القائمين بكتابة التقارير

الإحصائية إلى التضييق من تعريف « العضو » لكى تخفض العدد[٤] . ومثال آخر على ذلك أن زيادة نسبة الجريمة ، قد تكون نتيجة الزيادة فى كفاءة الضبطيات البوليسية، كذلك فإن زيادة نسبة الأمراض العقلية قد تعكس الزيادة فى الخدمات العقلية .

وفى بعض الحالات يمكن استنتاج التيارات السائدة يبحث مناطق لم تتغير فيها الخدمات . وفى بعض المناطق يستحيل الكشف عما يدور فيها . كذلك قد تكون الفئات مضللة فالنسبه الكلية للغياب الصناعى ، قد تكون بسبب أمراض حقيقية ، أو النقل من مكان إلى آخر وهكذا . لذلك ينبغى الاعتماد فى استنتاج درجة الغياب الادارى على قياس عدد مرات الحضور والغياب خلال الأسبوع الواحد .

وتتكفل الان « وزارة المسح الإجتماعى » ومعهد « جالوب » ، وغيرها من المؤسسات البريطانية بإجراء بحوث مسحية منتظمة ويتم تدريب القائمين بالإستبارات ، ووضع التبويبات اللازمة ، واختيار العينات ، وتفسير النتائج يتم كل هذا بمهارة مهنية فائقة . وتحتفظ المؤسسات بقوة دائمة من مكاتب الاستبار فى المناطق المختلفة من الدولة ، وتحصل بانتظام على ثلاثة آلاف استبار فى كل مسح من المسوح الإحصائية . أما الخطاء بحوث المسح الاجتماعى ، فهى معروفة وترجع إلى أخطاء فى عدم الاستجابة ، أو الفشل فى تكوين الاتصال المناسب أثناء الاستبار ، وعدم تمثيل العينات تمثيلا جيداً . ولم يتم القيام منذ فترة طويلة بمسوح إجتماعية، لكن من الممكن — مع هذا — استنتاج تيارات الاعتقاد الدينى من خلال المقارنة بين نتائج أنواع مختلفة من المسح[٤] . ومن الممكن أيضاً استنتاج التيارات الإجتماعية السائدة بمقارنة إجابات المستبرين فى الأعمار المختلفة . فالنسبة المئوية للاناث اللاتى قمن بممارسة الجنس قبل الزواج

بلغت ٤٣٪ لمن ولدن فى الفترة ما بين ١٩٢٤ : ١٩٣٤ فى مقابل ١٩٪ فقط لمن ولدن قبل سنة ١٩٢٤(٥) . لكن ليس من السليم استخدام هذه الطريقة لقياس الاتجاهات ، والمعتقدات وغير ذلك من الأشياء المتشابهة التى تتغير بتغير العمر .

ولأغراض تتعلق بتحليل التيارات السائدة لايهم أن نعرف كيفية تغير بعض الناس دوناً عن البعض الآخر ، لأن هـذا يخلط التيارات التى ترجع إلى عوامل ارتقائية بتلك التى ترجع إلى الظروف التاريخيـة ، بينما كل ما نوده هو المقارنة بين جماعات من الأشخاص الحاليين بمجموعات متساوية فى فترة سابقة .

وتعتبر أساليب **تحليل مضمون** الصحف العامة ، والأفلام السينمائية ، وكتب الأطفال وغيرها طريقا آخر لا يقل أهميـة عن سابقيه ، بالرغم من أنه لايستخدم بكثرة . ونجد فى أحد فصول تقرير « التيارات الاجتماعية » الأمريكى الذى سبقت الإشارة إليه ، تحليلا شيقا للمتغيرات فى الاتجاهات الدينية ، كما تنعكس فى المقالات الدورية(٦) .

وهناك عدة صعوبات تعترض استخدام هـذا الطريق منها أن : **المطبوعات المنشورة تمثل وجهة نظر اصحابها** وهم عادة طائفة من المتخصصين والـكتاب ، بالرغم من أنهم يحاولون دون شك أن يقدموا لجمهورهم ما يرضيه لـكى يحتفظوا بأماكن عملهم . ومن الأفضل باستمرار الحصول على عدد متنوع . وتختلف من الـكتابات . وهناك **أيضا صعوبة التفسير** : فما الذى يمكن أن نستنتجه عن الدوافع العامة إذا ما عرفنا أن الأفلام المدوانية قد ازداد شيوعها فى المجتمع ؟

وتـكشف **الدراسات الاجتماعية الميدانية** للجيرة ، والمصانع ، والأسرة عن قدر أكبر من الحقائق الخاصة بالعلاقات والسلوك الاجتماعى ، لا يصلح لها أى منهج من المناهج الثلاثة السابقة . وقد بين إحصاء سنة ١٩٦١ الإنجليزى أن هناك

مثلا قدرا أكبر من الأشخاص — عن ذى قبل — يعيشون فى الضواحى ، وفى المدن السكنية ، ولكنه لم يكشف عن كيفية تأثر أنماط العلاقات الاجتماعية بهذا التغير . ولهذا يجب أن نتجه إلى الدراسات الاجتماعية الميدانية التى تقارن الحياة فى المدن السكنية ، بطريقة الحياة السابقة لنفس الأشخاص(٧) . فتحليل التيار السائد يعتمد هنا عادة على المقارنة الداخلية بين الأجيال ، أكثر من اعتماده على الدراسات الإحصائية المتكررة ، لأن هناك حالات ضئيلة من تلك الدراسات الميدانية يمكن تكرارها(٨) .

تفسير التيارات الاجتماعية

كانت تلك هى أهم المناهج الأساسية فى تحليل التيارات السائدة ، لكننا لم نذكر شيئاً حتى الآن عن تفسير تلك التيارات .

يمكن أن يتم هذا أحياناً من خلال **اعادة تحليل البيانات تحليلا غير مباشر** فقد نلاحظ مثلا أن زيادة التعصب العنصرى توجد فى المناطق التى يزداد فيها نمو الأقليات بسرعة فائقة . وفى حالات أخرى . كما فى حالة ازدياد نسبة الجريمة ، لا نعرف بعد التفسير الحقيقى . فهل ترجع تلك الزيادة إلى الزيادة فى نسبة وفيات الآباء وغيابهم أثناء الحرب ، أم إلى إغراءات مجتمع الرفاهية المادية ، وإحباطاته المستمرة ، أم إلى نمو واتساع مجتمع المراهقين . لا يزال البحث — على أية حال — مطلوبا لنكشف الأسباب الحقيقية .

مثال تطبيقى : التيارات الاجتماعية المعاصرة فى بريطانيا :(*)

سنولى اهتمامنا فى هذا القسم للفترة القصيرة الواقعة بين ١٩٥١ — ١٩٦١ لوفرة المعلومات المتجمعة عنها من خلال الإحصاء الرسمى العشرى .

(*) مراجع هذا الجزء : ١ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

تبين أن التيارات الاجتماعية **قصيرة المدى** ، تكون شديدة الحساسية للتحليل بالطرق ، والمناهج التى سبق ذكرها . كما تبين أيضاً أن التغيرات الاجتماعية تحدث بسرعة كبيرة بحيث يمكن الوقت بأن الوقت قد حان لإخضاعها للضغط الاجتماعى .

أما التغيرات الاجتماعية **طويلة المدى** ، فسنعرض أيضاً لها فى هذا السياق ، ولو أن المعلومات المتوافرة عنها فى تلك الفترة غير كافية . ولا يوجد حتى الآن اتفاق على تصنيف فئات التغير الاجتماعى . أما التصنيف الذى سنتبناه فى هذا الجزء فيقوم على عرض التيارات ، والتغير وفق الفئات الآتية :

السلوك الاجتماعى ، والاتجاهات ، والشخصية :

ويتفاوت اكتمال البيانات المتوافرة عن كل فئة من الفئات السابقة من منطقة لأخرى ، ففى بعض المناطق تكتمل تلك البيانات بصورة أفضل من البعض الآخر وفى كل الأحوال سنعمد إلى عرض التيارات السائدة دون تحليل عميق أو مفصل لأن هذا قد يستغرق حيزاً أكبر قد يزيد عن الـ ١٥٦٨ صفحة التى تضمنها التحليل الأمريكى السابق .

السلوك والعلاقات الاجتماعية

١ — نظام الطبقات الاجتماعية وبناؤها :

استمرت التغيرات التى حدثت ببطء منذ بداية القرن فى الاستمرار خلال ذلك العقد ، بدرجة أسرع . واستمر هذا التغير تحت تأثير التشريع التربوى لسنة ١٩٤٤ ، وتحت تأثير أساليب الاتصال الجمعى ، والتغيرات فى البناء الاقتصادى للمجتمع . فقد زاد متوسط الدخل من ٥١٣ جنيه إلى ٩١٥ جنيه استرلينى فقط ،

بالرغم من أن الأسعار قد زادت بنسبة ٥٠٪، ولا زال التفاوت ضخما فى الدخول بالرغم من أن هذا التفاوت أقل مما كان قبل الحرب (ربما بسبب إعادة توزيع الثروة بفضل الضرائب التصاعدية) . وقد زاد عدد الأشخاص الذين يتراوح دخلهم بين ٧٥٠ : ١٠٠٠ جنيه استرليني عشرة أمثال خلال العقد المذكور ، فى مقابل زيادة بمقدار أربعة أمثال للأشخاص الذين يتراوح دخلهم بين ألف جنيه استرليني ، وألفين . غير أن ٧٪ من الأسر لا زالت تعتمد اعتماداً كليا على الإعانات الحكومية ، و ٣٪ بقيت فى نفس المستوى الاقتصادى[١٢] . وتغير توزيع عدد الأشخاص بالنسبة للمهن العملية . فقد زادت نسبة الموظفين وذوى المراتب فبلغت ثلث نسبة الطبقة العاملة ، بينما كانت من قبل حوالى الربع ، بما فى هذا نمو الجماعات المهنية . وزاد الحراك الاجتماعى نتيجة للفرص التعليمية الجديدة ، بحيث أن ثلث الأبناء فقط ينتمون إلى نفس الفئة المهنية للآباء[١٣] وتضاءلت نسبة العاطلين بالوراثة(*) فى الطبقات المرتفعة . وحلت محل تلك الطبقة طبقة عاملة من رجال الأعمال الناجحين ، والمديرين ، والمهنيين . وحدثت أيضاً تغيرات ضخمة فى الطبقة العاملة . فقد ازدادت فرص الكسب أمام العمال اليدويين والفنيين . وأصبحوا يملكون معدات ، وأجهزة مادية لا تقل عن العمال الكتابيين ، والمشرفين والباعة . وهم يضمون أنفسهم فى الطبقة المتوسطة ، ويقترع ٤٠٪ منهم لصالح حزب المحافظين[١٤] . غير أن أسلوبهم المعيشى يتطابق تماما مع أسلوب أفراد الطبقات الوسطى ، فهم لا ينتمون إلى النوادى الاجتماعية ، ولا يستضيف بعضهم البعض الآخر فى المناسبات المنزلية ، وهم لا يختلطون بأفراد الطبقة المتوسطة . ومن العسير تحديد مقدار البعد الاجتماعى بين الطبقات فى بريطانيا فى هذا العقد ، ولو أن الزائرين لا زالوا يعلقون على هذه الفواصل ، بالرغم من التشابه فى الزى ، والأفكار ، والأطر المرجعية التى يقدمها التليفزيون[١٥] .

(*) Idle rich

٢ — العلاقات بالجيرة :

إن حالة التمزق التى كانت تنتاب الأشخاص فى القرن التاسع عشر أصبحت الآن تنتاب أفراد الطبقة العاملة عند الانتقال من مناطقهم السكنية المتخلفة إلى المدن السكنية ، وأصبحت تصيب أفراد الطبقات المتوسطة عند الانتقال إلى الضواحى الخارجية . صحيح أن نسبة من يملكون عربات خاصة قد زادت ، إلا أن المسافة إلى العمل قد زادت أكثر ، فأصبحت تستغرق فى المتوسط ساعة ونصف ساعة لمن يعملون فى وسط لندن . أما أفراد الطبقات العاملة فقد كانوا يقيمون شبكة من العلاقات الهادئة باقربائهم المقيمين فى نفس المناطق . لكنهم عندما انتقلوا إلى المدن السكنية لم يعودوا قادرين على المحافظة على تلك العلاقات ، وأصبح عسيراً عليهم إقامة علاقات وطيدة جديدة . وتتفق التقارير على زيادة الشعور بالعزلة ، وانتشار المرض النفسى فى سكان تلك المناطق الجديدة . ويشير هذا إلى افتقار العمال لأساليب الطبقات المتوسطة فى إقامة علاقات اجتماعية بعيدة عن إطار الأسرة . وربما تكون الزيادة فى نسبة النساء العاملات سببا من أسباب الشعور بهذه العزلة . فعدد النسوة العاملات زاد بنسبة ١ : ٣ مما أدى إلى زيادة فى الطبقة العاملة من النساء ، وبالتالى إلى زيادة الخروج من المنزل . كما يؤدى غياب الضغوط الاجتماعية التقليدية والمعايير إلى سرعة تأثر هؤلاء الأشخاص بالمؤثرات الجديدة والأفكار(١٦) .

٣ — علاقات العمل :

زادت نسبة الموظفين وذوى الرواتب ، بينما قل عدد أصحاب الأعمال الخاصة ، أو المستقلة . وبالمثل تغير بناء الصناعة فلم تعد تتكون من عاملين وعملاء فحسب ، بل أصبح يسودها تدريج منظم من العاملين الذين يقومون بأعمال مختلفة ، وأقدار متباينة من المسئولية . ومع ذلك فإن هــذا التدريج يتوزع بين فئات متعددة .

وهناك تغير مستمر فى نوع السلطة فى المصنع . فحركة العلاقات العامة تضع برامج للمديرين والمشرفين ، مما شجع على المزيد من الديمقراطية ، وعلى نشأة شكل جديد من الإشراف الصـــناعى يتركز على العاملين . كذلك زادت أساليب الاستشارة المتبادلة . أما المصانع التى تمر بتغييرات اجتماعية سريعة فقد استبدلت التدريجات الوظيفية بشكل آخر . فقد أصبح لعدد من الشباب من ذوى الخبرة ، والإعداد الفنى قدر من النفوذ أكبر من الرياسات الرسمية . كذلك تغيرت العلاقات بين عمال المحال التجارية ، نتيجة للمبتـكرات التـكنولوجية كالميـكنة . وقد أدى هذا التغير إلى نتائج متعددة ، لـكن قدراً أكبر من الإحساس بالعزلة أخذ ينمو بسرعة فى بعض الحالات ، فضـلا عن تضاؤل نسبة المشاركة فى اتخاذ القرارات . وتعتبر العضوية إلى جماعات عمل متماسكة مصدراً هاما للاشباع الصناعى فى المصانع ذات البناء التقليدى . وقد أدت « الميكنة » الحديثة إلى اختفاء الأعمال الوتيرية ، وإلى زيادة الأعمال الفنية ، وأعمال المهارة . كما أدت إلى تضاؤل حاجتنا إلى العمال . فزادت نســبة البطالة فى الفترة ما بين ١٩٥١ : ١٩٦١ ، خاصة فى المناطق المنتجة للسيارات . كذلك تغيرت حياة المديرين . فـكما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية حل الشخص المتمركز على الآخرين وعلى المنظمة ، والذى يتلاءم بسهولة مع أفـكار الآخرين ، حل محل الشخص الفردى المتمركز على ذاته .

٤ — العلاقات الاسرية :

لا يوجد دليل على انهيار النظام الأسرى . فقد زادت نسبة المتزوجين ، وزادت نسبة المقيمين فى أسر ، كما ازدادت نسبة الزواج فى الأعمار الصغيرة . غير أن هناك دليل على انخفاض متوســط عدد أفراد الأسرة من ٤,٥ فى سنة ١٩١١ إلى ٣,٢ سنة ١٩٥١ . وحوالى ٤٠٪ من الأسر (أى بما يعادل ٢٠٪ من العدد الـكلى للسكان) تتكون من عضو واحد أو عضوين . وأصبح عدد الأطفال ٢,٢

فى داخل كل أسرة ، بما يشير إلى وجود زيادة فى الميل نحو تحديد النسل . أما نسبة كبار السن الذين يعيشون بمفردهم فقد أصبحت أكبر بكثير من نسبة الذين يعيشون مع أقاربهم . ويهبط متوسط سن الزواج تدريجيا فيصل إلى ٢٥ سنة بالنسبة للذكور ، و ٢٣ سنة للاناث ، وترتفع النسبة قليلا فى حالة الطبقات المهنية بين ١,٥ : ٢ سنة . وقد أدى الاتجاه لتحديد النسل لدى النساء ، والتبكير فى الزواج إلى زيادة فى نسبة النساء العاملات فى سن الأربعين ، حيث يصبح الأطفال فى سن تتيح لهم الذهاب للمدرسة . وزادت نسبة الطلاق منذ سنة ١٩٣٩ نتيجة للتدابير القضائية التى تيسر منه ، ولكن النسبة بدأت تقل تدريجيا فى العقد الأخير لحوالى ٥٪ من الزيجات تنتهى بالطلاق ، لكن ٧٠ ٪ منهم يتزوجون مرة أخرى .

وقد تغيرت العلاقات الاجتماعية فى داخل الاسرة بصورة منظمة ، ففى داخل أسر الطبقة العاملة ، حيث كان يسود الاتجاه نحو التقسيم المتصلب للادوار (فيقوم الزوج بإعالة الأسرة ماديا ، وتقوم الزوجة برعاية المنزل) ، تغيرت العلاقات فأصبحت الزوجة تساهم فى الدخل ، وأصبح الزوج يساعد فى المنزل ، مما أدى إلى زيادة فى التفاعل ، وتبادل المسؤولية ، وبالمثل نجد أن أسرة الطبقة المتوسطة التى كانت تلتزم بنظام العصر الفيكتورى ، الذى يسيطر فيه الزوج على الأسرة اتجهت العلاقات فى داخلها نحو مزيد من الديمقراطية والإنسانية . وقل الاتجاه نحو قضاء وقت للفراغ بعيداً عن الأسرة ، فى الملاهى والنوادى ، بسبب انتشار التليفزيون الذى أصبح يشد أعضاء الأسرة للبقاء فى المنزل خاصة فى أمسيات السبت التى تعرض فيها البرامج المفضلة للمشاهدين . كذلك أدى امتلاك السيارات إلى الإبقاء على التقارب بين أعضاء الأسرة فى العطلات الرسمية وفى عطلات نهاية الأسبوع .

٥ — العلاقات الاجتماعية بين البالغين :

تتمثل أهم التغيرات فى هذا المجال فى نشأة فئة المراهقين . فالشباب بين سن البلوغ والزواج يحسون شعوريا بالانتماء إلى هذه الفئة . ويظهر هذا الانتماء فى الملابس المتميزة ، والالتقاءات الخاصة فى المقاهى ، أو البارات وغيرها ، كما يظهر فى الاتجاه إلى طرح السلطة الأبوية فى سن مبكرة عن ذى قبـــل . ولعل أحد الأسباب فى هذا هو الارتفاع المتزايد للقوة ، نتيجة للعمل المبـكر فى سن السادسة عشر . ويلقى السوق التجارى لزمرة المراهقين فى انجلترا اهتماما واسعاً من العالم التجارى . ويشكل المراهقون الذين يواصلون دراستهم جماعة أخرى متفوقة اجتماعيا ، ولـكنها أكثر صلابة ، وأكثر تمسكا بالمسلك الوجودى المتمرد .

وبالدخول فى سن البلوغ ، يصـــل الـكثير منهم إلى سن النضوج الجنسى فى الرابعة عشر . وتتزوج نسبة كبيرة منهم — بعد ذلك — بعشرة أعوام تقريبا . وتبين بضعة من البحوث أن ٥٠ ٪ من الذكور ، وحوالى ما يقرب من ٣٠ : ٤٠ ٪ من النساء يمارسون الجنس قبل الزواج فى مقابل ٢٠ ٪ فقط من الجيل السابق . وترتفع هذه النسبة فى الطبقة العاملة . وفى المناطق الريفية تحدث نسبة كبيرة من العلاقات الجنسية قبل الزواج بين المخطوبين ، ويؤدى بعضها إلى حدوث الحمل والزواج المبـكر ، وتبين الإحصائيات أن ٢٠ ٪ من الأطفال المبـكريين غير شرعيين . منهم ٦٧ ٪ من أمهات مراهقات(١٨) . وقد تضاعفت نسبة الزواج بين المراهقين فى ذلك العقد ، وينتهى ½ تلك الزيجات بالطلاق(١٩) .

أما نسبة جرائم الجناح فقـــد زادت زيادة مطردة فى تلك الفترة خاصة منذ عام ١٩٥٥ . وتضاعفت نســبة التهم الجنائية للأشخاص بين ١٧ : ٢١ سنة ، وقد زاد العدد الـكلى لجرائم الاغتصاب ضد الأفراد بمقدار ثلاثة أمثالها من قبل لـكن عدد الجرائم التى يرتـكبها المراهقون زادت بمقدار خمسة أمثالها قبل ذلك العقد .

هذه هى أهم التغيرات الإحصائية الملفتة للنظر ، والتى ترجع — جزئيا — إلى التغيرات فى الكفاءة البوليسية ، وغيرها من العوامل غير الرسمية . ومن الطريف أن هناك نمطا مماثلا من التغيير قد لوحظ فى كل دولة من دول العالم فى فى تلك الفترة(٣٠) .

الاتجاهات ، والمعتقدات ، والشخصية

١ — العقيدة الدينية :

هناك اعتقاد شائع بخفوت صوت العقيدة الدينية فى انجلترا . غير أن مقاييس الانتماء العضوى لكنائس ، وحضور الدروس الدينية يبين أن الهبوط المنتظم من سنة ١٨٩٠ ، قد انقلب سنة ١٩٥٠ . فسادت منـــذ تلك الفترة حركة إحياء ونشاط دينى . وقد تبين وجود نمط مشابه فى الولايات المتحدة ، اتفق وجوده مع فترة الرخاء الاقتصادى . ومن المقرر أن كثيراً من مظاهر النشاط الدينى تخلو من المشاعر الدينية الحقيقية ، وتقتصر على مجرد الانتماء إلى مؤسسة اجتماعية محترمة ومع ذلك فهناك دليل على أن المتدينين يتبنون اتجاهات مختلفة ، ونشاطات متنوعة فى أمور الجنس ، والطلاق ، والجريمة ، والسياسة ، مما يدل على أن الاتجاه الدينى لا زال مؤثراً إلى حد ما(٢١) . غير أن نســبة الذين يذهبون إلى الكنيسة بانتظام لا يزيد على ٢٠٪ من السكان ، مما يدل على عدم وجود اتفاق كامل على تبنى الاتجاه الدينى . ومن ناحية أخرى ازداد تأثير العلم ، ونموه تأثيراً بالغاً ، فقد زادت نسبة الأطفال الذين يتخصصون فى بعض الموضوعات العلمية بالمدرسة . ولازال ٩٣٪ من العلماء أحياء ، ويبدى الناس غير المتعلمين تقبلهم تماماً لصوت الدعايات العلمية . كما زاد أيضاً الاهتمام بالممتلكات ، والأجهزة ، والنقود ، وهو اهتمام يبدو متعارضاً مع النظرة الدينية ، التى تخلق إحساساً بالرضا من وجود عالم آخر .

٢ — الاتجاهات العنصرية والقومية :

زادت الحركات الشعبية فى تلك الفترة زيادة مطردة ، وأصبح يهاجر من بريطانيا كل عام ما بين ٩٥ ألف و ١٨٢ ألف مواطن ، إلى كندا ثم استراليا . وتزداد نسبة المهاجرين فى الأزمات الاقتصـــادية أو السياسية . أما نسبة المهاجرين إلى بريطانيا فتتراوح بين ٥١ ألف و ٧٤ ألف ، يأتون من الهند وباكستان . وعلى هـذا فإن الإنجليز الذين يهاجرون يحل محلهم عدد أقل من الأقليات ، والجنسيات . ويتجمع المهاجرون إلى انجلترا فى بعض الأجزاء من لندن ، وغيرها من المدن الـكبرى ، مما أدى إلى نشأة الاضطرابات العنصرية لأول مرة فى تاريخ انجلترا . وفى نفس الوقت من المتوقع أن تؤدى الزيادة الضخمة فى الزيارات السياحية إلى انجلترا والتى بلغت ٣,٥ مليون سنة ١٩٦١ — إلى زيادة فى تحسن العلاقات بالدول الأوربية التى تأتى منها النسبة الـكبرى من تلك الزيارات .

الشخصية والطابع القومى

١ — الذكاء :

ساد القلق قبل الحرب بأن نسبة الذكاء فى انخفاض مستمر ، بناءاً على اكتشاف أن الآباء المنخفضين فى الذكاء ينجبون عدد أكبر من الأطفال . وتبين المقارنة بين أطفال المدارس الاسكتلندية بين عامى ١٩٣٢ و ١٩٤٧ أن هناك فى الحقيقة زيادة محدودة فى الذكاء . ومن غير المعروف السبب فى هذا ، وهل يرجع ذلك إلى التعليم الجيد أم إلى أن النضوج البـكر[٢٣] . وسواء كانت نسبة الذكاء ترتفع أو لا ترتفع ، فإن تزايد التيسيرات التعليمية سيجعل كثيراً من الناس يعملون على تقوية قدراتهم المـكتسبة ومعلوماتهم عن ذى قبل : فعدد الذين يذهبون إلى

المدارس بعد سن ١٥ سنة قد زاد بمقدار الثلاثة أمثال ، بالرغم من أن الزيادة فى الأماكن الجامعية لم تبلغ ٢٥٪ .

٢ — التغير فى الطابع القومى :

لكى نبين أن هناك تغيراً فى الطابع القومى نحتاج لبحوث مسحية متكررة لعينات من القوميات المختلفة باستخدام اختبارات صادقة للشخصية . ولما كان من غير المتيسر القيام بهذا ، فإن معلوماتنا عن هذا الموضوع لا تزال محدودة . وهناك بعض الدلائل على أن الرجل الانجليزى ميال **للخجل والانسحاب** . وقد بين مسح سنة ١٩٥١ أن أكثر من نصف العينة كانوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم « ميالين للخجل بشكل غير عادى » ، وأنهم لا يستطيعون أن يكونوا علاقات صداقة بجيرانهم قبل خمسة أعوام على الأقل من الإقامة فى المنطقة(٢٤) . لكن تغير أنماط العلاقات بسبب حركات شباب المراهقين أدى إلى زيادة فى السلوك الاجتماعى ، والتمركز على الآخرين ، كما أدى إلى انخفاض فى الخجل ، على غرار الأسلوب الأمريكى . ومن المرجح أن أسلوب التنشئة الاجتماعية للأطفال يتجه نحو التساهل ، فإذا نجح ، فإن من المتوقع أن يزداد الاتجاه نحو النضوج الاجتماعى وانخفاض القلق .

أما الاتجاه نحو تناقص **السلوك العدوانى** فى الحياة البريطانية فى القرن السابق فقد انعكس وضعه فى الحقبة الأخيرة ، فاتجه نحو الزيادة فى جرائم العنف ، والاعتداء على الملكية والأفراد ، بالرغم من أن هذه الزيادة قد حدثت من قبل خاصة فى فترات الرخاء الاقتصادى . وتوحى زيادة الاهتمام بالحد من القسوة على الحيوانات والأطفال ، مع انتشار الأفلام العدوانية ، بأن العدوان سيمكن ضبطه بصورة أفضل . ويعتبر **الانتحار** شكلا من أشكال تحويل العدوان وتوجيهه للذات ، وقد زادت نسبته بمقدار ١٠٪ خلال تلك الفترة .

أما **الصحة العقلية** فقـد اتجهت نحو التدهور إلى حد ما خلال تلك الفترة . فقد زادت نسبة التردد على المستشفيات العقلية فبلغت حوالى ٢٩ ٪ بين عامى ١٩٥١ - ١٩٥٨ خاصة بالنسبة لـكبار السن ، وللذهانيين من أفراد الطبقات العاملة . أما نسبة المقيمين إقامة كاملة فقد تناقصت بعد سـنة ١٩٥٤ بسبب قصر فترة الإقامة ، مع تحسن أساليب العلاج (بالرغم من زيادة نسبة الانتـكاس) (٢٥). وتتعلق هذه الأرقام أساساً بالذهان ، ولا تـكشف لنا عن نسبة العصابيين الذين لا يترددون على المستشفى .

طبيعة الحياة

١ — وقت الفراغ :

بالرغم من إنقاص ساعات العمل ، فإن الإنقاص الفعلى لم يحدث : فالعاملون الذكور يعملون ٤٨ ساعة فى المصنع ، والنساء ٤٢ ساعة . فالأشخاص يفضلون الـكسب بزيادة ساعات العمل الإضافية عن وقت الفراغ . غير أن نسبة كبيرة من الأشخاص تعمل خمسة أيام ونصف فقط فى الأسبوع ، وتحصل على أسبوعين أجازة كل عام ؛ فضلا عن العطلات الرسميـة . ومن أضخم التغيرات فى استغلال وقت الفراغ شيوع انتشار مشاهدة التليفزيون : وقد بلغت نسبة الأسر التى تملك جهازاً للتليفزيون عام ١٩٥١ حوالى ١١٪ ، وقفزت هذه النسبة إلى ٨٠٪ سنة ١٩٦٢ أما عدد ساعات مشاهدة التليفزيون ، فقـــد قفزت من ساعتين يوميا إلى ساعتين ونصف بالنسبة للأطفال (٢٦) . أما بالنسبة للبالغين فمن الصعب تحديدها بدقة ، لأن كثيراً من المنازل تبقى العرض مستمراً ، مع مشاهدته بين لحظة وأخرى أثناء القيام ببعض الأعمال الأخرى ، وهناك دراسة أمريكية بينت أنه كلما زاد وقت الفراغ ، كلما زاد وقت مشاهدة التليفزيون (٢٧) .

ومن مظاهر قضاء وقت الفراغ ازدياد انتشار القيام بأعمال منزلية ذات طابع فنى كالديكورات ، ودهان المنازل ، والهوايات ، والتطريز ، ورعاية الحدائق ، ويتم ذلك عادة باستخدام أجهزة القوة الكهربائية .

ومن بين مظاهر قضاء الفراغ خارج المنزل ، الذهاب للسينما ، وحفلات الرقص : وتبين الإحصائيات أن خمسة ملايين شخص يذهبون للمراقص كل أسبوع وأن حوالى ½ السكان يمارسون الألعاب الرياضية أو يشاهدونها . كما أن هناك زيادة فى العضوية فى مختلف أنواع النوادى ، والجمعيات والمؤسسات .

وتعتبر المقامرة من أطرف الظواهر الجديدة التى ظهرت لقضاء وقت الفراغ . وتدل الإحصائيات على أن المراهنات النقدية التى تصرف فى سباق الخيول ، ومباريات كرة القدم ، وكلاب الصيد قد ازدادت بمقدار ٥٠٪ فى السنوات الأربع الأخيرة من ذلك العقد .

أما تعاطى الخمور : فإن ٧٥٪ من البالغين يتناولون المشروبات الكحولية فى الحانات والملاهى أو فى المنزل . ولم تتزايد نسبة تناول البيرة خلال العقد ، لكن تناول المشروبات الروحية قد زاد بنسبة ٥٠٪ .

٢ — الشروط المادية للحياة :

تغيرت تلك الشروط بشكل ملحوظ خلال العقد ، متمشية بذلك مع زيادة الوفرة المادية للسكان . ويشير الإحصاء إلى أن أسرة من كل خمسة قد غيرت مسكنها وانتقلت إلى مسكن جديد ، وفى سنة ١٩٦١ بلغت نسبة من يملكون مساكنهم التى يعيشون فيها حوالى ٣٠٪ أو أكثر ، بمساعدة جمعيات الإسكان . أما عدد السيارات فقد ازداد من ٢,٥ مليون إلى ستة ملايين (بواقع سيارة لكل أسرة من أربعة أسر) . وهناك تزايد مستمر فى امتلاك الغسالات ، والمكانس

الـكهربائية ، والثلاجات ، والتليفونات ، وأجهزة التليفزيون . وقد ازداد مستوى الإنفاق بمقدار ٢,٣ مرة بالنسبة للبضائع المقسطة ، وبمقدار ٢,٨ مرة بالنسبة للانفاق اليومى على العربات . وقد أمكن تحقيق مستوى الإنفاق فى هذه الاتجاهات بالنسبة للطبقة العاملة من خلال نظام التقسيط والقروض . وفضلا عن التزايد الفعلى فى الرفاهية المادية أصبح هناك اهتمام متزايد بالموضوعات المادية ، بسبب الفيض الدعائى والإعلامى المحبذ لأسلوب حياة الطبقة المتوسطة فى المجلات النسائية والتليفزيون . وقد بينا بالدليل فى مكان آخر بأن هـذا الجانب يشكل جزءاً من أسباب تزايد نسبة جناح الأحداث (الفصل الخامس) ومن المتوقع أن يرجع تزايد نسبة المقامرة إلى نفس هذا السبب أيضاً[١] .

٣ — مستوى النشاط الثقافى :

يجمع بعض الباحثين على أن تقاليد الطبقة العاملة ، قد انحلت ، وحلت بدلا منها حضارة « أجهزة الإعلام التافهة ، الخالية من المعنى »[٢٨] . ويحتاج الأمر لبحوث أدق لتكشف لنا بوجه اليقين عن حقيقة هذا الموضوع ، ولو أن البحوث عن تأثير التلفزيون لم تؤيد عموماً هـذا الأمر . وقد تزايدت نواحى النشاط الحضارى فى اتجاهين . الاتجاه الأول يتمثل فى تزايد الإقبال على قراءة الـكتب الأكاديمية والشعبية على السواء . كذلك ازداد الإقبال على شراء المجلات العاطفية المصورة بالنسبة للاناث[٢٩] . أما الاتجاه الثانى فيتمثل فى ازدياد الاهتمام بالموسيقى ، وعدد مرات التردد على صالات الموسيقى ، والفرق الغنائية ، ومحاولة الهواة لتعلم العزف الموسيقى . وتعتبر الحفلات الموسيقية التى تقدمها الإذاعة البريطانية من أحد الأسباب الهامة لهذا الاهتمام المتزايد بالموسيقى .

الفصل السادس عشر

ضبط التغير الاجتماعي

التخطيط الاقتصادى والتخطيط الاجتماعى

عرضنا فى الفصل السابق للتغيرات المثيرة التى حدثت فى المجتمع الانجليزى خلال الحقبة — الثابتة نسبيا — والواقعة بين سنتى ١٩٥١ : ١٩٦١ . وقد لاحظنا من خلال هذا العرض أن نسبة الجرائم العدوانية للجانحين ازدادت بمقدار ٤٠٠٪ ، وزاد الإنفاق على الأجهزة المنزلية بنسبة ١٣٠٪ ، وزاد الالتحاق بمستشفيات الأمراض العقلية بنسبة ٢٩٪ . كما أننا نلاحظ حدوث تدهور ملحوظ فى العلاقات مع الأقليات العنصرية ، ونلاحظ أن نظام القرابة التقليدى بالنسبة للطبقة العاملة ، قد تحطم . كما تغير نظام البناء الطبقى نفسه تغيراً ملموساً خلال تلك الاعوام العشرة .

بعض هذه التغيرات حدثت بإيحاء من التخطيط الدقيق ، والفعال لرجال الاقتصاد . غير أن الغالبية العظمى من هذه التغيرات حدثت دون تخطيط أو تدبير ما نتيجة لتدخل بعض الظروف والقوى الاجتماعية غير المقصودة ، وبسبب التقلب الاقتصادى من الهبوط إلى الرخاء قبل أن يستكشف الاقتصاديون الطرق المناسبة لضبطه . وسنحاول أن نبرهن فى هذا الفصل على أن وسائل ضبط الأمور الاجتماعية أمر ممكن ويسير التناول : ويمكن بعد هذا أن يوضع للمناقشة المناسبة من قبل رجال السياسة وغيرهم ، والقيام بالخطوات الحكومية التنفيذية المناسبة لتحقيق نمط اجتماعى أفضل .

ولنبدأ بعرض أسباب هذا التغير الاجتماعي خلال الأعوام العشرة الأخيرة :

١ — السياسة الاقتصادية :

ذات تأثيرات ضخمة على المجتمع . وهي تتضمن تلك التغيرات العقيدية التي التي حدثت نتيجة لانهيار الطبقة الأرستقراطية ، وإعادة توزيع الثروة من خلال ضريبة الدخل ، والخدمات العامة . كما تتضمن تلك التغيرات غير المتوقعة : كنشأة الطبقة العاملة ، وطبقة المراهقين المستقلين اقتصاديا . ومن المرجح أن تكون زيادة الجناح نتيجة جزئية للتغيرات الأخيرة .

٢ — التشريع الحكومي :

وله أيضاً نتائج اجتماعية غير متوقعة في بعض الحالات . وعلى سبيل المثال فإن التشريع التربوي لسنة ١٩٤٤ قد أتاح فرصة التعليم أمام أطفال الطبقة العاملة ، وعمل على زيادة الحراك الاجتماعي ، وخلق أيضاً اهتماماً واسعاً بالنجاح الأكاديمي وبدأ بهذا يفتح المجال أمام المواهب ، والقيادات العاملة . كما أدت إعادة بناء المناطق السكنية الشعبية إلى تحطيم البناء التقليدي لمجتمع الطبقة العاملة ، وإلى خلق الشعور بالعزلة لدى كبار السن .

٣ — عوامل اجتماعية أخرى :

وهي تمثل القوى الاجتماعية التي لم تنشأ من قبل الدولة أو البناء الرسمي ، ومنها على سبيل المثال : هجرة ما يقرب من نصف مليون مهاجر من الملونين إلى بريطانيا ، مما أدى إلى ظهور التعصب العنصري ، خلال السنوات العشر الأخيرة . ومنها أيضاً انتشار التليفزيون الذي أدى مع التطور الهائل لأساليب الإعلام إلى خلق اتجاهات ، وسلوك مجتمع الرفاهية المادية .

وكما استطاع رجال الاقتصاد أن يضبطوا العوامل الاقتصادية ، فإن من

المفترض أن يكون العلماء الاجتماعيون قادرين على ضبط المجتمع . وبهذا يمكن تحقيق أهداف المجتمع على نحو أفضل ، ودون أى خدش للمبادىء الديمقراطية . وسنناقش فى بقية هذا الفصل دور العالم الاجتماعى فى الجوانب المختلفة ، بحيث نكشف عن دوره وقدراته .

دور العلوم الاجتماعية فى المنظمات الاجتماعية

هناك استفادة ملحوظة من البحث الاجتماعى فى مجال التنظيم الاجتماعى . فالمؤسسات الصناعية الكبرى تستخدم هيئات استشارية ، كما توجد بها أقسام إحصائية ونفسية مستقلة . وتقوم **وحدة مكتب الاحصاء الاسرى** ، مثلا بالتخطيط للبحوث فى مجالات الجريمة وتقدير نجاح مختلف أنواع العلاج . وتقوم الأحزاب السياسية ، والكنائس والشركات التجارية باستخدام خبراء فى الاتجاهات والإقناع ، كما تحتفظ بسجلات دقيقة لجوانب التغير فى المواقف . وتحدد كل مؤسسة أهدافها : كزيادة الإنتاج ، أو المبيعات ، أو الأصوات الانتخابية وغيرها ويطلب من العالم الاجتماعى البحث عن الكيفية المناسبة لتحقيق تلك الأهداف بكل كفاية . هذا فضلا عن الاستفادة غير المباشرة بالبحوث الجامعية من قبل تلك المؤسسات . ولا يقل موقع العالم الاجتماعى عن موقع المهندسين ، والاقتصاديين وغيرهم من الخبراء . وبالرغم من أن الأهداف والمشكلات التى يعمل على تحقيقها ذات نطاق محدود وضيق ، فإن فرصته أكبر بكثير من زميله الباحث المستقل فى مشاهدة نتائج تأثيراته فى السياسة والبناء الرسمى(١) .

ويمكن تقسيم أنواع البحوث التى يقوم بها العلماء والاجتماعيون العاملون فى المنظمات العامة إلى : **تحليل التيارات السائدة ، والبحث الاجرائى والتجريب .** وقد أشرنا إلى أهمية تحليل التيارات السائدة على المستوى القومى ، وتبقى الإشارة

إلى أن غالبية المنظمات الضخمة تحتفظ بتقارير أو أقسام إحصائية من وظيفتها تحديد التيارات السائدة ، ودراسة أسبابها .

ويشير **التحليل الاجرائى** إلى البحوث التى يتم وضعها لدراسة فاعلية الأوضاع أو الأساليب القائمة . وقد أشرنا إلى عدد من الأمثلة لهذا النوع من البحث فى ثنايا الكتاب ، خاصة عند الحديث عن **مناهج التدريب والعلاج** . إذ لما كان الأشخاص ــ مثلا ــ عادة ما يميلون للشفاء أو التحسن التلقائى ، فإن هناك خطر أن يكون للاجراء المستخدم نفس النتائج فيحدث التغير دون القيام بأى إجراءات ، أو علاج على الإطلاق ، كما فى حالة بعض أنواع العلاج النفسى . وعلى هذا فإن القول بأن هناك أسلوب ما قد ثبتت صحته لسنوات عدة ، قول لا يعنى شيئاً على الإطلاق فالناس يميلون إلى تقدير الأمور التى اعتادوا عليها تقديراً انفعاليا متحمساً . فعلى أى منظمة تقوم بصرف مبالغ طائلة على بعض أساليب التدريب أن تخصص — فى نفس الوقت — جزءاً من ميزانيتها لتتبع الدراسات التى تقدر فاعلية تلك الأساليب تقديراً علمياً . وخير مثال على هذا : **الوحدة الاحصائية التابعة لمكتب رعاية الأسرة البريطانى** ؛ التى تقوم بدراسات تتبعية مختلفة الأنواع للعلاج العقابى ، بحيث يمكن إقامة السياسة العقابية ، والقانونية على أسس سليمة .

ومن الممكن أيضاً دراسة نجاح وفاعلية الأساليب القائمة فى ظل شروط مختلفة . ومن الأمثلة على هذا : المقارنة بين تأثيرات التحليل النفسى على مختلف أنواع المرضى ، أو العلاج الجمعى على مختلف أنواع المسجونين . وعندما تتراكم مثل تلك النتائج ، وتتأيد تأييدا شاملا ، يصبح من الممكن تحديد العلاج الملائم للأفراد المختلفين ، كما هو الحال السائد بالنسبة لأنواع العلاج العضوى ، والعلاج بالعقاقير فى ميدان الطب النفسى .

وينطبق ما قيل عن إجراءات العلاج والتدريب بحذافيره على كل عناصر

أنواع الضبط الاجتماعى التى ناقشناها ، كالتنشئة الاجتماعية للأطفال ، والاختبار المهنى ، والقيادة ، والمنظمات الاجتماعيـة وأساليب الاتصال الإعلامى . غير أن هناك عادة صعوبات فى تصميم تلك الدراسات الإجرائية للكشف بوضوح عن حقيقة العوامل ، وحقيقة النتائج المستخلصة ، وعلى سبيل المثال فإن من العسير حقا القيام بالمقارنات الناسـبة لنتائج مختلف أنواع العلاج العقابى ، لأن هناك أساليب مختلفة من العلاج تقدم لأشخاص مختلفين ولو أنه أمكن التغلب على هذا العيب ببراعة من خلال المضاهاة القائمة على استخدام قوائم التنبؤ فى احتمال العودة للجريمة ، والاستفادة بميزة أن الأشخاص المتشابهين خضعوا لأساليب عقابية مختلفة فى محاكم مختلفة ، ومن العسير عادة تفسير بحوث تأثيرات القيادة ، لأن سلوك القائد قد يكون نتيجة لنشاط التابعين ، كما أن العكس صحيح أيضاً . ولعل أفضل حل لهذا القيام بمعالجات تجريبية كما سنوضح فيما يلى .

فالبحث التجريبى يكتسب أهميته أولا لأنه يساعد على الإجابة على مختلف الأسئلة التى أثرناها أعلاه : حيث يستحيل تحليل المتغيرات على نحو ارتجاعى ، أو حيث يكون اتجاه العلاقة بين السبب والنتيجة غامضاً . لهذا فغالبا ما تعرض المنظمات عن القيام بالصرف المناسب على البحوث التجريبية ، لكنها ما لم تفعل هذا فإنها قد تعجز تماماً عن اكتشاف الأسـلوب أو الإجراء الفعال . وتسمح ولاية كاليفورنيا للدول الإصلاحية بالقيام بتجارب على الأساليب العقابية . فيعرض المسجونون بالتبادل مثلا لأنواع العلاج الجمعى أو اللاعلاج[٢] . ولا يوجد فى هذه الأمور أى تخلى عن القواعد الأخلاقية . فكل ما يحدث فيها أن بعض المساجين يخضمون لنوع جديد من العلاج قد يكون فى صالحهم يوما . أما العلاج النفسى فقد أمكنت دراسته تجريبيا بوضع بعض المرضى عشوائيا فى قوائم انتظار ، ومقارنة تقدمهم نحو الشفاء بأشخاص آخرين خضعوا لعلاج نفسى مباشر . وقد أمكن أيضا إلقاء الضوء على ما إذا كانت القيادة الديمقراطية للمشرفين الصناعيين

تؤدى إلى مزيد من الجهد لدى معاونيهم أم العكس ، من خلال التغير الدورى للمشرفين(٣) . وثبت الآن أن العملية الأولى هى الأهم . أى أن القيادة الديمقراطية للمشرفين هى التى تؤدى إلى المزيد من الجهد .

ويحتل العالم الاجتماعى فى المنظمة بحكم تخصصه موقعا فريدا فى تخطيط تلك التجارب وتنفيذها ومتابعتها ، وتتفوق التجارب الميدانية على التجارب المعملية من حيث أنها أكثر واقعية . وتتفوق على التجارب الإحصائية من حيث أنها تستطيع الحسم فى وجهه العلاقة وتوضيح الأسباب والنتائج . ومن المؤمل أن يؤدى ابتكار تصميمات تجريبية خلاقة وبارعة الشكل الذى عرضنا له إلى زيادة اقتناع المنظمات وغبطتها بتلك التجارب .

لكن كيف يمكن للعالم الاجتماعى بهذا الوضع أن يحدد الأهداف الهامة ؟ قد يستطيع ذلك من خلال البحث المبتكر وفق الخطوط العريضة التى أوضحناها . ولكنه يستطيع غالبا الاستفادة من النتائج المنشورة فى بحوث أخرى وفى كل الأحوال فإن التغيرات التى سيوصى بها ، أو يدعو إليها فى المنظمة تدور حول تعديلات الأنماط المختلفة من الضبط الاجتماعى التى عرضت فى الجزء الثالث وهى . **الاختيار الشخصى** ، **والتدريب** وغيرها . فإذا استطاع أن يضع على سبيل المثال نظاما ما أفضل من **الاختيار** لرجال الإدارة والمهندسين ، فإنه يستطيع أن يعتمد على البحوث السابقة لتحديد المواقع التى ينجح فيها هذا الأسلوب ، ولا يحتاج إلى القيام ببحوث جديدة ، إلا إذا كانت المشكلة التى تواجهه غير عادية . غير أن عليه القيام بدراسات تتبعية ليكتشف نوع المواقف ذات الفاعليـــة الأكثر . وبمقدار كفاءة العالم الاجتماعى ، بمقدار ما يزداد احتمال قيامه بالتوظيف الذكى لمعرفته السابقة ، وتقدمه فى التدرب على عملية الاختيار بنفسه .

وتنطبق نفس الاعتبارات على **التدريب** ، فنتائج البحث السابق فى مناهج

التدريب ومناهج الإدارة والقيادة والاشراف يمكن أيضاً توظيفها مباشرة فى المواقف الخاصة . وتعتبر عمليتا الاختيار والتدريب حتى الآن من أكثر جوانب نشاط علماء النفس الصناعى . وأضيف الآن إلى ذلك : مشكلات البناء الاجتماعى وعلاجه . وقد قدمنا فى الفصل الرابع عشر بعض الأمثلة للتعديل الناجح من أساليب الاتصال ، والانساق الاجتماعية والتكنيكية . وكلما تقدمنا فى فهم الأبنية الاجتماعية فهما جيداً ، كلما أصبحت من أهم الأشياء التى تشهد بما يقدمه العالم الاجتماعى .

وقد يطلب من العالم الاجتماعى أن يساعد على حل بعض المشكلات الخاصة كزيادة عمليات إعادة التنظيم . كما تشكل زيادة الحوادث ، والتغيب عن العمل جزءاً من هذا الاهتمام . ويمكن القيام ببحوث مسحية أو استبارات متعمقة عن مستوى إشباع العمل للكشف عن أسباب الاضطراب . وكذلك تساعد التحليلات الإجرائية التى تعتمد على الأساليب الإحصائية لكشف التيارات السائدة تساعد أيضاً على الكشف عن الإجابة الصحيحة . وعندما يتم التوصل إلى السبب فمن الممكن القيام بعد ذلك بالمعالجة الناجحة لنواحى الضبط الاجتماعى .

دور العالم الاجتماعى فى الدول النامية

دور العالم الاجتماعى فى المجتمع يعتبر أكثر تعقيداً من دوره فى منظمة اجتماعية محصورة وذات سياسة محددة ، وسنعرض لدوره فى الدول النامية — مع التركيز بشكل خاص على غرب أفريقيا — ثم سنعرض بعد ذلك لدوره فى الدول الحديثة ، وتختلف إجراءات البحث التى يقوم بها العالم الاجتماعى فى هذا المجال جزئيا عن تلك التى عرضنا لها فى القسم السابق . إذ يجب عليه أولا أن يوجه جزءا كبيرا من طاقته على العمل نحو فهم الأطار الاجتماعى والحضارى للظواهر المدروسة . فالظواهر التى تبدو للعيون الغربية ، على سبيل المثال ، وكأنها شكل

من اشكال الفساد الأخلاقى أو الرشوة لها جذورها فى النسق القبائلى التقليدى . حيث كان يشيع تقديم منحه أوهديه لشيخ القبيلة أو الرئيس عند إنجاز عمل أوالقيام بخدمة . أما ظاهرة : **الميل الى وضع الاشخاص غير الخبراء فى أعمال أكبر من طاقاتهم لمجرد انهم من الاقارب أو الاصفياء** ، فقد نشأت من الالتزام العميق بحماية الأقارب وإعالتهم ، وهذا الإجراء يؤدى إلىالتغلب بالشعور بالبطالة ، كما أنه يخلق ضغطاً لابتكار العمل لهؤلاء الأقارب بأسرع شكل ممكن . قس على هذا : الظواهر المتعلقة **بعادات العمل** لدى سكان غرب أفريقيا كعدم الانتظام الذى يتمثل فى زيادة نسبة الغياب، فجميعها قد نشأت فى الحقيقــة ، بسبب العجز عن الانتقال من نمط العمل « بالمقاولة » بالشكل القروى لإشباع الحاجات المباشرة للطعام والـكساء . وفى هذا النمط يتم إنجاز العمل عند الشعور بضرورته ، وليس من خلال ساعات منتظمة بسرعة ثابتة .

تلك هى أهم العوامل الاجتماعيــة التى تعترض التطور الاقتصادى فى غرب أفريقيا(٤) . ومن معوقات البحث الاجتماعى الجاد فى الدول الناميــة : قصور المعلومات الفعلية الخاصة بإحصائيات السكان ونسبة العاملين ، والمتعلمين ، وإحصائيات بالاتجاهات نحو العمل وغيرها ، والظروف الاقتصادية والاجتماعية للحياة فى المدن ، وتلك المعلومات ضرورية للتخطيط الاجتماعى .

وسنعرض الآن لمساهمات العالم الاجتماعى فى غرب أفريقيا ، وسنقتصر على مساهماته فى **مجال الضبط الاجتماعى** . فمن أهم أشكال الضبط هناك انتشار المعلومات والاتجاهات الثقافية الخاصــة بالصحة ، ورعاية الأطفال وطرق الزراعة ، ونظام العمل فى القرية . وتقتصر الأدوات الإعلامية بالمعنى العام على الصحف . ولا يوجد تليفزيون ، واستخدام الراديو محدود ، ونسبة الأمية مرتفعة . أما التأثير فى الجماهير فيرتهن بالخطب الشعبية التى تساعد على سرعة الاثارة والتقلب . غير أن استخدام الخطب الشعبية يقتصر على أمور الاقناع الدينى والسـياسى . أما نقل المعلومات

ونشر الاتجاهات الثقافيـــة فيتم من خلال منظمة تسمى باسم « منظمة النمو الاجتماعى » . وهى تعمل على اختيار عمـــال الحقول وتدريبهم ، وتوجيههم ، وإعطائهم منشورات ، وأفلام وبطاقات ، وكتيبات إرشادية تصاغ بلغة مناسبة . ويتم إنجاز العمل فى مجموعات صغيرة من الأشخاص تثار فيهم روح المناقشة(٥) .

وهناك مساهمة ثابتة تتمثل فى وضع أنماط من التنظيم الاجتماعى لها فاعليتها فى إطار حضارى معين . وقد أمكن التغلب على عيوب نظام ساعات العمل المحددة بنظام من الدفع يعتمد على الحصيلة الانتاجية دون إشراف فى ساعات منتظمة من العمل . وأمكن التغلب على مسألة كثرة التنقل فى العمل بنظام يعتمد على الاسكان والاقامة لأسر العاملين بحيث يعيشون معهم . أما جماعات العمل فيمكن وضعها بحيث تتكون من أفراد من نفس القبيلة ، كما يجب أن يكون المشرف على العمل إفريقياً ، لـكن على ألا يكون من قبيلة دنيا(٦) .

وهناك سلسلة أخرى من المشكلات الاجتماعية الأفريقية يمكن للعالم الاجتماعى أن يساعد فى حلها ، وتتمثل هذه المشكلات فى عدم وجود اتفاق عام على الاهداف وخير مثال على هذا انهيار النظام التقليـدى لتعدد الزوجات من الأقارب بحلول المدنية . فانتشر نظام الزواج بالاتفاق الذى أدى بدوره إلى تحرير الأشخاص الناجحين من نظام الالتزام للأقارب ، ونمو الطبقة المتوسطة . إلا أن تلاشى نظام الزواج بالاعتماد على الروابط الاجتماعية بين جماعات الأقارب وحدوثه بين أشخاص من قبائل مختلفة أدى إلى زيادة عدم الاسـتقرار وارتفاع نسبة الطلاق والتشرد(٧) . فما الذى يستطيع العالم الاجتماعى أن يقدم هنا ؟ إنه لا يستطيع بطبيعة الحال أن يقرر أفضل شكل للزواج ، لـكنه يستطيع أن يبين النتائج الاجتماعية والشخصية لـكل شكل كاملة بحيث يعطيها تبريراً ذكيا وجوهرياً ، ويمكن أن يساعد فى وضع الضوابط القانونية والاقتصادية التى تعمل على تشجيع أى نمط من أنماط النظام العائلى .

ومن المشكلات أيضاً عدم وجود اتفاق على **مقدار المحاولات التى يجب القيام بها لتعديل بناء شخصية الأعضاء فى المجتمعات النامية** . ويمكن للعالم الاجتماعى أن يقدم نصائحه عن أفضل الطرق لتحقيق التقدم الاقتصادى بتغيير بناء الشخصية هناك . فهناك افتراض بأن التقـدم الاقتصادى يمكن تحقيقه على أفضل صورة بإثارة الدافع للتحصيل فى شخصية الأعضاء(٨) ، وهو ما يمكن تحقيقه من خلال أسلوب التنشئة . ووضعت افتراضات أخرى تتعلق بالدقة والفساد الخلقى . غير أن كل هذه التغيرات قد تؤدى إلى تغير فى نمط الشخصية الأفريقية السعيدة ، المنطلقة ، والتلقائية إلى نمط « الشخصية الأوربية » الصارمة ، ذات التوجيه الداخلى والمحبة للعمل(١٠) . ومرة أخرى لا يستطيع العالم الاجتماعى أن يحدد أى النمطين أفضل لكنه يساعد على توضيح الاختيار ، وتحديد أسلوب التنشئة الذى يؤدى إلى ظهور تلك النتائج ، وأفضل الطرق الممكنة للوصول إلى أفضل ما فى النمطين .

العالم الإجتماعى ودوره الإرشادى فى دولة حديثة

إن تلمس الحلول المناسبة للمشكلات القومية فى الدول المتقدمة عمل يقوم به رجال الاقتصاد ، وخبراء الزراعة والطب وغيرهم . ولو أن هناك نطاقاً محدوداً من من المشكلات يستطيع العالم الاجتماعى بدوره أن يشارك فى تقديم المشورة فيها ، كأمور التربية ، والصحة العقلية ، وتخطيط المدن ، والخدمات الاجتماعية للمسنين والشباب ، والفقراء . وسنولى اهتمامنا هنا إلى إمكانية القيام بهندسة اجتماعية على واسعة النطاق ، فكثير من جوانب الحياة القومية فى دولة حديثة كبريطانيا تتعرض لمناقشات عامة مكثفة ، يجرى إبلاغ الناس بها بصورة موسعة ، وتتم مناقشتها على المستوى السياسى ، وتتخذ بشأنها قرارات يتم تنفيذها خلال منظمات الخدمات المدنية . وينطبق هذا على تخطيط المدن ، وعلى غالبية جوانب الحياة الاقتصادية ، وأمور التعليم . صحيح أن هناك قدر قليل من الدهشة فيما يختص

بعدد العمارات السكنية التى يتم بناؤها وموقعها ، أو حجم المدارس ونوعها ، لكننا نكاد نصعق من الارتفاع الصارخ لنسبة الجريمة ، وانتشار الاضطرابات العنصرية وتغير الأخلاقيات الجنسية بين الصغار ، وتغيرات نظام البناء الطبقى .

وقد أمكن دراسة تلك المشكلات على المستوى الرسمى . ويمثل الأجراء الذى أمكن تبنيه فى الدعوة إلى إنشاء « لجنة ملكية » أو نوع آخر من اللجان تلقى توجيهاتها من العلماء الاجتماعيين وغيرهم . غير أن أسلوب هذه اللجان ، لايتفق بالمرة مع حل المسائل العملية المحسوسة . بل إن أعضاء تلك اللجان غالباً مايهربون من التفاصيل التكنيكية التى يتم بها التأكد من نتائج البحوث العملية . وبالرغم من أن معرفتنا العملية ليست كاملة فإن هناك نتائج متفق عليها فى مجالات واسعة ، عرضنا لبعضها فى الفصول السابقة .

ويمكن الإيحاء بأننا فى حاجة إلى طرق ووسائل جديدة إذا كانت الدولة قادرة على الاستفادة الكاملة من تلك المعلومات والخبرة ، وقد تتخذ بتلك الأشكال الاقتراح مثلا بإقامة قسم حكومى إرشادى على غرار المعهد القومى الإرشادى . وهناك حل بديل يتمثل فى انشاء مركز مستقل يقوده خبراء وتموته الدولة مادياً على غرار مجلس التخطيط الصناعى البريطانى . وهذا المركز يكون له قدر أكبر من الحرية ، ولكن قدر أقل من السلطة ويكون من وظيفته :

١ — المراقبة الدقيقة للتيارات الاجتماعية : فبالرغم من أن مكتب الاستعلامات المركزى(١١) ومكتب المسجل العام(١٢) ومكتب الإحصاء المركزى وغيرها من الأقسام تقوم بجمع الإحصائيات الاجتماعية . غير أن التقارير التى ترد من تلك الأقسام لا تقوم عموماً بتحليل التيارات السائده أو أسبابها ، ولا يقوم أى منها ببحث التغيرات فى البناء الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية أو تغيرات الشخصية ،

والاتجاهات والقيم . إن مثل تلك الأمور لا يستطيع أن يتكمل بها إلا باحثون مستقلون .

٢ — يمكن لهذا المركز أن يتعاون مع الأقسام الحكومية ، وأن يوجه الأنظار إلى النتائج الاجتماعية للتشريعات القائمة أو المقترضة ، وأن يقدم المشورة فيما يتعلق بتجنب النتائج السيئة .

٣ — وأهم وظيفة على الإطلاق لهذا المركز قدرته على اقتراح مختلف أنواع الضبط الاجتماعى وغيرها للمساهمة فى حلول المشكلات الاجتماعية وتحقيق صالح المجتمع ، ومن خلال الكشف الواضح عن الحلول البديلة الأخرى ومتضمناتها ، يمكن إثارة تلك المشكلات للمناقشات العامة من قبل أعضاء البرلمان أو الصحفيين أو غيرهم لاتخاذ القرار المناسب . وعندما يمكن تحقيق السياسة الموصى بها ، على الوزارة بعدئذ أن تدرس تأثيراتها لكى تقرر حاجتنا إلى إصلاحات ضرورية .

ولنر الآن كيف أن بعض المشكلات الخاصة التى ظهرت فى الخمسينيات أمكن تناولها بهذا الطريق . فمثلا إلى أى مدى قد أمكن **ضبط التعصب العنصرى** ؟ لقد أمكن **أولا** استكشاف هذا الاتجاه الاجتماعى فى فترة مبكرة ، فتقرر أن الاضطرابات العنصرية قد زادت حدتها فى الأماكن التى تزداد فيها كثافة المهاجرين الملونين . وقد عرضنا فى الفصل السابع أنه من الضرورى لكى نحد من اشتعال الاضطرابات العنصرية أن نتجنب النزوح المفاجىء المكثف للمهاجرين على مناطق معينة للعمل ، فإذا أمكن تخفيف حدة نزوحهم على تلك المناطق فإن من الممكن النظر إليهم على أنهم ليسوا مصدراً للتهديد فى العمل أو المركز الاجتماعى . وهناك حل آخر يتمثل فى وضع لائحة تحدد النسبة المئوية للعمال الملونين فى أى شركة أو فئة مهنية فى داخلها . ويمكن تحديد تلك النسبة المئوية من خلال نقابات العمال ، وقد تكون مثلا ١٠ ٪ فى بعض المناطق ، وتختلف باختلاف مستوى

البطالة فى المناطق الأخرى بحيث تقل عن ذلك فى المناطق التى تزداد فيها البطالة . ومن شأن هذين النظامين وهما : التخفيف من حدة المهاجرين ووضع لائحة لتحديد نسبة العاملين من المهاجرين أن تخفف من الشعور بالخوف من البطالة . ويمكن فى نفس الوقت ، القيام بخطوات أخرى لإغراء الشركات باستخدام العمال الملونين . ويمكن وضع لوائح مماثلة بالتعاون مع الحكم المحلى لضبط الكثافة السكانية .

وتبين البحوث الحديثة عن الاختيار الشخصى فى مجال التعليم أن قانون ١٩٤٤ قد نجح فى تحقيق تكافؤ الفرص ، لكنه أدى أيضاً إلى خلق بعض المضاعفات الجانبية ، التى تحتاج لمواجهة إصلاحية سريعة . وقد بينا وفق نظرية القرار فى الفصل الحادى عشر أن هناك حلا يتمثل فى القيام باختيار فارقى لحالات مختلفة من القدرات . وتعتبر زيادة حجم أساليب الإعلام والإقناع الجماهيرى من أهم التغيرات الاجتماعية فى هذا العصر . وقد ناقشنا من قبل حاجتنا المتزايدة لضبط استخدام أساليب الإعلام بحيث تحقق عدالة توضيح وجهة النظر السياسية للجماعات وميولها ، وللحد من التغيرات غير المضبوطة فى قيم المجتمع واتجاهاته (الفصل الثالث عشر) وتعتبر زيادة جناح الأحداث من أهم المشكلات الاجتماعية المؤثرة ، وتحتاج لهندسة اجتماعية سريعة ومكثفة لمواجهتها ، وقد يكون الحل فى الحد من الاستقلال الزائد لجماعات المراهقين ، وضبط حركتهم الاجتماعية .

ولكى يمكن لهذا المركز أن يقوم بالمشورة المناسبة فإنه يحتاج إلى هيئة من الباحثين للقيام بتحليل التيارات السائدة ، وبالبحوث الإجرائية ، والاستقصاءات الأصلية للمشكلات فى حينها ، ويجب أن يكون فى موقع يمكنه من القيام ببحوث وتجارب على نطاق واسع ، خاصة تلك التى لا يستطيعها شخص بمفرده . فلا يستطيع شخص أن يقوم مثلا بتجربة لتغير البناء الاجتماعى للحى الشرقى فى نيويورك للحد من انتشار الجناح وهى التجربة التى عرضنا لها فى الجزء الأخير من الفصل

الخامس ، فهناك مشكلات اجتماعيــة معينة لا يمـكن حلها إلا بهذا الطريق .
ويرى پوپر Popper(١٥) **أن الهندسة الاجتماعية سلسلة من التوافقات الحذرة التدريجية للمجتمع ، وهذا ما يميزها عن التصورات المبسطة عن المدن الفاضلة أو اليوتوبيا** . والسبب الرئيسى فى هذا الرأى أن كل عمل من أعمال التخطيط يؤدى إلى بعض المضاعفات السيئة والتى تعجز معرفتنا الراهنة بالتنبؤ بها . ويمـكن أن نقول الـكثير عن التغيرات الحـــذرة فضلا عن الاستعداد للقيام بعمل إصلاحى سريع إذا ما حدثت أى مضاعفات جانبية سـيئة ، غير أن هناك حالات خاصة تحتاج إلى القيام بعدد من التغيرات المترابطة المتعددة فى واحد ، حيث لا يؤدى تغير واحد فقط إلى أى آثار ، فلا يحسن على سبيل المثال أن تغير من البناء الاجتماعى لـكى نجعل الأشخاص يتعاونون بدلا من المنافسة ، أو أن يعيشوا فى مجتمعات بدلا من العائلات ، أو أن يعيشوا فى مجتمع بلا ملـكية ، فـكل هذا غير ممكن ما لم نقم بتغيير أساليب التنشئة الاجتماعية أيضاً . إن من الضرورى أن يحدث التطابق بين بناء الفرد وبناء المجتمع ، وسنناقش فى هذا السبيل التجارب اليوتوبية التى اشتملت على مثل تلك التغيرات . ويبين « پوپر » أيضا أنه لما كان من غير الممكن التنبؤ بنطاق المستـكشفات التـكنولوجية ، فإنه من المستحيل التخطيط لمدى بعيد . خذ على سبيل المثال لتلك التغيرات التـكنولوجية : الميكنة الصناعية ، فقد رأينا فى الفصل الثامن أننا نحتاج إلى هنـدسة اجتماعية لمواجهة آثار الميـكنة ونتائجها ، فضلا عن تقديمها التدريجى فى فترات متتالية ، بحيث يمـكن دراسة تلك النتائج وضبطها .

وهناك اعتراض آخر على **التخطيط الاجتماعى** وهو أنه يزيد من قوة الدولة ، ويحد من سلطان الفرد وحريته . وإذ تحرينا الدقة فإن هذا ينطبق أيضاً على التخطيط الاقتصادى ، لـكن هل قل شعور الناس بالحرية بعد ضبط المؤسسات التجارية عن فترات الهبوط الاقتصادى والتذبذب ؟ فمن خلال التخطيط يمكن

المجتمع أن يتغير بطريقة تقوم على الإجراءات الديمقراطية وفق المناقشات العارفة ودون هذا فإن المجتمع يتحرك فى عماء ، بتأثير قوى اجتماعى لا قبل له على ضبطها . ومن الأساليب المقترحة القيام بضبط المحتويات الإيديولوجية والإقناعية لأساليب الإعلام فمن شأن هذا الإجراء أن يزيد زيادة واضحة من الشعور بالحرية .

مكانة العالم الاجتماعى المستقل

ناقشنا فى الأقسام الثلاثة السابقة من هـذا الفصل دور الباحث الاجتماعى كمستشار فى الهيئة الاستشارية فى المنظمات الاجتماعية ، ودوره فى الدول النامية ، ودولة حديثة ، ونتجه الآن إلى توضيح مكانة العالم الاجتماعى المستقل ، والذى يقوم عمليا بالعمل إما فى الجامعة أو فى مراكز خاصة للبحث . فعادة ما يعزف العالم عن التأثير المباشر فى التخطيط الاجتماعى ، غير أن تأثيره على المدى الطويل يكون أعظم من ذلك ، لأنه فى موقع يمكنه من متابعـة نتائج البحوث الجديدة ذات النتائج الهامة . إن البحوث الأساسـية ، أو البحث الخالص يبدو أحياناً عديم الأهمية أو لغواً ، ولـكن له أحياناً أخرى متضمنات جوهرية هائلة فى الميدان التطبيقى ، وعلى سبيل المثال ، فإن الاقتراحات السابقة الخاصة بالاختيار فى مجال التعليم اعتمدت بشكل مباشر على التقدم فى ميدانين من ميادين البحث الأكاديمى هما : البناء العاملى للقدرات ، ونظرية القرار الإحصائية . كذلك أدى البحث فى عملية التعلم عند الفئران والحمام إلى ابتكار أجهزة التعليم ، والعلاج السلوكى .

وليس من الضرورة أن تنطلق بحوث الباحث الأكاديمى من مشكلة عملية بل قد ترتبط بالأفـكار النظرية الأساسية ، واستكشاف الميادين الجديدة . ولما كان من النادر أن يكون الباحثون الاجتماعيون فى موقع يمكنهم من القيام بالتجارب الميدانية ، فإنهم غالبا ما يستفيدون بالمواقف المعملية ، التى تقوم على التحقق من الفروض من خلال مواقف مصطنعة وقريبة من مواقف الحياة الواقعية . وعلى سبيل

المثال ، فإن بحوث تغيير الاتجاهات غالبا ما تقوم على التغير من إتجاهات ضعيفة يجرى تكوينها معمليا ، وتجارب العدوان ، تتم بتعريض الأفراد إلى إحباطات مصطنعة ، وأساليب الاتصال تتم بتكوين مواقف اتصال مصغرة .. غير أن تلك التجارب قد تكون واقعية ، وتؤدى إلى توليد عدوان حقيقى وسلوك اجتماعى ، بحيث يرجح انطباق نتائجها على الحياة الواقعية أيضا .

وينبغى على العالم الاجتماعى أيضا أن يقوم من وقت إلى آخر بالخروج عن دوره كباحث أكاديمى ليقوم بدور الناقد الاجتماعى المصلح . ويؤهله لهذا تبصره المستمر بالأهداف الإنسانية الجديدة ، وبالوسائل الجديدة لتحقيق القديم من تلك الأهداف ، وعلى سبيل المثال فإن الدعوة إلى تحويل العمل الصناعى إلى عمل مقبول ومشبع من الناحية الإنسانية ، قد جاءت بحذافيرها من قبل علماء النفس الصناعى ، وليس من النقابات العمالية . والاهتمام بالعزلة التى يعانيها السكان الجدد فى المدن السكنية ، وبالمسنين جاءت من قبل علماء النفس الإجتماعى ، وليس من قبل المخططين للمدن . والدعوة إلى تخفيف العقاب على الجانحين ، واستخدام أساليب أكثر فاعلية جاء بها علماء الجريمة وليس السلطات الجنائية ، والاهتمام بمشكلة الفقر التى أدت إلى التشريعات الاصلاحية ، أثارته بحوث الفقر من قبل علماء الاجتماع البريطانى المبكرين .

فالعالم الاجتماعى عادة هو الناقد والحارس للمثل الاجتماعية العليا . وينبغى أن يكون له دور أكبر فى تعميق إحساس الرأى العام بالمثاليات الجديدة والمعايير ، والتى لا تستطيع مع ذلك تحديدها .

تذييـــــل

مجتمعات المستقبل :

هناك نوع من البحوث على درجة كبيرة من الصعوبة والأهمية وهو : دراسة أنماط المجتمعات الجديدة . فقد سبق أن بينا أن وضع تصميمات جديدة للمجتمع لا يمكن إحداثها من خلال تغيرات جزئية منفردة ، ولكن من خلال تغيرات متفاعلة من مصادر مختلفة خاصة فى المنظمات الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى ، ومن الصعب بنفس المنطق أن نستنتج من مجتمع ناجح : ما هو العامل أو مجموعة العوامل المترابطة التى أدت أساساً إلى هذا النجاح ، وهناك طريقتان من البحث فى هذا الصدد تتمثل الطريقة الأولى فى **اقامة مجتمعات تجريبية** . وتتمثل الطريقة الثانية فى دراسة **مجتمعات قائمة بالفعل** وذات خصائص متميزة .

المجتمعات التجريبية (مجتمعات اليوتوبيا) :

إن دراسة المجتمعات الفاضلة (جنة الله على الأرض) عمل يتولاه حتى الآن المؤرخون دون الباحثين الاجتماعيين ، ومع ذلك فسنعرض هنا لدور بعض المتغيرات الخاصة بالنظام الاجتماعى ، وتنشئة الأطفال فى بعض المجتمعات التجريبية . وتتعرض تلك المجتمعات أيضاً لمشكلة الاختيار . إذ لا ينضم إلى تلك المجتمعات إلا الأفراد الذين يجذبهم ذلك المجتمع ممن تتوافر فيهم بعض الخصائص المقبولة من الآخرين . ومثال هذا أن مجتمعاً حديثاً ترك انجلترا ليعيش فى جزيرة فى أستراليا ، فاختار ٢٥ شخصا من بين خمسة آلاف شخص تطوعوا للذهاب إليه(١٦) . وتتمثل الأهمية الضخمة لتلك الجماعات التجريبية فى أنها تحاول تجربة أنواع مختلفة من الحياة ، فنتائجها — مع هذا — غير محددة من قبل . ومعنى هذا أن هناك طرقاً ممتازة لإعداد الحياة الإنسانية ، لكنها مع ذلك غير محددة المعالم ولو بالخيال .

وتتمثل الصعوبة الأساسية التى تواجه إقامة المجتمعات التجريبية فى أن طرق تنشئة الأطفال تعتبر جزءاً مكملا فى أى مجتمع ، بحيث أن الشخص الذى لا ينشأ فى مجتمع معين قد يعجز عن التوافق الجيد لهذا المجتمع ، وعلى هذا فنحن نتوقع أن أطفال الأشخاص الذين أقاموا تلك المجتمعات الجديدة يزداد توافقهم عن المؤسسين أنفسهم ، بحيث لا يمكن الحكم على نجاح التجربة قبل جيل على الأقل ، وفى الواقع أن من الشائع فى تلك المجتمعات هجرة الأطفال بعد اشتداد ساعدهم . ولعل السبب فى هذا يعود إلى عدم القيام بإعداد أساليب خاصة لتنشئة الأطفال . فالجيل الأول يختار هذا المجتمع ويتناسب معه مؤقتاً ، لكن أطفاله الذين ينشأون بأسلوب المجتمعات الكبيرة التى هاجر منها الجيل السابق قد يعجزون عن هــذا التعايش لحاجتهم لأسلوب جديد من التنشئة . وتحاول بعض تلك المجتمعات التجريبية أن تضع هؤلاء الأطفال فى مجموعات مستقلة ، فلا يتيحون لهم فرصة الحياة الدائمة مع الوالدين .

هل هناك ما يمكن إستنتاجه من هذه التجارب ؟ إن مانود أن نجيب عليه من خلال مجتمعات اليوتوبيا هو أن الأنواع المختلفة من الأهداف البشرية تقبل التحقيق فى ظل أنماط أخرى من التجمعات البشرية . لكن إذا كان ذلك كذلك فهل هى تصلح لجميع الأفراد والأشخاص على السواء ؟ بالرغم من أنه لا توجد معلومات دقيقة عن هذا الموضوع ، فإننا سنعرض للحد الأدنى من الدلائل . فلقد أمكن وصف المجتمعات الإنجليزية(١٩) ، والأمريكية بشىء من التفصيل ، وأمكن من هذا الوصف وضع بعض النتائج . والمحك الأول لنجاح قيام أى مجتمع يوتوبيا من هذا النوع هو قابلية هذا المجتمع للبقاء دون الانهيار . صحيح أن بعض تلك المجتمعات استمر قيامها مائة عام غير أن أغلبها قد اندثر . أما المجتمعات التى حافظت على البقاء فترة طويلة فقد كانت من نوع المجتمعات ذات الايديولوجيات الدينية القوية أو ما أشبه . أما أسباب انهيار المجتمع فبعضها أسباب اقتصادية

كالشح المالى أو النمو الفاحش للثروة ، وبعضها ايديولوجية كضعف الإيمان الأصلى ؛ أو اجتماعية كالصراع بين الأفراد ، أو الافتقار إلى القيادة القوية . ومع ذلك فإن هناك أعضاء يصلحون للحياة فى تلك المجتمعات دون غيرهم : وهم الأعضاء الذين يظهرون قدراً أكبر من التعاون ، وقدراً أقل المزلة ، وإحساساً أكبر بالأمان الاقتصادى . وبينما تجد الزوجات والأمهات أن الحياة فى تلك المجتمعات ممتعة فإن المثقفين بشكل عام لا يجدونها كذلك .

دراسة المجتمعات ذات الخصائص المتميزة :

وهناك نوع آخر من البحث فى هذا المجال ، يسهل على العالم الإجتماعى أن يقوم به وهو دراسة المجتمعات — أو قطاعات من تلك المجتمعات — ذات الخصائص المتفوقة والمتميزة . فبفضل الإهتمام المتزايد بموضوعات علم النفس الإجتماعى المرضى أمكن توجيه الأنظار بعيداً إلى مظاهر التفوق فى تلك المجتمعات المتميزة من وجهة النظر النفسية والإجتماعية .

فهناك اولا اختفاء للعلاقات التقليدية للمرض الإجتماعى . كالمرض العقلى ، والجريمة ، والفقر ، والصراع الإجتماعى ، والتعاسة . وأضف إلى ذلك ظهور بعض الجوانب الإيجابية كاستغلال المقدرات إلى أقصى قدر ممكن ، واستغلال وقت الفراغ استغلالا إبداعياً وبناءاً ، مع اختفاء الفروق الضخمة المتطرفة فى الثروة ، أو القوة ، وتشجيع العلاقات الإيجابية العمالة بين الأشخاص . ويستطيع الباحث الاجتماعى أن يدرس — على الأقل — الظروف أو الشروط التى تتحقق بها تلك الأشياء ، دون أن يتخلى على الإطلاق عن دوره كعالم .

REFERENCES

CHAPTER 1

1. VERNON, P. E. (1961) *The Structure of Human Abilities* London : Methuen

2. EYSENCK, H. J. (1952) *The Scientific Study of Personality* London : Routledge & Kegan Paul

3. EYSENCK, H. J. (1943) *Dimensions of Personality* London : Routledge & Kegan Paul

4. HARTESHORNE, H. and MAY, M. A. (1928) *Studies in Deceit* New York : Macmillan

5. CATTELL, R. B. (1950) *Factor Analysis* New York : Harper

6. GOUGH, H. G. (1957) *Manual for the California Personality Inventory* Palo Alto, Calif. : Consulting Psychologists Press

7. VERNON, P. E. (1953) *Personality Tests And Assessments* London : Methuen

8. FREUD, A. (1946) *The Ego and the Mechanisms of Defence* London: Hogarth Press

9. ARGYLE, M. (1963) Are there any general laws of socialization ? *reneoed;* abstract *Quart. Bull. B.P.S.* 16, no. 50, 2A

10. SHIELDS, J. and SLATER. E. (1960) Heredity and psychological abnormality *In* Eysenck, H. J. (ed.) *Handbook of Abnormal Psychology* London: Pitman

11. BLUM, G. S. (1953) *Psychoanalytic theories of Personality* New York: McGraw Hill

WATSON, R. I. (1959) *Psychology of the Child* New York: Wiley

12. **BANDURA, A. (1962) Social learning through imitation *In* M. R. Jones (ed.) *Nebraska Symposium on Moltivation* Lincoln : U. of Nebraska Press**

13. **ARGYLE, M. (1964) Introjection:** a form of social **learning. *Brit. J. Psychol.* (in press).**

CHAPTER 2

1. CHILD, I. L. (1946) Children's preference for goals easy or difficult to obtain *Psychol.* Monogr. 60, no. 42

2. GOUGH, H. G. (1957) *Manual for the California Personality Inventory* Palo Alto, Calif.: Consulting Psychologists Press

3. SCHUTZ, W. (1958) *FIRO: A Three-Dimensional Theory of Interpersonal Behaviour* New York: Holt, Reinhart & Winston

4. EYSENCK, H. J. (1959) *Manual of the Maudsley Personality Inventory* U. of London Press

5. McCLELLAND, D. C., CLARK, R. A. and ROBY, T.B. (1949) The effect of the need for achievement on thematic apperception *J. Exp. Psychol.* 37, 242-55

6. ATKINSON, J. W. (ed.) (1958) *Motives in Fantasy, Action and Society* New York: van Nostrand

7. LANSING, J. B. and HEYNS, R. W. (1959) Need affiliation and frequency of four types of communication *J. abnorm. soc. Psychol.* 58, 365-72

8. MILLER, N. E. (1951) Learnable drives and rewards Ch. 13 *In* S. S. Stevens (ed.) *Handbook of Experimental Psychology* New York: Wiley

9. WINTERBOTTOM, M. R. (1958) The relation of need for achievement to learning experiences in independence and mastery Ch. 33 *In* Atkinson (cf. Ref. 6)

10. CHILD, I. L., STORM, T. and VEROFF, J. (1958) Achievement themes in folk tales related to socialization practice Ch. 34 *In* Atkinson (cf. Ref. 6)

11. ARGYLE, M. and ROBINSON, P. (1962) Two origins of achievement motivation *Brit. J. soc. clin. Psychol.* 1, 107-20

12. SHIELDS, J. and SLATER, E. (1960) Heredity and psychological abnormality Ch. 8 *In* H. J. Eysenck (ed.) *Handbook of Abnormal Psychology* London: Pitman

13. McCORD, W. and J. (1956) *Psyrhopathy and Delinquency* New York: Grune & Stratton

14. GOLDMAN-EISLER, F. (1951) The problem of 'orality' and of its origin in early childhood *J. Ment. Sci.* 97, 765-82

15. BLUM, G. S. and MILLER, D. R. (1952) Exploring the psychoanalytic theory of the oral character *J. Pers.* 20, 287-304

16. SCHACHTER, S. (1959) *The Psychology of Affiliation* Stanford U.P.

17. McCLELLAND, D. C. (1961) *The Achieving Society* New York: van Nostrand

18. ADORNO, T. W. et al. (1950) *The Authoritarian Personality* New York: Harper

CHAPTER 3

1. FOA, U. G. (1961) Convergences in the analysis of the structure of interpersonal behaviour *Psychol. Rev.* 68, 341-53

2. SCHUTZ, W. C. (1960) *FIRO: A Three-Dimensional Theory of Interpersonal Behaviour* New York: Holt, Reinhart & Winston

3. LENNARD, H. L. and BERNSTEIN, A. (1960) *Anatomy of Psycho-therapy* New York: Columbia U.P.

4. BLOCK, J. (1953) The assessment of communication: role variation as a function of interactional content *J. Pers.* 21, 272-86

5. BORGATTA, E. F. and BALES, R. F. (1953) Interaction of individuals in reconstituted groups *Sociometry* 16, 302-20

6. HAYTHORN, W. (1953) The influence of individual members on the characteristics of small groups *J. abnorm. soc. Psychol.* 48, 276-84

7. KRASNER, L. (1958) Studies of the conditioning of verbal behaviour *Psychol. Bull.* 55, 148-70

8. POTTER, S. (1952) *One-Upmanship* London: Hart-Davis

9. NEWCOMB, T. M. (1947) Autistic hostility and social reality *Hum. Relat.* 1, 69-86

10. BEACH, L. and WERTHEIMER, M. (1961) A free response approach to the study of person cognition *J. abnorm. soc. Psychol.* 62, 367-74

11. PITTENGER, R. E., HOCKETT, C. F. and DANEHY, J. J. (1960) *The First Five Minutes* Ithaca, N.Y.: Martineau

12. BALES, R. F. (1950) *Interaction Process Analysis* Cambridge, Mass.: Addison-Wesley

13. GOFFMAN, E. (1957) Alienation from interaction *Hum. Relat.* 10, 47-60

14. SCHUTZ, W. C. (1955) What makes groups productive ? *Hum. Relat.* 8, 429-65

15. HOMANS, G. (1951) *The Human Group* London: Routledge & Kegan Paul

16. SCHACHTER, S. (1951) Deviation, rejection and communication *J. abnorm. soc. Psychol.* 46, 190-207

17. BALES, R. F. (1953) The equilibrium problem in small groups *in* Parsons, T., Bales, R. F. and Shils, E. A. *Working Papers in the Theory of Action* Glencoe, Ill.: Free Press

18. MANN, R. D. (1961) A review of the relationships between personality and performance in small groups *Psychol. Bull.* 56, 241-70

19. CARTER, L. and NIXON, M. (1949) An investigation of the relation between four criteria of leadership ability for three different tasks *J. Psychol.* 27, 245-61

20. SLATER, P. E. (1955) Role differentiation in small groups *In* Hare, A. P., Borgatta, E. F. and Bales, R. F. *Small Groups* New York: Knopf

21. MORENO, J. L. (1953) *Who Shall Survive ?* New York: Beacon House

22. FESTINGER, L., SCHACHTER, S. and BACK, K. (1950) *Social Pressures in Informal Groups* New York: Harper

23. NEWCOMB, T. M. (1961) *The Acquaintance Process* New York: Holt, Reinhart & Winston

24 TAGIURI, R. (1958) Social preference and its perception *In* Tagiuri, R. and Petrullo, R. *Person Perception and Interpersonal Behaviour* Stanford U.P.

CHAPTER 4

1. BUSS, A. H. (1961) *The Psychology of Aggression* New York: Wiley

2. FESHBACH, S. (1955) The drive-reducing function of fantasy behaviour *J. abnorm. soc. Psychol.* 51, 3-11

3. SEARS, R. R. (1961) Relation of early socialization experiences to aggression in middle childhood *J. abnorm. soc. Psychol.* 63, 466-92

4. BUSS, A. H. and DURKEE, A. (1957) An inventory for assessing different kinds of hostility *J. consult. Psychol.* 21, 343-8

5. **LESSER, G. S. (1957) The relationship between overt and fantasy aggression as a function of maternal response to aggression** ***J. abnorm. soc. Psychol.*** **55, 218-21**

6. **PASTORE, N. (1952) The role of arbitrariness in the frustration aggression hypothesis** ***J. abnorm. soc. Psychol.*** **47, 728-31**

7. **GELLERMAN, S. (1956) The effects of experimentally induced aggression and inhibition on word-association response sequences. U. of Pennsylvania Ph.D. quoted in Ref. 1**

8. **HENRY, A. F. and SHORT, J. F. (1954)** ***Suicide and Homicide*** **Glencoe, Ill.: The Free Press**

9. **STRICKLAND, J. F. (1959) The effect of motivation arousal on humour preferences** ***J. abnorm. soc. Psychol.*** **59, 278-81**

10. **FESHBACH, S. (1958) The stimulating versus cathartic effects of a vicarious aggressive activity. Unpub. paper quoted in Ref. 1**

11. **BANDURA, A., ROSS, D. and ROSS, S. A. (1961) Transmission of aggression through imitation of aggressive models** ***J. abnorm. soc. Psychol.*** **63, 575-82**

12. **HIMMELWEIT, H. T., OPPENHEIM, A. N. and VINCE, P. (1958)** ***Television and the Child*** **London: O.U.P.**

    KLAPPER, J. T. (1961) ***The Effects of Mass Communication*** **Glencoe, III.: The Free Press**

13. **THIBAUT, J. W. and COULES, J. (1952) The role of communication in the reduction of interpersonal hostility** ***J. abnorm. soc. Psychol.*** **47, 770-77**

14. **DOOB, L. W. and SEARS, R. R. (1939) Factors determining substitute behaviour and the overt expression of aggression** ***J. abnorm. soc. Psychol.*** **34, 293-313**

15. **SEARS, R. R., et al. (1953) Some childhood antecedents of aggression and dependency in young children** ***Genet. Psychol. Monogr.*** **47, 135-236**

16. FERSON, J. E. (1958) The displacement of hostility. U. of Texas Ph.D. quoted in Ref. 1

17. MILLER, N. E. (1944) Experimental studies of conflict *In* J. McV. Hunt (ed.) *Personality and the Behaviour Disorders* New York: Ronald

18. CLARK, R. A. and SENSIBAR, M. R. (1953) The relationship between symbolic and manifest projections of sexuality with some incidental corollaries *J. abnorm. soc. Psychol.* 50, 327-334

19. MILLER, N. E. and BUGELSKI, R. (1948) Minor studies of aggression. II. The influence of frustrations imposed by the in-group on attitudes expressed toward out-groups *J. Psychol.* 25, 437-42

20. BETTELHEIM, B. and JANOWITZ, M. (1950) *Dynamics of Prejudice* New York: Harper

21. BANDURA, A. and WALTER, R. H. (1963) *The Social Learning of Deviant Behaviour* New York: Holt, Reinhart & Winston

22. SEARS, R. R., MACCOBY, E. E. and LEVIN, H. (1957) *Patterns of Child Rearing* Evanston, Ill.: RoC, Peterson.

23. SEARS, P. S. (1951) Doll play aggression in normal young children: influence of sex, age, sibling status, father's absence *Psychol. Monogr.* 65, No. 6.

24. FUNKENSTEIN, D. H., KING, S. H. and DROLETTE. M. E. (1957) *Mastery of Stress Harvard* U.P.

25. SUHL, A. M. (1961) Gonadal hormones and social behaviour in infrahuman vertebrates *In* W.C. Young (ed.) *Sex and Internal Secretions* Baltimore: William & Wilkins.

26. WHITING, J. W. M. and CHILD, I. L. (1953) *Child Training and Personality* New Haven: Yale U.P.

CHAPTER 5

1. HEWEITT, L.E. and JENKINS, R. L. (1946) *Fundamental Patterns of Maladjustment, the Dynamics of their Origin* Illinois : D. H. Green.

2. SHIELDS, J. and SLATER, E. (1960) Heredity and psychological abnormality *In* Eysenck, H. J. (ed.) *Handbook of Abnormal Psychology* London: Pitman.

3. GLUECK, S. and E. (1950) *Unraveling Juvenile Delinquency* Harvard U.P.

5. HILL, D. (1950) Psychiatry *In* Hill, D. and Parr, G. (eds.) *Electro-encephalography* London: Macdonald.

6. MICHAELS, J. J. (1955) *Disorders of Character* Springfield, Illinois: Thomas.

7. WILKINS, L.T. (1960) *Delinquent Generations* London: H.M. S.O.

8. LANDER, B. (1954) *Towards an Understanding of Juvenile Delinquency* New York: Columbia U.P.

9. SHAW, C. R. and MACKAY, H. D. (1931) *Social Factors in Juvenile Delinquency* Report on the Causes of Crime, Vol. II, U.S. Government Printing Office.

10. EYSENCK, H. J. (1957) *The Dynamics of Anxiety and Hysteria* London: Routledge & Kegan Paul.

11. FITCH, J. H. (1962) Two personality variables and their distribution in a criminal population: an empirical study *Brit. J. soc. clin. Psychol.* 1, 161-7.

12. ARGYLE, M. (1961) A new approach to the classification of delinquents with implications for treatment *Calif. Board of Corrections Monogr.* no. 2 15-26.

13. GOUGH, H. G. (1960) Theory and measurement of socialization *J. consult. Psychol.* 24, 23-30.

14. Cambridge Department of Criminal Science (1958) *The Results of Probation* London: Macmillan.

15. Cambridge Department of Criminal Science (1952) *Detention in Remand Homes* London: Macmillan.

16. *Report of the Commissioners of Prisons* (1961) London: H.M. S.O.

17. Home Office Research Unit (1960) *Use of Short Sentences of Imprisonment by the Courts* London: H.M.S.O.

18. MANNHEIM, H. and WILKINS, L. T. (1955) *Prediction Methods in Relation to Borstal Training* London: H.M.S.O.

19. BENSON, G. (1959) Prediction methods and young prisoners *Brit. J. Psychol.* 9, 192-9.

20. WILKINS, L. T. (1958) A small comparative study of the results of probation *Brit. J. Del. 8,* 201-9.

21. *Corporal Punishment* (1960) London: H.M.S.O.

22. GRANT, J. D. and M. Q. (1959) A group dynamics approach to the treatment of non-conformists in the Navy *Ann. Amer. Acad. Pol. & Soc. Sci.* 332, 126-35.

23. RAYMOND, M. J. (1956) Case of fetishism treated by aversion therapy *Brit. med. J.* 2, 85416.

24. McCORD, W. and J. (1944) Two approaches to the cure of delinquents *J. Crim. L. Crimin. Police Sci.* 44, 442-67.

25. GLUECK, S. and E. (1940) *Juvenile Delinquents Grown Up* New York: Commonwealth Fund.

26. WITMER, H. L. and TUFTS, E. (1955) The effectivness of delinquency prevention programs U.S. Department of Health, Education and Welfare, Children's Bureau.

27. STOTT, D. H. (1960) A new delinquency prediction instrument using behavioural indications *Int. J. Soc. Psychiat.* 6, 195-205.

28. POWERS, E. (1949) An experiment in prevention of delinquency *Ann. Amer. Acad. Pol. & Soc. Sci.* 261, 77-88

29. CLOWARD, R. and OHLIN, L. (1962) *Mobilization for Youth* City of New York: Mobilization for Youth Inc.

CHAPTER 6

1. EYSENCK, H. J. (1952) *The Scientific Study of Personality* London: Routledge & Kegan Paul.

2. PHILLIPS, L. and RABINOVITCH, M. S. (1958) Social role and patterns of symptomatic behaviours *J. abnorm. soc. Psychol.* 57, 181-6.

3. STOUFFER, S. A. et al. (1949) *The American Soldier* Princeton U.P.

4. *Student Mental Health* London: World University Service, 1961

5. GURIN, G., VEROFF, and FIELD, S. (1960) *Americans view their Mental Health* New York: Iasic Books.

6. GOLDHAMMER, H. and MARSHALL, A. (1953) *Psychosis and Civilization* Glencoe, Ill.: The Free Press.

7. FIELD, M. J. (1960) *Search for Security* London: Faber & Faber.

8. SHIELDS, J. and SLATER, E. (1960) Heredity and physical abnormality Ch. 8 *In* Eysenck, H. J. (ed.) *Handbook of Abnormal Psychology* London: Pitman.

9. PARNELL, R. W. (1958) *Behaviour and Physique* London: Arnold.

10. O'CONNOR, N. and FRANKS, C. M. (1960) Childhood, up-bringings and other environmental factors Ch. 10 *In* Eysenck, H. J. *Handbook of Abnormal Psychology*.

11. SPIEGEL, J. P. and BELL, H. W. (1959) The family of the psychiatric patient Ch. 5 *In* Arieti, S. (ed.) *American Handbook of Psychiatry* New York: Basic Books.

12. FLECK, S. (1960) Family dynamics and origin of schizophrenia *Psychosom. Med.* 22, 333-44.

13. GIBSON, R. W. (1958) The family background and early life experience of the manic depressive patient *Psychiatry* 21, 71-90

14. RINKLE, L. E. and WOLFF, H. G. (1957) Health and the social environment: experimental investigations *In* Leighton, A. H., Clausen, J. A. and Wilson, R. H. *Explorations in Social Psychiatry* London: Tavistock.

15. REID, D. D. (1948) Sickness and stress in operational flying *Brit. J. Soc. Med.* 2, 123-31.

16. SCHEIN, E. H. (1957) Reaction patterns to severe, chronic stress in American Army prisoners of war of the Chinese. *J. Soc. Issues*, 13 (2), 21-30.

17. SCOTT, W. A. (1958) Social psychological correlation of mental illness and mental health *Psychol. Bull.* 55, 65-87.

18. GRUENBERG, E. M. (1957) Social shared psychopathology *In* Leighton, A. H. *et al. Explorations in Social Psychiatry*.

19. HOLLINGSHEAD, A. D. and REDLICH, F. C. (1958) *Social Class and Mental Illness* New York: Wiley.

20. DOLL, R. and JONES, F. A. (1951) *Occupational factors in the aetiology of gastric and duodenal ulcers* London: H.M.S.O.

21. DENKER, P. G. (1946) Results of treatment of psychoneuroses by the general practitioner. A follow-up study of 500 cases *New York State J. Med.* 46, 2164-6.

22. FAIRBAIRN, W. R. D. (1952) *Psychoanalytic Studies of the Personality* London: Tavistock.

23. BARRON, F. and LEARY, T. F. (1955) Changes in psychoneurotic patients with and without psychotherapy *J. Consult. Psychol.* 19, 239-45.

24. EYSENCK, H. J. (1960) The effects of psychotherapy Ch. 18 *In* Eysenck, H. H. (ed.) *Handbook of Abnormal Psychology.*

25. FRANK. J. D. (1961) *Persuasion and Healing* Baltimore: Johns Hopkins Press.

26. WING, J. K. (1962) Institutionalism in mental hospitals *Brit. J. soc. clin. Psychol.* 1, 38-51.

27. RAPAPORT, R. H. (1960) *Community as Doctor London:* Tavistock Publications.

28. FRANKS, C. M. (1960) Alcohol, alcoholism and conditioning pp. 278-302 *In* Eysenck, H. J. (ed.) *Behaviour Therapy and the Neuroses* Oxford: Pergamon.

29. JONES, H G. (1960) The behavioural treatment of enuresis nocturna pp. 377-403 *In* Eysenck, H.J. (ed.) *Behaviour Therapy and the Neuroses.*

30. DRILL, H. and PATTON, R. E. (1959) Analysis of population reduction in New York State Mental Hospitals during the first four years of large-scale therapy with psychotropic drugs *Amer. J. Psychiat.* 116, 495-509.

31. TROUTON, O. and EYSENCK, H. J. ((1960) The effects of drugs on behaviour *In* Eysenck, H. J. (ed.) *Handbook of Abnormal Psychology.*

32. BELSON, W. A. (1957) The Hurt Mind London: B.B.C. Audience Research Dept.

33. CUMMING, J. and E. (1955) Mental health education in a Canadian community *In* B. D. Paul (ed.) *Health, Culture and Community* New York: Russell Sage Foundation

CHAPTER 7

1. *The Times* September 16th, 1958.

2. BOGARDUS, E. S. (1925) Measuring social distance *J. appl. Social.* 9, 299-308.

3. LAPIERE, R. T. (1934) Attitudes *vs. actions Soc. Forces* 13, 230-237.

4. ALLPORT, G. W. (1958) *The Nature of Prejudice*, p. 72f. New York: Doubleday.

5. KATZ, D. and BRABY, K. W. (1933) Racial streotypes of 100 college students *J. abnorm. soc. Psychol.* 28, 280-90.

6. HARTLEY, E. L. (1946) *Problems in Prejudice* New York: King's Crown Press.

7. BRONFENBRENNER, U. (1961) The mirror image in Soviet-American relations — a social psychologist's report *J. Soc. Issues* 17, no. 3, pp. 45-56.

8. BETTELHEIM, B. and JANOWITZ, M. (1950) *Dynamics of Prejudice: a Psychological and Sociological Study of Veterans* New York: Harper.

9. ALLPORT, *op. cit.* p. 220f.

10. GOODMAN, M. E. (1952) *Race awareness in Young Children* Cambridge, Mass.: Addison-Wesley.

11. SIMS, V. M. and PATRICK, J. R. (1936) Attitudes towards the negro of Northern and Southern college students *J. soc. Psychol.* 7, 192-204.

12. WATSON, J. (1950) Some social and psychological situations related to change in attitude *Hum. Relat.* 3, 15-56.

13. ADORNO, T. W. et al. (1950) *The Authoritarian Personality* New York: Harper.

14. EYSENCK, H. J. (1954) *The Psychology of Politics* London: Routledge & Kegan Paul.

15. SMITH, H. P. and ROSEN, E. W. (1958) Some Psychological correlates of world mindedness and authoritarianism *J. Pers.* 26, 170-83.

16. CHRISTIANSEN, B. (1959) *Attitudes towards Foreign Affairs as a Function of Personality* Oslo U.P.

17. ALLPORT, G. W. and KRAMER, B. M. (1946) Some roots of prejudice *J. Psychol.* 22, 9-39.

18. STOUFFER, S. A. et al. (1949) *The American Soldier* vol. I. Princeton U.P.

19. HARDING, J. *et al.* (1954) Prejudice and Ethnic Relations Ch. 27 *In* Lindzey, G. (ed.) *Handbook of Social Psychology* Cambridge, Mass.: Addison-Wesley.

20. CAMPBELL, J. D., YARROW, L. J. and YARROW, M. R. (1958) Leadership and interpersonal charge *J. Soc. Issues* 14, (1) 47-59.

21. BJERSTWDT, A. (1960) Ego-involved world-mindedness *J. Conflict Resolution* 4, 185-92.

22. KATZ, D., SARNOFF, I. and McCLINTOCK, C. (1956) Ego-defence and attitude change *Hum. Relat.* 9, 27-45.

23. STOTLAND, E., KATZ, B. and PATCHEN, M. (1959) The reduction of prejudice through the arousal of self-insight *J. Pers.* 27, 507-31.

24. ACKERMAN, N. W. and JAHODA, M. (1950) *Anti-semitism and Emotional Disorder* New York: Harper.

25. HOVLAND, C. I., LUMSDAINE, A. A. and SHEFFIELD, F. D. (1949) *Experiments in Mass Communication* Princeton U.P.

26. PETERSON, R. C. and THURSTONE, L. L. (1933) *Motion Pictures and the Social Attitudes of Children* New York: Macmillan.

27. HOVLAND, C. I. (1954) Effects of the mass media of communication *In* Lindzey, G. (ed.) *Handbook of Social Psychology* Cambridge, Mass.: Addison-Wesley.

CHAPTER 8

1. GILBRETH. F. B. (1909) *Bricklaying System* New York: M. C. Clark.

2. FREIDMANN, G. (1961) *The Anatomy of Work* Glencoe, Ill.: The Free Press.

3. DAVISQN, J. P. *et al.* (1958) *Productivity and Economic Incentives* London: Allen & Unwin.

4. CHINOY, E. (1955) *Automobile Workers and the American Dream* New York: Doubleday.

5. ARGYRIS, C. (1957) *Personality and Organization* New York: Harper.

5. HERZBERG, F., MAUSNER, B. and SNYDERMAN, B. B. (1959) *The Motivation to Work* New York: Wiley.

6. FRIEDMAN, E. A. and HAVIGHURST, R. J. (1962) Work and Retirement *In* Nosow, J. and Form, W. H. (eds.) *Man, Work and Society* New York: Basic Books.

7. *African Labour* Geneva: I.L.O.

8. ARGYLE, M. (1953) The Relay Assembly Test Room in retrospect *Occ. Psychol.* 27, 98-103.

9. FELDMAN, H. (1937) *Problems in Labour Relations* New York: Macmillan.

10. ARGYLE, M., GARDNER, G. and CIOFFI, F. (1958) Supervisory methods related to productivity, absenteeism and labour turnover *Hum. Relat.* 11, 23-45.

11. FIELDLER, F. (1960) The leader's psychological distance and group effectiveness *In* Cartwright, D. and Zander, A. *Group Dynamics* Evanston, Ill.: Row, Peterson.

12. SAYLES, L. R. (1958) *Behaviour of Industrial Work Group* New York: Wiley.

13. VAN ZELST, R. H. (1952) Sociometrically selected work teams increase production *Personel Psychol.* 5, 178-85.

14. SCHUTZ, W. C. (1958) *FIRO: A three-dimensional theory of interpersonal Behaviour* New York: Holt, Reinhart & Winston

15. TRIST, E. L. and BAMFORTH, K. W. (1951) Some social and psychological consequences of the Longwall method of coal-getting *Hum. Relat.* 4, 3-38.

16. HEWITT, D. and PARFITT, J. (1952) A note on working morale and size of group *Occ. Psychol.* 27, 38-42.

17. WALKER, N. (1961) *Morale in the Civil Service* Edinburgh U.P.

18. WALKER, C. R. and GUEST, R. H. (1952) *The Man on the Assembly Line* Harvard U.P.

19. BRENNAN, M. (1953) *The Making of a Moron* New York: Sheed and Ward.

20. WYATT, S. and LANGDON, J. H. (1937) Fatigue and boredom in repetitive work *Industrial Health Research Board* no. 77 London: H.M.S.O.

21. KORNHAUSER, A. W. and SHARP, A. A. (1932) Employee attitudes: suggestions from a study in a factory *Personnel J.* 10, 393-404.

22. BRAYFIELD, A. H. and CROCKETT, W. H. (1955) Employee attitudes and employee performance *Psychol. Bull.* 52, 396-424.

23. BEHREND, H. (1951) *Absence under full employment* U. of Birmingham.

24. MANN, F. C. and HOFFMAN, L. R. (1960) *Automation and the Worker* New York: Holt.

25. WALKER, C. R. (1957) *Toward the Automatic Factory* New Haven: Yale U.P.

26. FAUNCE, W. A. (1958) Automation in the automobile industry *Amer. Social. Rev.* 23, 401-7.

27. *Automation* London: D.S.I.R. and H.M.S.O.

28. COX, D. and SHARP, K. M. D. (1951) Research on the unit of work *Occ. Psychol.* 25, 90-108.

29. COCH, L. and FRENCH, J. R. P. (1948) Overcoming resistance to change *Hum. Relat.* 1, 512-32.

30. *Joint Consultation* London: N.I.I.P.

31. HARRELL, T. W. (1949) *Industrial Psychology* New York: Reinhart.

CHAPTER 9

1. BRONFENBRENNER, V. (1958) Socialization and social class through time and space *In* Maccoby, E. E. *et al.* (eds.) *Readings in Social Psychology* New York: Holt.

2. SPOCK, B. (1957) *Baby and Child Care* New York: Pocket Books Inc.

3. SEARS, R. R., MACCOBY, E. E. and LEVIN, H. (1957) *Patterns of Child Rearing* New York: Row, Peterson.

4. COLEMAN, R. W. *et al.* (1953) The study of variations of early parental attitudes: a preliminary report *The Psychoanalytic Study of the Child* 8, 20-47.

5. ARGYLE, M. (1963) Are there any general laws of socialization ? roneoed, abstract *Quart, Bull. B.P.S.* 16, no. 50. p. 2a.

6. SPIEGEL, J. P. and BELL, N. W. (1959) The family of the psychiatric patient *In* Arieti, S. (ed.) *American Handbook of Psychiatry* New York: Basic Books.

7. CHILD, I. L. (1954) Socialization *In* Lindzey, G. (ed.) *Handbook of Social Psychology* Cambridge, Mass.: Addison-Wesley.

8. O'CONNOR, N. and FRANKS, C. M. (1960) Childhood upbringing and other environmental factors *In* Eysenck, H. J. (ed.) *Handbook of Abnormal Psychology* London: Pitman.

9. RUSSELL DAVIS, D. (1962) Family environment and mental illness *In* Welford, A. T. *et al. Society: Problems and Methods of Study London:* Routledge & Kegan Paul.

10. LEWIS, H. (1954) *Deprived Children* London: O.U.P.

11. PECK, R. F. and HAVIGHURST, R. J. *The Psychology of Character Development* New York: Wiley.

12. RIESMAN, D. *et al.* (1950) *The Lonely Crowd* Yale U.P.

13. GREENFIELD, N. S. (1959) The relationship between recalled forms of childhood discipline and psychopathology *J. Consult. Psychol.* 23, 139-42.

14. NYE, F. I. (1958) *Family Relationships and Delinquent Behaviour* New York: Wiley.

15. CARP-SAUNDERS, A. M., MANNHEIM, H. and RHODES, F C. (1942) *Young Offenders* Cambridge U.P.

16. BOcLBY, J. (1962) Childhood bereavement and psychiatric ill-

ness *In* Richter, D. *et al. Aspects of Psychiatric Research* London: O.U.P.

17. GIBSON, R. W. (1958) The family background and early life experience of the manic-depressive patient *Psychiatry* 21, 71-90.

18. SOMERSET, H. C. A. (1963) Some personality correlates of birth order *Quart. Bull. B.P.S.* 16, no. 50, pp. 9a-10a.

19. BRIM, O. G. (1954) The acceptance of new behaviour in child-rearing *Hum. Relat.* 7, 473-91.

CHAPTER 10

1. OSGOOD, C. E. (1953) *Method and Theory in Experimental Psychology* New York: O.U.P.

2. SKINNER, B. F. (1961) Teaching Machines *Scientific American* November.

3. Articles in *Educational Research* 1958-9.

4. KATZ, D., SARNOFF, I. and McCLINTOCK, C. (1956) Ego-defence and attitude change *Hum. Relat.* 9, 27-45.

5. GUTHRIE, E. R. (1938) *The Psychology of Human Conflict* New York: Harper.

6. KING, B. T. and JANIS, I. L. (1956) Comparison of the effectiveness of improvised versus non-improvised role-playing in producing opinion changes *Hum. Relat.* 9, 177-86.

7. SARGANT, W. (1957) *Battle for the Mind* London: Heinemann

8. FRANK, J. D. (1961) *Persuasion and Healing* Baltimore: Johns Hopkins Press.

9. LUNDE, F. *et al.* (1958) Mecholyl chloride as a prognostic test in psychiatric patients *J. nerv. ment. Dis.* 127, 430-6.

10. BOGDONOFF, M. D. *et al.* (1961) The modifying effects of conforming behaviour upon lipid responses accompanying CNS arousal *Clin. Res.* 9, 135.

11. VIDICH, A. J. and STEIN, M. R. (1960) The dissolved identity in military life *In* Stein, M. R. *et al.* (eds.) *Identity and Anxiety* Glencoe, Ill.: Free Press.

12. LIEBERMAN, S. (1956) The effects of changes of roles on the attitudes of role occupants *Hum. Relat.* 9, 385-402.

13. The Underdon *Cambridge Review* 84, no. 2038, 1962.

14. MERTON, R. K. *et al.* (1957) *The Student-Physician* Harvard U.P.

15. HUNTER, G. (1962) *The New Societies of Tropical Africa* London: O.U.P. pp. 265-6.

16. ARONSON, E. and MILLS, J. (1959) The effect of severity of initiation on liking for a group *J. abnorm. soc. Psychol.* 59, 177-81.

17. ARGYLE, M., SMITH, T. and KIRTON, M. J. (1962) *Training Managers* London: Acton Society Trust.

18. FLEISHMAN, E. A. *et al.* (1955) *Leadership and Supervision in Industry* Monogr. 33, Ohio State Univ. Bur. of Edtc. Res.

19. LIFTON, R. G. (1957) Methods of forcefnl indoctrination *In* Stein *et al.* (eds.) *Identity and Anxiety.*

20. SCHEIN, E. H. (1957a) Reaction patterns to severe chronic stress in American Army prisoners of war of the Chinese *J. Soc. Issues*, 13, (2), 21-30.

21. BULL, G. T. (1955) *When Iron Gates Yield* London: Hodder & Stoughton.

22. KELMAN, H. C. (1956) Processes of opinion change. *Pub. Op. Quart.* 25, 57-78.

23. SCHEIN, E. H. (1956b) Epilogue: something new in history ? *J. Soc. Issues* 13 (3), 56-60.

24. SEGAL, J. (1957) Correlates of collaboration and resistance behaviour among U.S. Army P.O.W.'s in Korea *J. Soc. Issues* 13, (3) 31-40.

CHAPTER 11

1. VERNON, P.E. and PARRY, J. B. (1949) *Personnel Selection in the British Forces* U. of London Press.

2. ARGYLE, M. (1957) *The Scientific Study of Social Behaviour* London: Methuen p. 178.

3. CRONBACH, L. J. and GLESER, C. C. (1957) *Psychological Tests and Personnel Decisions* U. of Illinois Press.

4. VERNON, P. E. (1961) *The Structure of Human Abilities* London: Methuen.

5. VERNON, P. E. (1957) *Secondary School Selection* London: Methuen.

6. YATES, A. and PIGEON, D. A. (1957) *Admission to Grammar Schools* London: Newnes.

7. VENABLES, E. C. (1963) Social differences among day-release students in relation to their recruitment and examination success *Brit. J. soc. clin. Psychol.* 2, 138-52.

8. PEEL, E. A. (1962) Present trends in selection for secondary education in England *In* Taylor A. (ed.) *Educational and Occupational Selection in West Africa* London: O.U.P.

9. FLOUD, J. and HALSEY, A. H. (1957) Intelligence tests, social class and selection for secondary schools *Brit. J. Sociol.* 8, 33-9.

10. WALBY, A. L. and MACLOUGHLIN, J. H. (1963) *Medical Officer* 109, no. 10.

11. BURROUGHS, G. E. R. (1962) The selection of students for admission to universities in England and Wales *In* Taylor A. *Educational and Occupational Selection in West Africa.*

12. FURNEAU, W. D. (1961) *The Chosen Few* London: O.U.P.

13. HEIM, A. H. (1954) *The Appraisal of Intelligence* London: Methuen.

14. STEIN, M. I. and HEINZE, S. J. (1960) *Creativity and the Individual* Glencoe, Ill.: Free Press.

15. HIMMELWEIT, H. T. (1950) Student selection - an experimental investigation, I *Brit. J. Sociol.* 1, 328-46.

16. FURNEAU, W. D. (1962) The psychologist and the university *Univ. Quart.* 17, 33-47.

17. VERNON, P. E. (1950) The validation of Civil Service Selection Board Procedures *Occup. Psychol.* 24, 75-95.

18. WHYTE, W. H. (1957) *The Organization Man* London: Cape

19. YOUNG, M. (1958) *The Rise of the Meritocracy 1870-2033* London: Thames & Hudson.

20. *Isis Survey* (1961) Oxford: Holywell Press.

CHAPTER 12

1. STOGDILL, R. C. (1953) *Aspects of Leadership and Organization* Personnel Res. Bd., Ohio State Univ.

2. HEMPHILL, J. K. (1950) Relations between the size of the group and the behaviour of 'superior' leaders *J. soc. Psychol.* 32. 11-22.

3. ZILLER, R. C. (1955) Leader acceptance of responsibility for group action under conditions of uncertainty and risk *Amer. Psychol.* 10, 475-6.

4. SINGER, J. L. and GOLDMAN, G. D. (1954) Experimentally contrasted social atmospheres in a group psychotherapy with chronic schizophrenics *J. soc. Psychol.* 40, 23-37.

5. HALPIN, A. W. (1954) The leadership behaviour and combat performance of airplane commanders *J. abnorm. soc. Psychol.* 49, 19-22.

6. KATZ, D. and KAHN, R. L. (1960) Leadership practices in relation to productivity and morale *In* Cartwright, D. and Zander, A. (eds.) *Group Dynamics* New York: Row, Peterson.

7. FIELDER, F. E. (1958) *Leader Attitudes and Group Affectiveness* Urbana: U. of Illinois Press.

8. BALES, R. F. (1953) The equilibrium problem in small groups *In* Parsons, T., Bales, R. F. and Shils, E. A. *Working Papers in the Theory of Action* Glencoe, Ill.: The Free Press.

9. GREER, F. L., GALANTER, E. H. and NORDLIE, P. G. (1954) Interpersonal knowledge and individual and group effectiveness *J. abnorm. soc. Psychol.* 49, 411-14.

10. SELVIN, H. C. (1960) *The Effects of Leadership* Glencoe, Ill.: The Free Press.

11. HAYTHORN, W. (1956) The effects of varying combinations of authoritarian and equalitarian leaders and followers *J. abnorm. soc. Psychol.* 52, 210-19.

12. PELZ, D. C. (1952) Influence: a key to effective leadership in the first-line supervisor *Personnel* 29, 209-17.

13. CARTWRIGHT, D. and ZANDER, A. (eds.) (1960) *Group Dynamics* New York: Row, Peterson.

14. RIECKEN, H. W. and HOMANS, G. C. (1954) Psychological aspects of social structure *In* Lindzey, G. (ed.) *Handbook of Social Psychology* Cambridge, Mass.: Addison-Wesley.

15. CRAWFORD, D. G. and SIGNORI, E. I. (1962) An application of the critical incident technique to university teaching *Canad. Psychol.* 3a, no. 4, 1-13.

16. OESER, G. A. and EMERY, F. E. (1954) *Social Structure and Personality* London: Routledge & Kegan Paul.

17. MOORE, H. (1939) *Psychology for Business and Industry* New York: McGraw-Hill.

18. THOMPSON, G. G. and HUNNICUTT, C. W. (1944) The effect of repeated praise or blame on the work achievement of 'introverts' and 'extroverts' *J. educ. Psychol.* 35, 257-66.

19. HIGHFIELD, M. E. and PINSENT, A. (1952) *A Survey of Rewards and Punishments in Schools* London: National Foundation for Educational Research and Newnes.

20. GRONLUND, N. E. (1959) *Sociometry in the Classroom* New York: Harper.

21. COCH, L. and FRENCH, J. R. P. (1948) Overcoming resistance to change *Hum. Relat.* I, 512-32.

22. MAIER, H. R. F. and SOLEM, A. R. (1952) The contribution of a discussion leader to the quality of group thinking: the effective use of minority opinions *Hum. Relat.* 5, 277-88.

23. BERKOWITZ, L. (1953) Sharing leadership in small, decision-making groups *J. abnorm. soc. Psychol.* 48, 231-8.

24. MARQUIS, D. G., GUETZKOW, H. and HEYNS, R. W. (1950) A social psychological study of the decision-making conference *In* GuetzkoW. H. (ed.) *Groups, Leadership and Men* Pittsburgh: Carnegie.

25. WECHSLER, I. R., KHANE, M. and TANNENBAUM, R. (1961) Assessing organizational effectiveness, productivity and morale *In* Tannenbaum, R., Wechsler, I.R., and Massarik, F. *Leadership and Organization* New York: McGraw-Hill.

26. PELZ, D. C. (1956) Some social factors related to performance in a research organization *Admin. Sci. Quart.* 1, 320-5.

27. TAYLOR, D. W. and FAUST, W. L. (1952) Twenty questions: efficiency in problem-solving as a function of group size *J. exp. Psychol.* 44, 60-8.

CHAPTER 13

1. WHITE, T. H. (1960) *The Making of the President* London: Cape.

2. ARGYLE, M. (1958) *Religious Behaviour* London: Routledge & Kegan Paul.

3. HOVLAND, C. I. (1954) Effects of the Mass Media of Communication *In* Lindzey, G. (ed.) *Handbook of Social Psychology* Cambridge, Mass.: Addison-Wesley.

4. KLAPPER, J. T. (1960) *The Effects of Mass Communication* Glencoe, Ill.: The Free Press.

5. KRECH, D., CRUTCHFIELD, R. S. and BALLACHEY, E. L. (1962) *Individual in Society* New York: MsGraw-Hill Ch. 7.

6. BENNY, M., GRAY, A. P. and PEAR, R. H. (1956) *How People Vote* London: Routledge.

7. BUTLER, D. E. and ROSE, R. (1960) *The British General Election of 1959* London: Macmillan.

8. HIMMELWEIT, H. T., OPPENHEIM, A. N. and VINCE, P. (1958) *Television and the Child* London: O.U.P.

9. JANIS, I. L. and FESHBACH, S. (1954) Personality differences associated with responsiveness to fear-arousing communications *J. Pers.* 23, 154-66.

11. SARGANT, W. (1957) *Battle for the Mind* London: Heinedann

12. WEISS, W. (1957) Opinion congruence with a negative source on one issue as a factor influencing agreement on another issue *J. abnorm. soc. Psychol.* 54, 180-6.

12. DI VESTA, F. J. and MERWIN, J. C. (1960) The effects of

need-oriented communications on attitude change *J. abnorm. soc. Psychol.* 60, 80-5.

13. HENRY, H. (1958) *Motivation Research* London: Lockwood.
14. SARGENT, S. S. (1950) *Social Psychology* New York: Ronald.
15. MENZEL, H. and KATZ, E. (1955) Social relations and innovations in the medical profession: the epidemiology of a new drug *Pub. Op. Quart.* 19, 337-52.
16. CROSLAND, C. A. R. (1962) The Mass Media *Encounter* November, 3-14.
17. TRENAMAN, J. and McQUAIL, D. (1961) *Television and the Political Image* London: Methuen.

CHAPTER 14

1. GOFFMAN, E. (1956) *The Presentation of Self in Everyday Life* Edinburgh U.P.
2. GROSS, H., MASON, W. S. and McEACHERN, A. W. (1958) *Explorations in Role Analysis* New York: Wiley.
3. DALTON, M. (1950) Conflict between staff and the line managerial officers *Amer. Sociol. Rev.* 15, 342-51.
4. BLAU, P. M. (1955) *The Dynamics of Bureaucracy* Chicago U.P.
5. STOGDILL, R. M. (1953) *The Prediction of Navy Officer Performance* Personnel Res. Bd. Ohio State Univ.
6. CARLSON, S. (1951) *Executive Behaviour* Stockholm: Strombergs.
7. STOUFFER, S. A. *et al.* (1949) *The American Soldier* vol. I. Princeton U.P.
8. WHYTE, W. H. (1956) *The Organization Man* New York: Simon & Schuster.

9. PARKINSON, C. N. (1957) *Parkinson's Law and Other Studies in Administration* Boston: Houghton Mifflin.

10. BLAU, P. M. and SCOTT, W. R. (1962) *Formal Organizations. A Comparative Approach* San Francisco: Chandler.

11. BENSMAN, J. and ROSENBERG, B. (1960) The meaning of work in bureaucratic society *In* Stein, M. R. (ed.) *Identity and Anxiety* Glencoe, Ill.: The Free Press.

12. WILSON, B. R., Personal communication.

13. INKELES, A. and LEVINSON, D. J. (1954) National character: the study of modal personality and socio-cultural systems *In* Lindzey, G. *Handbook of Social Psychology* Cambridge, Mass.: Addison-Wesley.

14. HAYTHORN, W. (1956) The effects of varying combinations of authoritarian and equalitarian leaders and followers *J. abnorm. soc. Psychol.* 52, 210-19.

15. ARGYRIS, C. (1957) *Personality and Organization* New York: Harper.

16. LEAVITT, H. J. (1951) Some effects of certain communication patterns on group performance *J. abnorm. soc. Psychol.* 46, 38-50.

17. MOHANNA, A. I. and ARGYLE, M. (1960) A cross-cultural study of structure groups with unpopular central members *J. abnorm. soc. Psychol.* 60, 139-40.

18. BURNS, T. and STALKER, G. M. (1961) *The Management of Innovation* London: Tavistock.

19. SIMPSON, R. L. (1959) Vertical and horizontal communication in formal organizations *Admin. Sci. Quart.* 4, 188-96.

20. STOGDILL, R. M. (1953) *Aspects of Leadership and Organization* Personnel Res. Bd., Ohio State Univ.

21. McCLEERY, R. H. (1957) *Policy Change in Prison Management* Governmental Research Bureau, Michigan State University.

22. COCH, L. and FRENCH, J. R. P. (1948) Overcoming resistance to change *Hum. Relat.* 1, 512-32.

23. MORSE, N. and REMMER, E. (1956) The experimental change of a major organizational variable *J. abnorm. soc. Psychol.* 52, 120-9.

CHAPTER 15

1. The social change survey 1962, *New Society December* 27th. pp. 26-8.

2. *Current Social Trends* New York: McGraw-Hill.

3. BENJAMIN, B. (1962) The Population census as a source of social statistics *In* Welford, A. T., *et al.* (eds.) *Society: Problems and Methods of Study* London: Routledge & Kegan Paul.

4. ARGYLE, M. (1958) *Religious Behaviour* London: Routledge & Kegan Paul.

5. CHESSER, E. (1956) *The Sexual, Marital and Family Relationships of the English Woman* London: Hutchinson.

6. HART, H. (1933) Changing social attitudes and interests Ch. 8 *In* (2).

7. YOUNG, M. and WILLMOTT, P. (1957), *Family and kinship in East London London:* Routledge & Kegan Paul.

8. LYND, R. S. and H. (1937) *Middletown in Transition* New York: Harcourt.

9. Central Statistical Office *Annual Abstract of Statistics* London: H.M.S.O.

10. *Great Britain. An Official Handbook* London: H.M.S.O.

11. RICHMOND, A. H. (1958) The United Kingdom *In* Rose, A. M. (ed.) *The Institutions of Advanced Societies* U. of Minnesota Press.

12. WEDDERBURN, D. (1962) Poverty in Britain today - the evidence *Sociol. Rev.* 10, 257-82.

13. GLASS, D. V. *et al.* (1954) *Social Mobility in Britain* London: Routledge & Kegan Paul.

14. ABRAMS, M. (1960) *Must Labour Lose ?* London: Penguin Books.

15. GOLDTHORPE, J. and LOCKWOOD, D. (1962) Not so bourgeois after all *New Society* October 18th, pp. 18-19.

16. MOGEY, J. M. (1956) *Family and Neighbourhood* London: O.U.P.

17. WHYTE, W. H. (1957) *The Organization Man* London: Cape.

18. WIMPERIS, V. (1960) *The Unmarried Mother and her Child* London: Allen & Unwin.

19. McGREGOR, O. R. and ROWNTREE, G. (1962) The Family *In* Welford, A. T. *et al. Society: Problems and Mehods of Study.*

20. *New Foms of Juvenile Delinquency: their Origin, Prevention and Treatment.* United Nations: Dept. of Social and Economic Affairs, 1960.

21. LENSKI, G. E. (1961) *The Religious Factor* New York: Doubleday.

22. BUTLER, D. E. and ROSE, R. (1960) *The British General Election of 1959* London: Macmillan.

23. MAXWELL, J. (1962) National intelligence *In* Welford, A. T. *et al. (eds.) Society: Problems and Methods of Study* London: Routledge & Kegan Paul.

24. GORER, G. (1955) *Exploring English Character* London: Cresset.

25. Registrar General (1961) *Statistical Review of England and Wales: 1957-8, Mental Health Supplement* London: H.M.S.O.

26. HIMMELWEIT, H. T. (1962) Television revisited *New Society* November 1st, pp. 15-17.

27. **GEIZER, K. and SOKEL, R.** (1957) quoted by Meyersohn, R A critical examination of commercial entertainment *In* Kleemeier, R. W. (ed.) *Ageing and Leisure* New York: O.U.P.

28. **HOGGART, R.** (1951) *The Uses of Literacy* London: Chatto and Windus.

29. **CAMPBELL, F. and M.** (1963) Comiclove *New Society* January 3rd, pp. 24-5.

CHAPTER 16

1. **MERTON, R. K.** (1951) Social scientists and research policy *In* Lerner, D. and Lasswell, H. D. (eds.) *The Policy Sciences* Stanford U.P.

2. **GRANT, M. Q.** (1961) Interaction between kinds of treatments and kinds of delinquents, a current trend in correctional research *Calif. Board of Corrections* Monogr. no. 2, pp. 5-14.

3. **FELDMAN, H.** (1937) *Problems in Labour Relations* New York: Macmillan.

4. **HERSKOVITS, M. J.** (1962) *Human Problems in Changing Africa* New York: Knopf.

   HUNTER, G. (1962) *The New Societies of Tropical Africa* London: O.U.P.

5. **DU SAUTOY, P.** (1958) *Community Development in Ghana* London: C.U.P.

6. *African Labour Survey* (1958) Geneva: I.L.O.

7. *Social Implications of Industrialization and Urbanization in Africa South of The Sahara* (1956) UNESCO.

8. **McCLELLAND, D. C.** (1961) *The Achieving Society* New York: van Nostrand.

9. **MPHALELE, E.** (1962) *The African Image* London: Faber & Faber.

10. RIESMAN, D. *et al.* (1950) *The Lonely Crowd* Yale U.P.

11. *Great Britain: An Official Handbook* London: H.M.S.O.

12. General Register Office *Census of England and Wales* London: H.M.S.O.

13. Central Statistical Office *Annual Abstract of Statistics* London: H.M.S.O.

14. *Reports of the Commissioners of Prisons* London: H.M.S.O.
Criminal Statistics England and Wales London: H.M.S.O.

15. POPPER. K. R. (1960) *The Poverty of Historicism* London: Routledge & Kegan Paul.

17. SPIRO. M. E. (1958) *Children of the Kibbutz* Harvard U.P.

16. 'Away to an Island' B.B.C. Home Service, December 28th. 1962

18. SKINNER. B. F. (1948) *Walden Two* New York: Macmillan.

19. ARMYTAGE, W. H. G. (1961) *Heavens Below* London: Rout ledge & Kegan Paul.

20. HOLLOWAY, M. (1951) *Heaven on Earth* London: Turnstile Press.

تم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ٤٩٣١ لسنة ١٩٧٣